



عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

هجرة المسيحيين العرب من المشرق العربي عموماً و فلسطين خصوصاً في
القرن العشرين

جهاد جادالله أحمد رمضان

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1435هـ / 2014م

هجرة المسيحيين العرب من المشرق العربي عموماً و فلسطين خصوصاً في القرن العشرين

إعداد

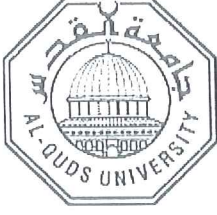
جهاد جادالله احمد رمضان

بكالوريوس تاريخ من جامعة الخليل - فلسطين

إشراف: أ. د. عدنان أيوب مسلم

قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الماجستير في الدراسات العربية
المعاصرة / معهد الدراسات الإقليمية / جامعة القدس

1435هـ / 2014م



جامعة القدس

عمادة الدراسات العليا

معهد الدراسات الإقليمية/ برنامج الماجستير في الدراسات العربية

إجازة الرسالة

هجرة المسيحيين العرب من المشرق العربي عموماً وفلسطين
خصوصاً في القرن العشرين

اسم الطالبة: جهاد جادالله أحمد رمضان

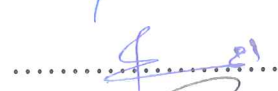
الرقم الجامعي: 20913215

المشرف: الدكتور عدنان أيوب مسلم

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ 2014/06/15م من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتوقيعهم:

1. مشرف أول ورئيس لجنة المناقشة: د. عدنان أيوب مسلم التوقيع: 

2. مشرف ثان: د. عبد المجيد سويلم التوقيع: 

3. الممتحن الداخلي: د. أحمد أبو دية التوقيع: 

4. الممتحن الخارجي: د. عبد الرحمن الحاج إبراهيم التوقيع: 

القدس - فلسطين

1435هـ - 2014م

الإهداء

إلى روح والدي رحمه الله.

إلى أمي الحنونة التي كانت إلى جانبي على الدوام.

إلى أحبائ قلبي إخوتي وأخواتي.

إلى الصديقات اللواتي ساهمن في ظهور هذه الدراسة.

إقرار

أقر أنا مقدمة هذه الرسالة أنها قدمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة باستثناء ما تمت الإشارة له حيثما ورد، وإن هذه الرسالة، أو أي جزء منها لم يقدم لنيل أي درجة لأي معهد أو جامعة.

التوقيع:.....

جهاد جادالله احمد رمضان

التاريخ / / 2014

الشكر والعرفان

في البداية لا يسعني إلا أن اشكر الله عز وجل الذي وفقني في إتمام هذه الدراسة.

وأقدم جزيل الشكر إلى أستاذي المشرف الدكتور عدنان أيوب مسلم عما قدمه من توجيهات ونصائح وملاحظات أفادتني كثيراً في انجاز هذه الرسالة.

كما أتقدم بالشكر والعرفان لإدارة جامعة القدس، وإدارة معهد الدراسات الإقليمية ومحاضريه وموظفيه، الذين لم يبخلوا علي بتوجيهاتهم ومساعدتهم، وأخص بالشكر الدكتور عبد المجيد سويلم، والدكتور أحمد أبو دية.

ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر للدكتور جريس خوري مدير مركز اللقاء، والدكتور برنارد سابيل على المعلومات التي قدمها لي وساعدتني في انجاز هذه الدراسة. كما أوجه شكري لإدارة مكتبة البيرة، ومكتبة جامعة بيت لحم، ومكتبة الكتاب المقدس، ومركز اللقاء، كذلك اشكر كل الزملاء الذين وقفوا إلى جانبي في إتمام هذه الدراسة.

جهاد جادالله احمد رمضان

المخلص

تناولت هذه الدراسة موضوع هجرة المسيحيين العرب من المشرق العربي، عموماً، وفلسطين خصوصاً خلال القرن العشرين وهدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على دوافع الهجرة المسيحية من المشرق العربي وفلسطين خلال القرن العشرين، في ظل المتغيرات الدولية، والإقليمية، والمحلية، واشتداد الصراعات الاثنية، والدينية، وانتشار الخطاب الديني، كما هدفت إلى التعرف على الأبعاد الديمغرافية، والاقتصادية، والدينية، والاجتماعية للهجرة المسيحية الفلسطينية على فلسطين عموماً والمسيحيين خصوصاً.

وترجع مبررات الدراسة إلى ضرورة طرح موضوع الهجرة المسيحية؛ لما يترتب عليها من نتائج سلبية على دول المشرق العربي ومنها فلسطين، فالهجرة المسيحية تسبب خللاً في ثقافة المنطقة وتنوعها الحضاري.

وتسعى مشكلة الدراسة الإجابة على سؤال أساسي وهو، ما الأسباب الحقيقية وراء هجرة المسيحيين العرب من المشرق العربي وفلسطين خلال القرن العشرين؟

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي والمنهج التاريخي، حيث تقوم الدراسة على تحليل أسباب هجرة المسيحيين العرب، من خلال تتبع مراحل هذه الهجرة تاريخياً، وتحليل دوافعها في كل مرحلة، مع بيان الأرقام المتعلقة بأعداد المهاجرين المسيحيين من المشرق العربي وفلسطين.

وبالنسبة لحدود الدراسة المكانية، فتنمئذ بمنطقة المشرق العربي والمقصود بها مصر، وسوريا، ولبنان، والعراق، وأما فلسطين، فالحدود المكانية التي تتناولها الدراسة تتمثل في فلسطين التاريخية حتى عام 1948، وبعد هذا التاريخ فحدود الدراسة الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967م.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها: كانت الأوضاع الاقتصادية المتردية في البلدان العربية عامل رئيس وراء هجرة المسيحيين العرب، كما شكل عدم الاستقرار السياسي، والأوضاع الاجتماعية المتأزمة وغياب الديمقراطية وسياسة التهميش في بعض البلاد العربية أسباباً مهمة في هجرة المسيحيين على اختلاف طوائفهم ما أضعف حضورهم، وخلق لديهم شعور بالغربة وعدم الانتماء. وفيما يتعلق بظاهرة الهجرة المسيحية الفلسطينية، فقد اختلفت دوافعها من مرحلة إلى أخرى، ففي حين شكلت الأوضاع الاقتصادية المتردية، والأوضاع السياسية غير المستقرة أسباباً رئيسة وراء هجرة المسيحيين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كانت ممارسات المنظمات الصهيونية وعلى ضد الشعب الفلسطيني عام 1948، والتي تمثلت في سياسة القتل والطرده، والاستيلاء على الأراضي العربية، العامل الرئيس وراء هجرة مئات آلاف الفلسطينيين من مسلمين ومسيحيين، وقد أخذت الهجرة في هذه المرحلة شكل الهجرة القسرية، أما الفترة ما بين 1967- وحتى نهاية القرن العشرين، فتعود أسباب الهجرة المسيحية إلى سياسة القمع الإسرائيلي، وتراجع الأوضاع الاقتصادية،

وانعدام الأمن والاستقرار كأسباب رئيسة للهجرة، لذلك اتخذ البعض قرار الهجرة للبحث عن بيئة أكثر قدرة على توفير حياة أفضل مما عليه الحال في فلسطين، وساعدهم في اتخاذ القرار وجود شبكات أمان من الأهل والأصدقاء في الخارج. وفيما يتعلق بالخطاب الديني الإسلامي كدافع للهجرة، فقد أوضحت معظم الدراسات وكذلك الباحثين المختصين بموضوع الهجرة المسيحية، أنه سبب غير رئيس للهجرة، كما توصلت الدراسة إلى أن نزيف الهجرة سيبقى مستمراً طالما بقي الاحتلال، وطالما بقي الصراع العربي_الإسرائيلي دون حل، وأول خطوة لوقف هذا النزيف هو إنهاء الاحتلال، وعلى المجتمع الدولي تقع المسؤولية الأولى في إنهاء هذا الوضع.

وتوصي الدراسة بضرورة الاهتمام بتطوير بيئة مواتية اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، والعمل على التوعية بقيم المواطنة، واحترام التعددية وعدم تهميش أي مكون من مكونات الشعب للحد من ظاهرة الهجرة.

Emigration of Arab Christians during the Twentieth Century from The Arab East in General and Palestine in particular

Prepared by: Jihad J. A. Ramadan

Supervisor: Adnan A. Musallam

Abstract:

This study addresses the topic of emigration of Arab Christians from the Arab East in general and Palestine in particular during the twentieth century.

The study aimed at identifying the true motives for the Christian emigration from the Arab East and Palestine in particular during the twentieth century by taking into consideration international, regional and local variables, increase in ethnic and religious conflicts, and spread of religious discourse. The study also aimed to identify the demographic, economic, religious and social impacts of Palestinian Christians emigration on Palestine in general and Christians in particular.

The study justifications indicate the need for an address of Christian emigration since it has negative impacts on the countries of Arab East including Palestine. Christian emigration causes a disruption in the culture of the region and its diversity.

The study problem seeks to answer a fundamental question namely, what are the actual causes for the emigration of Arab Christians from the Arab East and Palestine in particular during the twentieth century?

This study adopted both descriptive and historical approaches; it analyzed the causes for the emigration of Arab Christians through a historical tracking of the different stages of this emigration along with an analysis of the motives for each stage. It also highlights figures regarding immigration of Christian emigrants from the Arab East and Palestine.

As for the study geographical limitations, they cover the Arab East region, namely, Egypt, Syria, Lebanon and Iraq. As for Palestine, the study geographical limitations are the Historical Palestine until 1948. Beyond this date, the study limitations cover the Palestinian territories occupied in 1967.

The study reached a number of conclusion, the deplorable economic conditions in the Arab countries were the main factors behind the emigration of Arab Christians. Moreover,

political instability, exasperating social conditions, absence of democracy and the policy of marginalization were the main causes for the emigration of different Christian denominations and communities. Thus, their presence was weakened, and it created a feeling of estrangement and not belonging among them. As for the phenomenon of Palestinian Christian emigration, the roots of which date back to the second half of the nineteenth century and throughout the twentieth century, its motives differed from one stage to another. The deteriorating economic conditions and unstable political circumstances were the main reasons for the Christian emigration in the second half of the nineteenth century. The practices namely, killing, expulsion and Arab land confiscation of the Zionist organizations headed by the Haganah against the Palestinian people were the main factors behind this emigration of hundreds of thousands of Palestinian Muslims and Christians. Emigration at this stage was compulsory. As for the period between 1967 until the end of the twentieth century, Christian emigration came as a result of the Israeli suppressive policies, decline of economic conditions and loss of security and stability as main reasons for emigration. Therefore, some decided to emigrate in search for a more capable environment to provide a better life than that in Palestine. They were helped in their decision by the safety networks of family and friends abroad. As for the Islamic religious discourse as a cause for emigration, most studies along with expert scholars in Christian emigration indicated that it was not a main cause for emigration. The study concludes that emigration will not come to an end as long as there is occupation and as long as the Israeli - Arab conflict remains unresolved. The first step to end this emigration is to put an end to this occupation; the international community, as its first duty, has to put an end this status quo.

The study recommends that it is essential to focus on developing an economically, socially and culturally compatible environment and to increase awareness of the people of the values of citizenship and respect of pluralism; it should not also marginalize any of the components of its people in its endeavors to alleviate this phenomenon of emigration.

الفصل الأول

خلفية الدراسة

1.1 المقدمة:

تتمتع المنطقة العربية بميزات مادية وروحية قل نظيرها في أية بقعة أخرى في العالم. أما روحياً، فهي مهبط الديانات السماوية الثلاث، وفيها تعايش المؤمنون بهذه الديانات جنباً إلى جنب كل يمارس شعائره الدينية وله مقدساته، ولم تخل المنطقة من أتباع إحدى هذه الديانات على مر التاريخ. أما المسيحية موضوع الدراسة فقد حافظت على وجودها أكثر من ألفي عام، لكن هذا الوجود بدأ يتعرض للخطر في العقود الأخيرة نتيجة عمليات الهجرة الكبيرة بين أبناء هذه الديانة من المشرق العربي عامةً، وفلسطين خاصةً، مما ينذر بحدوث كارثة إذا ما استمر الوضع على ما هو عليه.

والهجرة ظاهرة معروفة لدى جميع البلدان في العالم، وهي تطال جميع الأعراق، والأديان، والأجناس من البشر دون استثناء، لكن التركيز على ظاهرة هجرة المسيحيين من المنطقة العربية له خصوصية، وذلك لقلّة عددهم مقارنة مع المسلمين، ونوعية المهاجرين.

وشهدت السنوات الأخيرة انحساراً في عدد المسيحيين، ويعود ذلك إلى الظروف المضطربة التي تعيشها المنطقة العربية منذ الحملات الصليبية مروراً بالحكم العثماني، والاستعمار الأوروبي، ثم الاحتلال الصهيوني للأراضي العربية، وما نتج عنه من هزائم متكررة للعرب خاصة حربي عام (1948م) و (1967م) اللتين هزتا الأمة العربية، وكل القناعات التي آمنت بها وكل الآمال التي أملت بتحقيقها في ظل المد القومي، ولم تكتفِ هذه الهزائم بذلك بل صنعت شرخاً نتج عنه حروباً أهلية دينية، وعرقية في أجزاء من العالم العربي، وما الحرب الأهلية في لبنان إلا دليل على شدة وقع الهزيمة.

وقد امتازت المنطقة العربية على مر العصور بالتنوع الحضاري والثقافي الذي يُعتبر المسيحيون ركناً أساسياً منه، هذا التنوع الذي بدأ يتعرض للخطر في السنوات الأخيرة نتيجة الهجرة المتزايدة للمسيحيين، وتذكر بعض الإحصاءات أن "أعداد المسيحيين العرب تصل اليوم إلى ما بين 10 ملايين إلى 15 مليون مسيحي عربي تتواجد غالبيتهم العظمى في مصر والسودان، (7 إلى 12 مليون) والعراق (500,000 إلى 600,000) * والأردن (140,000 إلى 165,000) وسوريا (750,000 إلى 900,000) ولبنان (1.3 مليون إلى 1.5 مليون) وفلسطين (50,000) وإسرائيل (130,000)"⁽¹⁾، وإذا كانت هذه الإحصاءات تبين أعداد المسيحيين في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، فإن هذه الأعداد ستعرض لمزيد من التناقص في بلدان كمصر، وسوريا، والعراق، ولبنان، وفلسطين؛ بسبب الأزمات التي تشهدها، وتؤدي إلى موجة جديدة من الهجرة إلى الدول الغربية حيث يستقرون فيها. مع العلم أن الأسر المسيحية تتميز بانخفاض عدد المواليد لديها؛ فيصبح من الصعب تعويض أعداد المهاجرين.

وقد رأى بعض المفكرين أن الانحسار المتزايد لأعداد المسيحيين ينبئ بظهور مشكلة الأقليات في العالم العربي وحصول خلل في التنوع الثقافي. وقد انقسم المفكرون العرب حول ظاهرة الهجرة المسيحية إلى قسمين: قسم يتحدث عنها بهمس وكأنه خائف من رفع الصوت حتى لا يحدث هلع لا داعي له، خوفاً من البحث في الأسباب الحقيقية، والقسم الآخر يتحدث عن الظاهرة وكأنها كارثة وقعت للوجود المسيحي، ولم يكتفوا في الاختلاف حول وجود الظاهرة، وإنما اختلف هؤلاء حول الأسباب التي تدفع المسيحيين للهجرة، فالبعض يعتبر أن أسباب الهجرة اقتصادية واجتماعية بالدرجة الأولى، والبعض الآخر يعتبرها سياسية بامتياز.⁽²⁾

أما فلسطين، فقد عرف أبناؤها الهجرة منذ نهاية القرن التاسع عشر، واستمرت خلال القرن العشرين، وتركزت الموجة الأولى من المهاجرين في أوساط المسيحيين بشكل خاص، إضافة إلى القليل من المسلمين الذين توجهوا إلى العالم الجديد، وأما الأسباب وراء هجرة هؤلاء فهي الظروف السياسية والاقتصادية الصعبة التي عاشوها خلال الحكم العثماني⁽¹⁾. استمرت هجرة الفلسطينيين خلال الانتداب البريطاني ثم الاحتلال الصهيوني ولا سيما عام (1948م)، بفعل أعمال القتل والتهجير المبرمجة والمخططة التي قامت بها المنظمات الصهيونية، وأما الفترة ما بين عام (1967م) ونهاية القرن

* تشير بعض الإحصائيات إلى أعداد المسيحيين في العراق تتراوح اليوم ما بين 3000-350 ألف نسمة. انظر سمير عبده، المسيحيون العرب... إلى أين- وجهة نظر، ط 1، (بيروت: منتدى المعارف، 2012)، ص: 77.

(1) برنارد سانيلا، "هجرة المسيحيين العرب"، مجلة اللقاء، السنة السابعة عشرة، العدد الثالث والرابع، 2002، ص: 44.
(2) طارق مئري، سطور مستقيمة بأحرف متعرجة عن المسيحيين الشرقيين والعلاقات بين المسيحيين والمسلمين، ط2، (بيروت: مركز الدراسات المسيحية الإسلامية، 2008)، ص: 181، ص: 184.

(1) عدنان مسلم، "جذور الهجرة الفلسطينية إلى الأمريكتين"، مجلة بيت لحم، (بيت لحم، نشرة تصدرها الجمعية الانطوانية الخيرية البيتلحمية، 1993-1996)، ص: 73.

العشرين فتميزت بانعدام الاستقرار السياسي والاقتصادي، هذه العوامل مجتمعة أدت إلى هجرة الفلسطينيين؛ للبحث عن الأمن والعمل.

وقد كانت هجرة الفلسطينيين ظاهرة فريدة في نوعها، سواء أكانت قسرية أم اختيارية، فقد أصبحت سمة من سمات المجتمع الفلسطيني، وأثرت على المسيحيين بشكل خاص نتيجة قلة عددهم مقارنةً بعدد المسلمين.

2.1 موضوع الدراسة:

يدور موضوع الدراسة حول الهجرة المسيحية من المشرق العربي، ويقصد به المنطقة الممتدة من مصر غرباً إلى بلاد الشام والعراق شرقاً، ويتم التركيز على الهجرة المسيحية من فلسطين بشكل خاص. حيث تتناول الدراسة الهجرة من حيث الأسباب والأبعاد لهذه الهجرة خلال القرن العشرين، مع الإشارة إلى دور المسيحيين في الحضارة العربية الإسلامية واليقظة الفكرية في نهاية القرن التاسع عشر.

3.1 مبررات الدراسة:

شهدت البلدان العربية هجرة مسيحية واسعة ازدادت في السنوات الأخيرة، خاصة في المناطق التي تشهد عدم استقرار سياسي كفلسطين، والعراق، ولبنان. إضافة إلى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتأزمة في هذه المنطقة، وهذه الهجرة تؤثر على البلدان العربية ثقافياً وسياسياً واقتصادياً. ويمكن إيجاز مبررات الدراسة بما يأتي:

- 1- ضرورة طرح موضوع الهجرة دون تردد أو خوف، لما تسببه هذه الهجرة من نتائج سلبية على المشرق العربي بعامة وفلسطين بخاصة.
- 2- قلة الدراسات التي تناولت الموضوع، فأغلب الدراسات تحدثت عن الهجرة الفلسطينية بشكل عام.
- 3- أن الهجرة بشكل عام تشكل خطراً على الدولة خاصة إذا كانت نوعية المهاجرين من المتعلمين وأصحاب المهن المهمة، والهجرة المسيحية تشكل خطراً بشكل خاص؛ لكون المهاجرين من ذوي الشهادات والمهن المميزة من جهة، بالإضافة إلى أن هجرتهم تسبب خللاً في ثقافة المنطقة وتنوعها الحضاري من جهة أخرى.

4- تنفيذ ادعاءات الجهات المعادية التي تتمحور حول الاضطهاد الذي يتعرض له المسيحيون في فلسطين، رغم تأكيد معظم ممثلي الكنائس أن مثل هذا الاضطهاد غير موجود.

4.1 أهمية الدراسة:

يعتبر المسيحيون عنصراً رئيسياً من عناصر الثقافة العربية، ومكون مهم من مكونات النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع العربي، لذا يُعد وقف نزيف الهجرة واجباً يقع على عاتق المسيحيين أولاً، والمسلمين ثانياً ويمكن النظر إلى أهمية الدراسة من النواحي الآتية:

1- تعالج موضوع على جانب كبير من الأهمية، وهو ظاهرة هجرة المسيحيين العرب من المشرق العربي.

2- تثير مزيد من الاهتمام بمشكلة هجرة المسيحيين العرب من الأراضي الفلسطينية وتبين أبعاد هذه الظاهرة على المجتمع الفلسطيني بشكل عام والمسيحيين بشكل خاص.

3- ستعطي نتائج الدراسة الفرصة للتعرف عن قرب على واقع الهجرة المسيحية، وأسبابها، وكيفية مواجهة نتائجها للحد من الآثار السلبية المترتبة عليها.

4- تقدم توصيات للمعنيين للحد من الآثار السلبية لهجرة المسيحيين الفلسطينيين.

5.1 أهداف الدراسة:

تتمثل أهداف الدراسة في الآتي:

1- الوقوف على حقيقة دوافع الهجرة المسيحية في المشرق العربي وفلسطين في القرن العشرين في ظل المتغيرات الدولية واشتداد الصراعات الاثنية والدينية وانتشار الخطاب الديني.

2- تسليط الضوء على السياسة الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين. والدور الذي لعبته هذه السياسة في دفعهم إلى الهجرة.

3- التعرف على الأبعاد الديمغرافية، والاقتصادية، والدينية، والاجتماعية للهجرة المسيحية من فلسطين.

6.1 مشكلة الدراسة:

لا شك في أن حضور المسيحيين في المشرق العربي على اختلاف طوائفهم كان بارزاً حتى النصف الأول من القرن العشرين، على أن هذا الحضور بدأ بالتراجع في النصف الثاني منه مقارنةً لما كان عليه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وأحد أسباب هذا التراجع يتمثل بالهجرة المسيحية.

وتكمن مشكلة الدراسة في الآتي:

رغم أن الهجرة من البلاد العربية إلى الخارج ليست ظاهرة حديثة العهد ولم تقتصر على المسيحيين فقط، وإنما شملت قطاعات مختلفة من المواطنين، إلا أن المشكلة مع هجرة المسيحيين تكمن في أنهم يغادرون بمعدل أكبر من غيرهم، وإذا ما قورنت نسبتهم إلى حجم السكان (سبق التطرق لبعض الإحصاءات)، فهي قليلة أصلاً مقارنة مع غيرهم، لذا فإن هجرتهم تترك أثراً سلبياً كبيراً وملحوظاً.

وقد تضاربت آراء المهتمين حول أسباب هجرة المسيحيين من المشرق العربي وفلسطين، فالبعض يجعلها قاصرة على الأسباب الاقتصادية والاجتماعية، والبعض الآخر يضيف إليها الأسباب السياسية والطائفية وظهور الخطاب الديني الإسلامي. وهنا تكمن مشكلة الدراسة التي يمكن تلخيصها بالسؤال الآتي:

ما الأسباب الحقيقية وراء هجرة المسيحيين العرب من المشرق العربي وفلسطين خلال القرن العشرين؟

7.1 أسئلة الدراسة:

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن التساؤلات التالية:

- 1- ما الدور الذي لعبته النخب المسيحية في الحركة الوطنية الفلسطينية؟
- 2- ما الظروف التي دفعت العرب المسيحيين العرب للهجرة إلى الخارج خلال القرن العشرين؟
- 3- ما دور السياسة الإسرائيلية في تعزيز الهجرة الفلسطينية المسيحية إلى الخارج؟
- 4- كيف اثر انتشار الخطاب الديني في الأوساط الفلسطينية على قضية الهوية لدى مسيحيي فلسطين؟

5- هل لعبت الكنيسة دوراً في إضعاف حس الانتماء لدى المسيحيين؟

6- ما الأبعاد الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية للهجرة المسيحية؟

8.1 فرضيات الدراسة:

تنطلق الدراسة من الفرضيات الآتية:

- 1- تراجع الأوضاع الاقتصادية، وعدم الاستقرار السياسي وغياب الديمقراطية، أهم دوافع المسيحيين للهجرة من المشرق العربي.
 - 2- أن سياسات الاحتلال الإسرائيلي القمعية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية دفعت الكثير من المسيحيين في فلسطين إلى الهجرة.
- ستعمل الباحثة وضع إجابات دقيقة لهذه الفرضيات، فالموضوع له تشعبات كثيرة، مما يفرض التدقيق الجيد، وبعد النظر في خطوة تقوم الباحثة بها.

9.1 منهجية الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي حيث تتناول الجذور العربية للمسيحيين في المشرق العربي ومن ضمنها فلسطين، ودورهم في النهضة العربية، كما تم استخدام المنهج الوصفي لرصد وتحليل دوافع الهجرة المسيحية، إضافةً إلى تحليل أبعاد هذه الهجرة على المسيحي الفلسطيني خاصة والمجتمع ككل في عدة جوانب.

10.1 إجراءات الدراسة:

اعتمدت الدراسة على أدوات البحث من جمع المعلومات والبيانات من خلال الرجوع إلى المصادر المتوفرة في المكتبات المحلية من كتب ودوريات، كما اعتمدت على المصادر الإلكترونية والوثائق المنشورة، وكذلك تم مراجعة الكتب والدراسات السابقة في هذا المجال وتشمل الدراسات العربية والأجنبية خاصة الحديثة منها، وكل ما يتعلق بالإحصاءات حول الهجرة المسيحية من المشرق العربي بشكل عام، وفلسطين بشكل خاص والتي تصدر عن مراكز الأبحاث والدراسات المختصة بالموضوع. إضافةً إلى إجراء مقابلات مع مختصين في موضوع الهجرة المسيحية للوقوف على آرائهم حول هذه القضية.

11.1 حدود الدراسة:

الحدود المكانية:

بالنسبة لموضوع الدراسة فالحدود الجغرافية تتمثل بمنطقة المشرق العربي والمقصود بها مصر، وسوريا، ولبنان، والأردن، والعراق، وأما فلسطين، فالحدود الجغرافية التي تتناولها الدراسة تتمثل في فلسطين التاريخية حتى عام 1948، وبعد هذا التاريخ فحدود الدراسة الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967م.

الحدود الزمانية:

تتمثل الحدود الزمانية بالفترة ما بين نهاية القرن التاسع وحتى نهاية القرن العشرين للأسباب التالية:

- 1- في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر بدأت الموجة الأولى للمهاجرين العرب من المشرق العربي وفلسطين، فكان لا بد من التعرف على الجذور التاريخية للهجرة.
- 2- في القرن العشرين تعرض المشرق العربي إلى موجة ثانية من الهجرة، والتي بدأت في النصف الثاني، وكانت أكثر أهمية من الموجة الأولى؛ لأنها تحولت من هجرة فردية إلى جماعية. أما فلسطين فتعرضت إلى ثلاث موجات من الهجرة خلال القرن العشرين، الأولى استمرت طوال الانتداب البريطاني حتى عام 1947 حيث بدأت الموجة الثانية واستمرت حتى عام 1967، في حين شهدت الفترة ما بين 1967 وحتى نهاية القرن العشرين الموجة الثالثة.

الفصل الثاني

الإطار النظري والدراسات السابقة

المبحث الأول: الإطار النظري للدراسة:

1.1.2 المقدمة:

الهجرة كظاهرة اجتماعية وديمغرافية قديمة قدم الإنسان نفسه، وارتبطت بتاريخه، وتعزى هذه الظاهرة إلى أسباب متعددة، منها ما هو اقتصادي، ومنها ما هو سياسي، أو طبيعي، أو ثقافي، أو اجتماعي، فالظروف الاقتصادية مثل انتشار البطالة وعدم قدرة الفرد على إشباع حاجاته المادية، تدفع به في كثير من الأحيان إلى الانتقال من مكان إقامته الأصلي إلى بيئة جديدة غريبة عنه، وفي أحيان أخرى تشكل الظروف السياسية مثل فقدان الحرية، والحروب، والاضطهاد بيئة طاردة للأفراد تدفعهم للبحث عن مكان يتوفر فيه الأمن والحرية، وقد تحدث الهجرة نتيجة الكوارث الطبيعية مثل الجفاف أو الفيضانات وغير ذلك، ورغم تعدد الأسباب الكامنة وراء ظاهرة الهجرة، إلا أنها جميعاً تدل على وجود بيئتين: بيئة طاردة وبيئة جاذبة، وتكون حركة السكان من البيئة الطاردة باتجاه البيئة الجاذبة.

وتأتي هذه الدراسة في إطار اهتمام الباحثة بتفحص دوافع الهجرة المسيحية من المشرق العربي خلال القرن العشرين في ظل المتغيرات المحلية والإقليمية والدولية، ويشمل الإطار النظري لهذه الدراسة مدخلاً هو: مفهوم نظريات الهجرة.

2.1.2 مفهوم الهجرة:

تعددت العلوم التي تدرس ظاهرة الهجرة؛ كونها ظاهرة مهمة تترك آثاراً في مختلف نواحي الحياة، كما تعددت التعريفات التي وضعتها هذه العلوم لتوضيح مفهوم الهجرة، فقد أهتم علم الديمغرافيا،

وعلم الاجتماع بشكل خاص بوضع مفهوم لهذه الظاهرة، وجاءت معظم التعريفات للهجرة على أنها: عملية الانتقال الفيزيقي لفرد أو جماعة من منطقة إلى أخرى، أو من القرية إلى المدينة بقصد تغيير دائم نسبياً لمكان الإقامة⁽¹⁾. وقد اتفق هذا التعريف مع تعريف القاموس الجغرافي للأمم المتحدة الذي اعتبر الهجرة: أنها نوع من الحراك بين وحدة جغرافية وأخرى تشمل تغيير مكان الإقامة⁽²⁾.

ومن خلال دراسة مفهوم الهجرة من قبل علم الاجتماع وعلم الديمغرافيا، يظهر توافق في تعريف المفهوم بشكل عام، لكن مع بعض الخصوصية لكل علم، ففي حين يركز علم الديمغرافيا على المسافة التي يقطعها المهاجر، والمدة التي يقضيها خارج موطنه الأصلي، يلاحظ أنّ علم الاجتماع يركز إضافة لهذه القضايا على الآثار الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية على بلد المنشأ والبلد المستقبل للمهاجرين، لذلك يضيف علم الاجتماع في تعريفه لمفهوم الهجرة الأسباب وراء هذه الهجرة؛ وبناءً على ذلك يمكن اعتبار الهجرة: هي عملية انتقال الأفراد والجماعات من مكان إلى آخر بشكل دائم أو مؤقت تبعاً لأغراض مختلفة هو تعريف أكثر شمولية لهذه الظاهرة.

ويختلف مفهوم الهجرة عن التهجير، فالتهجير هو الانتقال القسري لشخص أو أشخاص من مكان إقامتهم إلى مكان آخر لا دخل للمُهَجَّر في اختياره، ولكنه يجبر على الانتقال إليه رغم إرادته؛ بسبب استخدام أساليب عنف ضد المُهَجَّر تجبره على الرحيل، وتتشابه الهجرة مع التهجير في الأثر النهائي، وهو إقامة مجموعة من المهاجرين في موطن غير موطنهم الأصلي⁽³⁾.

3.1.2 نبذة عن التطور التاريخي للهجرة

لم تكن ظاهرة الهجرة وليدة التغيرات التي ظهرت على المجتمعات في الوقت الحاضر، وإنما هي ظاهرة قديمة قدم البشرية، فقد انتقل الإنسان الأول من مكان لآخر بحثاً عن الطعام فيما عرف بمرحلة الجمع والالتقاط.

واستمرت الهجرة السكانية في مختلف العصور، فنجد هجرات سكانية من مناطق طاردة ذات المناخ الجاف باتجاه المناطق ذات المناخ المعتدل والأراضي الخصبة والمياه الوفيرة، ومنها هجرات بعض القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية باتجاه الشمال (بلاد الشام والعراق).

(1) علي عبد الرازق جليبي، علم اجتماع السكان، ط 1، (عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2011)، ص: 210.

(2) United Nations, The Departments at Population, N, Y, 1973, P: 173.

(3) محمد لطفي فرحات، "مسألة الهجرة وتقدم الوطن العربي"، مجلة الوحدة، السنة الأولى، العدد الثامن، أيار، 1985، ص: 55، 56.

ومع بداية القرن السادس عشر الميلادي وحتى الآن بدأت الهجرة تأخذ حجماً كبيراً، وتعددت دوافعها وأنماطها، فظهرت الهجرة الدولية والتي أخذت شكل الاستيطان في العالم الجديد (الأمريكتين، وأستراليا)⁽¹⁾، وتعتبر الهجرة من الجزر البريطانية أضخم حركة هجرة عابرة للمحيطات في القرن التاسع عشر، فقد بلغ حجمها ما يقارب 17 مليون نسمة فيما بين 1815 - 1926⁽²⁾، وكانت الهجرة الأيرلندية من أبرز هجرات الجزر البريطانية، فمنذ سنة 1847 ولمدة ثمان سنوات تالية قدر عدد المهاجرين بـ (200,000) مهاجر إيرلندي سنوياً، وتعود أسباب هجرتهم إلى القحط الذي أصاب موسم البطاطا وهي الغلة الأساسية التي كان يعتمد عليها الناس في معيشتهم، فانتشرت المجاعة بينهم، فضلاً عن مستوى المعيشة المتدني، وقلة ارتباط الفلاح بالأرض بسبب نظام الملكية (حيث يرث الابن الأكبر الأرض كلها وعلى باقي الأبناء البحث عن عمل)، فقد شكلت الظروف الاقتصادية الصعبة والمجاعة عوامل طرد للإيرلنديين، في حين شكلت الولايات المتحدة عامل جذب لهم؛ بسبب الازدهار الاقتصادي فيها⁽³⁾، كما شهدت الفترة ما بين 1880 - 1920 موجات هجرة ضخمة من أوروبا الجنوبية والوسطى والدولة العثمانية باتجاه الولايات المتحدة والتي قدر حجمها بـ (25,000,000) شخص من الإيطاليين واليونانيين والسلاف واليهود والعثمانيين وغيرهم⁽⁴⁾.

وقد تركت الهجرات السكانية الأوروبية آثاراً سلبية على الدول المرسلّة، فقد هاجر في الفترة ما بين 1850 - 1914 ما يقارب 40 مليون شخص من أوروبا إلى العالم الجديد، أي عشر سكانها و25% من القوى العاملة لديها، في حين استفادت الدول المستقبلة من أعداد المهاجرين خاصة القوى العاملة⁽⁵⁾.

وشهد النصف الثاني من القرن العشرين، ازدياد حجم الهجرة من الدول الأقل نمواً (الدول النامية) باتجاه الدول الأكثر نمواً (الدول المتقدمة)، حيث بلغ عدد المهاجرين فيما بين 1995 - 2000 ما يقارب 12 مليون شخص، في حين قدر عدد المهاجرين بـ 2.3 مليون شخص سنوياً، وكانت أكبر زيادة من نصيب أمريكا الشمالية تليها أوروبا ثم أقيانوسية⁽⁶⁾.

-
- (1) علي عبد الرازق جلبي، مرجع سابق، ص: 212.
 - (2) فتحي محمد أبو غيانة، جغرافية السكان أسس وتطبيقات، ط5، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2000)، ص: 243.
 - (3) عبد الكريم اليافي، "الهجرات وتحركات السكان"، مجلة عالم الفكر، المجلد الخامس، العدد الرابع، 1975، ص: 23.
 - (4) عدنان مسلم، "جذور الهجرة الفلسطينية إلى الأمريكتين"، مرجع سابق، ص: 70.
 - (5) سليم تماري، "أنماط الهجرة الفلسطينية ضمن أبعادها العالمية"، الهجرة، مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة، الدورة الرابعة، (القدس: اللقاء مركز الدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 1991)، ص: 15.
 - (6) تقرير الهجرة الدولية لعام 2000، (نسخة الكترونية)، استرجعت بتاريخ 2013 / 11 / 20 <http://www.un.org/esa/population/ittmigrep2002arab.doc>

واختلف الباحثون في تفسير ظاهرة الهجرة، فظهرت تفسيرات مختلفة غلب عليها تخصص الباحث في تفسيره هذه الظاهرة. وفيما يلي بعض هذه التفسيرات لظاهرة الهجرة:

4.1.2 التفسير الاقتصادي لظاهرة الهجرة

يركز أنصار التفسير الاقتصادي على العوامل الاقتصادية كدافع أساسي لظاهرة الهجرة، ويخلص البعض التفسير الاقتصادي لظاهرة الهجرة بالقول: إنّ المهاجر يترك وطنه أصلاً بحثاً عن عمل، ويرى الباحثون الاقتصاديون:

أ- إنّ حدوث الهجرة يرتبط بعوامل طاردة وعوامل جاذبة، ففي الحالة الطاردة نجد أنّ الوضع الاقتصادي الصعب للمهاجر في الموطن الأصلي تدفع به إلى مغادرة بلده، وفي نفس الوقت فإنّ الحالة الاقتصادية المزدهرة في المجتمع المستقبل تجذب المهاجر إليه.

ب- إنّ سلوك المهاجر يقوم دائماً على تعظيم المنفعة (Maximization Model) الذي يفترض أن يحصل عليها المهاجر من خلال قيامه بالهجرة⁽¹⁾.

أما التفسير الماركسي الكلاسيكي للهجرة، فيظهر في أدبيات العديد من المنظرين الماركسيين أمثال (Bovenka) الذي يعتبر أن العامل الاقتصادي هو الدافع الرئيس للهجرة، وهذا لزيادة وتعظيم الأرباح والمكاسب من خلال يد عاملة رخيصة، فالمهاجرون يعتبرون جيش احتياطي للقطاع الصناعي، إلى جانب اعتبار اليد العاملة المهاجرة جزء من بنية الرأسمالية، ومن هنا فاليد العاملة تعمل في خدمة الطبقة الرأسمالية، لذلك فالرأسماليون يعملون على تشجيع الهجرة باستمرار بين الدول؛ بهدف الحفاظ على تدفق اليد العاملة الرخيصة والتي تساعد في عملية تراكم رأسمال من خلال انخفاض تكاليفها⁽²⁾.

وطبقاً للتفسير الاقتصادي لظاهرة الهجرة، يتبين أنّ مؤيدي هذا الاتجاه يركزون على الدافع الاقتصادي كدافع رئيس للهجرة دون النظر إلى عوامل وظروف أخرى تدفع الأفراد إلى اتخاذ قرار الهجرة، مثل الأوضاع الاجتماعية والسياسية والطبيعية، فضلاً عن السياسات التي تنتهجها الدول المستقبلية والتي قد تسهل الهجرة أو تحد منها.

(1) عبد الله عبد الغني غانم، المهاجرون، دراسة سوسيو انثربولوجية، الطبعة 2، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2002)، ص: 25، 26.

(2) Eytam Meyers, "theories of international immigration policy- a comparative analysis", International Migration Review, vol, 34, no, 4 Winter 2000, p.p. 12,14.

5.1.2 التفسير الجغرافي لظاهرة الهجرة

يقوم التفسير الجغرافي على نقطتين: أولهما ترتبط بتفسير سبب الطرد من الموطن الأصلي، وثانيهما يرتبط بمجتمع الاستقبال. أما النقطة الأولى فتقوم على الافتراض أنّ ثمة توازن بين خصائص المنطقة وخصائص سكانها. والجغرافيون هنا يرون أنّ الظروف الجغرافية الفيزيائية لكل منطقة تسمح بالاحتفاظ بعدد محدد من السكان، وأن أي زيادة في العدد المسموح يصبح عدداً زائداً يخل بمقتضيات الظروف الجغرافية للمنطقة، ومن ثم فإن المخرج الوحيد أمام هذا العدد هو الهجرة. أما النقطة الثانية، فهي اختيار مجتمع الاستقبال بالنسبة للمهاجر، وترى النظرية أنّ المهاجر يختار المنطقة التي يهاجر إليها في ضوء خصائصها الجغرافية، وفي ضوء تشابه ظروفها الجغرافية (التضاريس و المناخ والنبات... الخ) مع ظروف منطقتة الأصلية. فضلاً عن عامل المسافة حيث يرتبط عدد المهاجرين إلى بلد ما عكسياً مع طول المسافة التي تفصل بين هذا البلد والموطن الأصلي بينما يرتبط طردياً مع فرص العمل المتاحة⁽¹⁾.

6.1.2 التفسير الاجتماعي والثقافي لظاهرة الهجرة:

هذا التفسير لا يركز على عامل وحيد في تفسير الهجرة، كما أنّه لا يركز على عوامل الطرد فقط، بل ينظر إلى الهجرة والمهاجرين نظرة متكاملة. فهو ينظر إلى المهاجرين على أنّهم حلقة وصل تربط بين المجتمع المرسل والمجتمع المستقبل، وأنّ الظروف السائدة في كلا المجتمعين تلقي بأثرها على الهجرة والمهاجر، وتحدد قرار الهجرة واتجاهها وعوائدها⁽²⁾. بعد هذا العرض الذي يقدمه المتخصصون في تفسير ظاهرة الهجرة كل حسب تخصصه سأستشهد ببعض النظريات التي قدمتها العلوم المختلفة.

1.6.1.2 نظرية الطرد - الجذب (Push- Pull)

تعد نظرية عوامل الطرد وعوامل الجذب من أكثر النظريات شيوعاً في تحليل الأسباب التي تدفع بالأفراد إلى الهجرة. تقوم النظرية على أن الناس تهاجر لان هناك عوامل طاردة لهم من موطنهم الأصلي أو عوامل جاذبة لهم في المنطقة المستقبلة. وقد صُنفت العوامل الطاردة إلى عوامل طرد

(1) عبد الله عبد الغني غانم، مرجع سابق، ص: 29، 30.

(2) عبد الله عبد الغني غانم، مرجع سابق، ص: 29، 30.

بسيطة مثل الفقر والاضطهاد والعزلة الاجتماعية، وعوامل طرد صعبة تتمثل في المجاعات، الحروب، الكوارث البيئية⁽¹⁾.

وتعود أول الأفكار حول الهجرة الدولية منذ قرنين من خلال دراسة أجراها عالم الاجتماع السويدي كريجر عام 1764م والذي ركز على عوامل الطرد حيث كانت السويد في ذلك الوقت بلداً فقيراً يعاني من انخفاض الأجور وغياب العدالة الاقتصادية وعدم توفر نظام التأمين الاجتماعي⁽²⁾. وقد تبنى هذه النظرية عدد كبير من العلماء والباحثين ومنهم بوج (Bogue) الذي اعتبر الظروف الاقتصادية (مجاعات، قحط) والظروف السياسية كالحروب عوامل طرد من بلد المهجر، أما الاستقرار السياسي والاقتصادي في البلد المستقبل تعد عامل جذب للمهاجرين.

أما (George Arias) فيرى أن الهجرة تعود لعاملين:

أ- تحركات بفعل ضرورة معينة أو بفعل قهر أو إلزام معين وتحدث نتيجة أسباب سياسية، أو دينية بحيث تشكل الظروف الاجتماعية والسياسية والدينية عوامل طرد لجماعات أو طوائف دينية معينة بسبب عدم تكيفها في الموطن الأصلي.

ب- تحركات بسبب الحاجة (اقتصادية) وهنا يكون الموطن الأصلي يشكل ضغطاً اقتصادياً على أبنائه في حين يشكل بلد آخر قوة جذب⁽³⁾، فانخفاض الأجور وارتفاع معدلات البطالة بين الأفراد في الموطن الأصلي يساهم في ظهور تيارات الهجرة من البيئة الأصلية إلى بيئة أخرى جاذبة. وتتطبق نظرية الطرد والجذب على الهجرة الداخلية، فالريف يعتبر مقيداً للحريات والتنوع الثقافي وندرة فرص العمل، في حين تشكل المدينة عامل جذب لتوفر العمل والمؤسسات الصناعية والتجارية والتعليمية والحريات المختلفة⁽⁴⁾.

2.6.1.2 نظرية رأس المال البشري (Human Capital Model)

تقوم هذه النظرية على أساس أن المهاجر يتخذ قراره بالهجرة على ضوء عملية حساب للتكلفة والعائد من عملية الهجرة، فيقوم المهاجر بوزن عوامل الجذب والطرء، ثم يتخذ القرار بالهجرة، إذا كانت

(1) علي عبد الرازق جلبي، مرجع سابق، ص: 216

(2) محمد أعييد الزنتاني إبراهيم، الهجرة غير الشرعية والمشكلات الاجتماعية، (الإسكندرية: المكتب العربي الحديث، 2008)، ص: 180.

(3) احمد ربايعه، دراسات في نظرية الهجرة ومشكلاتها الاجتماعية والثقافية، (عمان: منشورات دائرة الثقافة والفنون، 1984)، ص: 38،

39

(4) علي عبد الرازق جلبي، مرجع سابق، ص: 217.

المنافع المولدة من عملية الهجرة تتعدى التكلفة المتصلة بها، ويرى مؤيدي هذه النظرية إلى أكثر فئة تميل للهجرة هم فئة الشباب الذين سيقضون فترة طويلة في جمع المال⁽¹⁾.

3.6.1.2 نظرية رافينشتاين: (Ravenstein)

بنى رافينشتاين نظريته تحت عنوان "قوانين الهجرة" في إطار الهجرة العالمية، وتتص هذه القوانين على أنّ الناس يهاجرون من المناطق محدودة الفرص إلى تلك الغنية بالفرص المعيشية، ويتحدد اختيار منطقة المهجر على أساس المسافة، حيث يفضل المهاجرون الهجرة للمناطق القريبة ثم يتحركون لأبعد منها، وبالتالي وضع رافينشتاين ما يمكن أن يطلق عليه الهجرة متعددة المراحل، كما ذهب رافينشتاين أيضاً إلى أنّ كل تيار للهجرة من الريف إلى الحضر ينتج تياراً مضاداً للعودة للمناطق الريفية، كما افترض أنّ سكان الحضر اقل ميلاً للهجرة من سكان الريف واعتبر أنّ الهجرة كحركة تنطلق من محيط الدائرة إلى مركزها، وافترض أنّ النساء هن الأكثر ميلاً للهجرة قصيرة المسافة⁽²⁾.

4.6.1.2 نظرية اتخاذ القرار في عملية الهجرة

قدّم إيفريت لي (Everenit Lee) نظرية في الهجرة ترتبط باتخاذ القرار، وهي من النظريات التي بنيت على نظرية رافينشتاين، حيث قسم القوى المؤثرة على مفهوم المهاجر وقراره للهجرة إلى عوامل الطرد وعوامل الجذب، وتعتبر عوامل الطرد مرتبطة بمنطقة المنشأ، وعوامل الجذب مرتبطة بمنطقة المهجر، وقد أكد Lee على أنّ عوامل الطرد أكثر أهمية بالنسبة إلى الهجرة من عوامل الجذب، كما أكد على أنّ عوامل الطرد والجذب تتوقف على عوامل شخصية وما يكون طارداً لشخص معين قد لا يكون كذلك بالنسبة لآخر⁽³⁾.

أي أنّ الهجرة تقوم على قرارات شخصية، فهي عملية اختيارية إذ ليس كل الناس يهاجرون.

(1) عبد الفتاح أبو شكر، الهجرة الخارجية من الضفة الغربية وقطاع غزة وآثارها الاقتصادية والاجتماعية، (القدس: الملتقى الفكري العربي، تموز، 1990)، ص: 14

(2) السيد عبد المعطي السيد، علم اجتماع السكان، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1999)، ص: 326، 327.

(3) السيد عبد المعطي السيد، مرجع سابق، ص: 329، 330.

5.6.1.2 نظرية التنظيم الاجتماعي:

يقدم مانجلام (Manglam) نظرية التنظيم الاجتماعي للهجرة ويقول فيها: أن كل مجتمع يمر بمرحلة من التغيير الاجتماعي، يوضحها اختلاف وضع المجتمع ونظامه الاجتماعي في فترتين مختلفتين، وذلك بالنسبة إلى التغييرات في كل من أنساقه الثلاثة، ويعني بها النسق الثقافي والاجتماعي ونسق الشخصية، وفي هذه العملية تأخذ الهجرة دورها الرئيسي الذي يمكن تخيله كعملية حفظ التوازن الديناميكي للنظام الاجتماعي عند الحد الأدنى من التغيير، كما أن الهجرة تؤثر وتتأثر بالنظام الاجتماعي لكل من المنطقة الأصلية، والمنطقة المهاجر إليها، وكذلك بالقيم الثقافية وأهداف المهاجرين ومعاييرهم⁽¹⁾.

6.6.1.2 نظرية خصائص المركز الاجتماعي:

ترى هذه النظرية أن الميل نحو الهجرة يختلف اختلافاً واضحاً على أساس المركز الطبقي، وحسب توماس 1939م الذي وجد أن العمر هو أكثر خصائص المركز الاجتماعي تأثيراً في تحديد الميل نحو الهجرة، في حين أوضحت الدراسات التي تلت دراسة توماس أن الحالة التعليمية والوضع المهني تعتبر أكثر خصائص المركز الاجتماعي تأثيراً في السلوك الدافع نحو الهجرة⁽²⁾. من الواضح أنه ليس ثمة اتفاق على نظرية واحدة في تفسير الهجرة، فكل باحث فسّر الظاهرة حسب تخصصه.

7.1.2 أنماط الهجرة:

تصنف الهجرة إلى عدة أنماط حسب معايير معينة كالآتي:

1- الهجرة حسب الاتجاه (المكان)، تصنف الهجرة حسب الاتجاه إلى:

أ- الهجرة الخارجية أو الدولية، وهي اجتياز المهاجر الحدود السياسية للدولة طلباً للعمل، أو فراراً من اضطهاد، أو رغبة منه في تحسين مستوى معيشته، وشهد العصر الحديث هجرات رئيسة تتمثل في الهجرات الأوروبية إلى أمريكا، والهجرات الأوروبية داخل أوروبا، الهجرة الأفريقية، الهجرة الآسيوية⁽³⁾.

(1) عبدالله عبد الغني غانم، مرجع سابق، ص: 34.

(2) المرجع نفسه، ص: 34.

(3) السيد عبد المعطي السيد، مرجع سابق، ص: 318.

ب- الهجرة الداخلية، وهي انتقال الأفراد داخل حدود الدولة من المناطق ذات المستوى المعيشي المنخفض وهي عادة الأرياف إلى المناطق ذات المستوى المعيشي الأفضل وهي عادة المدينة، وتتميز الهجرة الداخلية بأنها أكبر حجماً من الهجرة الخارجية بسبب سهولة الانتقال من مكان إلى آخر، ولا يواجه المهاجر المشكلات التي تواجه المهاجر إلى الخارج مثل اختلاف اللغة والاستعداد النفسي، والتكيف الاجتماعي، كما تتميز الهجرة الداخلية بأنها تيارات تأخذ اتجاهات عكسية، فالمنطقة الواحدة قد تكون منطقة جذب لمجموعة، ومنطقة طرد لمجموعة أخرى⁽¹⁾.

2- الهجرة حسب الدافع، تصنف الهجرة حسب الدافع إلى:

أ- الهجرة الإرادية، (اختيارية، طوعية)، تعتبر الهجرة إرادية إذا كان قرار الهجرة نابغاً من الشخص المهاجر⁽²⁾، كـرغبة الفرد البحث عن أماكن جديدة لتحسين ظروف معيشته.

ب- الهجرة الاضطرارية، والتي تتم بسبب وجود ظروف سياسية، أو اقتصادية، أو اجتماعية صعبة أو قاهرة تجعل الشخص مضطراً للهجرة. وتتميز الهجرة الاضطرارية عن الهجرة القسرية في أن قرار الشخص بالهجرة يبقى قراراً اختيارياً رغم الظروف القاسية، وينطبق هذا الشكل على الهجرات غير الشرعية واللجوء السياسي⁽³⁾.

ج- الهجرة القسرية أو التهجير، وهي إجبار الأشخاص على ترك موطنهم الأصلي باستخدام العنف والقوة العسكرية في عملية الطرد، كما يتضمن أحياناً التطهير العرقي، ويتميز هذا النوع من الهجرة بعجز الفرد أو الجماعة عن اتخاذ قرار الهجرة، فهم مجبرون عليها، ويكونوا غير قادرين حتى على اختيار البلد المستقبل⁽⁴⁾. والهجرة القسرية قد تكون خارجية مثل الهجرة القسرية التي تعرض لها الشعب الفلسطيني في عام 1948، حيث قدر عدد المهاجرين 750,000 فلسطيني، أو قد تكون داخلية (النزوح)، وهو هجرة الأفراد من منطقة إلى أخرى داخل حدود الدولة، ويتم النزوح بسبب صراع مسلح، أو نزاع داخلي، أو كوارث طبيعية.

3- الهجرة حسب حجم الحركة، وتصنف إلى:

أ- الهجرة الفردية، إذا كانت الهجرة مكونة من فرد أو عدة أفراد ينتقلون كل بمفرده ولكل منهم دوافع وأهداف واتجاه خاص بالفرد.

(1) علي عبد الرازق جليبي، مرجع سابق، ص: 211.

(2) منصور محمد الكيخيا، جغرافية السكان أسسها ووسائلها، ط1، (بنغازي: جامعة قار يونس، 2003)، ص: 107.

(3) السيد عبد المعطي السيد، مرجع سابق، ص: 321.

(4) محمد لطفي فرحات، مرجع سابق، ص: 55.

ب- الهجرة الجماعية، وهي انتقال مجموعة من الأفراد مرتبطين ببعضهم من الموطن الأصلي إلى مكان آخر، قد تكون داخل الدولة نفسها، أو خارجها، وقد تكون اختيارية أو إجبارية⁽¹⁾.

4- الهجرة حسب الزمن، وتصنف إلى:

أ- الهجرة المؤقتة، هي هجرة أفراد أو جماعات من منطقة إلى أخرى، وتكون لفترة محدودة⁽²⁾، مثل انتقال الأيدي العاملة لمكان آخر بهدف تحسين مستوى معيشتهم، وهؤلاء يعودون إلى موطنهم الأصلي من فترة إلى أخرى، مثل هجرة العمالة الفلسطينية إلى دول الخليج العربي، أو هجرة الطلبة لإكمال دراستهم ثم يعودون إلى الموطن الأصلي بعد انتهاء دراستهم.

ب- الهجرة الدائمة، وهي عملية انتقال الأفراد من مكان إقامتهم الأصلي إلى مكان آخر مع تغير كامل لكل ظروف حياة المهاجرين، والذين لا يعودون إلى الموطن الأصلي مرة أخرى. وتحدث الهجرة الدائمة لأسباب مختلفة؛ قد تكون عوامل طاردة من الموطن الأصلي مثل الاضطهاد، الحروب، ندرة فرص العمل، أو الشعور بالغربة، أو عوامل جاذبة تتوفر في المنطقة المستقبلية وهي عكس الظروف الطارئة⁽³⁾.

8.1.2 دوافع الهجرة الخارجية

لا شك أنّ الهجرة السكانية شكلت مشكلة كبيرة منيت بها المجتمعات، وحدثت لأسباب سياسية واقتصادية، أو نتيجة الكوارث والحروب والاضطهاد والتي تعصف بمناطق مختلفة من العالم، فيضطر الكثير من الناس إلى ترك بلدانهم والإقامة في أماكن أخرى طلباً لتحسين وضعهم الاقتصادي أو طلب اللجوء والإقامة فيها، والمجتمعات العربية لم تكن بمنأى عن هذه الحركة، فشهد العصر الحديث هجرات عربية إلى أوروبا، والأمريكيتين، وأستراليا، ولعل من أهم العوامل الدافعة للهجرة إلى الخارج يمكن إرجاعها إلى عوامل اقتصادية، وسياسية، واجتماعية، وثقافية وهي كالاتي:

(1) السيد عبد المعطي السيد، مرجع سابق، ص: 318.

(2) علي عبد الرازق جلي، مرجع سابق، ص: 211.

(3) السيد عبد المعطي السيد، المرجع نفسه، ص: 318.

1.8.1.2 الدوافع الاقتصادية:

إنّ الدوافع الاقتصادية كانت وما زالت تلعب دوراً مهماً في هجرة الأفراد خاصةً الشباب من موطنهم الأصلي صوب بلدان جديدة، وتعود هجرة الأفراد إلى عوامل طرد في البلد الأصلي وتتمثل في الآتي:

- التخلف الاقتصادي، وندرة فرص العمل وما ينتج عنه انتشار واسع للبطالة خاصة بين الشباب، فضلاً عن تدني الأجور، تدفع الأفراد إلى البحث عن فرص العمل، ورفع مستوى معيشتهم بعيداً عن الجوع والحرمان في بلدان توفر لهم هذه المطالب. وينضوي تحت هذا الدافع هجرة الكفاءات العلمية من علماء ومفكرين وأطباء ومهندسين⁽¹⁾.
- ظهور الصناعة ورواج التجارة ما أفقد أصحاب المهن اليدوية القدرة على المنافسة ودفعهم بالتالي إلى الهجرة مثلما حدث في أوروبا بعد ظهور الثورة الصناعية، فضلاً عن تطور وسائل النقل مثل البواخر وسكك الحديد والتي سهلت عملية الهجرة⁽²⁾، فأصبحت الهجرة سهلة، سريعة، واقل كلفة، وغير خطيرة.

إذاً العوامل الاقتصادية تلعب دوراً هاماً في التشجيع على الهجرة، فالتباين الاقتصادي بين الدول يخلق هوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة، تدفع أبناء الثانية على الهجرة بغية تحقيق مستوى معيشي جيد والاستفادة من توفر فرص العمل وبعض القوانين والتشريعات، كالضمان الصحي، والتأمين الاجتماعي، ونظام التقاعد وهو ما يعرف بالعوامل الجاذبة في البلد المستقبل.

2.8.1.2 الدوافع السياسية:

شهد العالم خلال القرن العشرين الكثير من التحولات السياسية، مثل اندلاع حربين عالميتين، نتج عنهما خسائر بشرية ومادية فادحة، واستغلت بعض الدول المتحاربة أحداث هذه الحروب؛ لإجبار الأقليات الدينية والاثنية على الهجرة من موطنها الأصلي إلى أماكن أخرى، وخير مثال على ذلك ما تعرض له الأرمن القاطنون في شرق الأناضول من مذابح جماعية عام 1915 على يد الأتراك، ذهب ضحيتها ما يقرب من مليون أرمني، في حين تم تشريد ما يقارب نصف مليون أرمني إلى روسيا والمشرق العربي، ومن الدول التي قصدها الأرمن في هذه الفترة فلسطين، حيث دخلها ما

(1) منصور محمد الكيخيا، مرجع سابق، ص: 117.

(2) عبد الكريم اليافي، مرجع سابق، ص: 21، 22.

يقارب 20 ألف ارمني، أما لبنان فقد لجأ إليها حوالي 100 ألف ارمني⁽¹⁾ في نفس الفترة . استمرت التحولات في النصف الثاني من القرن العشرين، فشهدت دول العالم الثالث حركات تحرر نتج عنها حصولها على الاستقلال، ولم يمض وقت طويل حتى اندلعت في الكثير منها حروب أهلية، أو انقلابات عسكرية، ووصول حكومات ديكتاتورية إلى سدة الحكم في بعضها، ما عرض الكثير من الناس للاضطهاد السياسي والديني، على أنّ التحول الأهم كان في تسعينات القرن العشرين عندما انهارت الكتلة الشرقية الاشتراكية ما اخل بالتوازن الذي كان قائماً، وأصبح العالم يحكم من قبل قطب واحد هو الولايات المتحدة الأمريكية، فانتشرت الحروب العرقية والدينية في مناطق مختلفة من العالم. كل هذه التحولات أثرت تأثيراً قوياً في حركة السكان في اتجاهات مختلفة هرباً من الأوضاع القاسية التي تشهدها بلدانهم الأصلية⁽²⁾.

3.8.1.2 الدوافع الاجتماعية والثقافية:

عند النظر إلى المناطق المرسلة للمهاجرين يلاحظ أنها في معظمها دول تعاني تخلفاً اقتصادياً يلقي بثقله على الأوضاع الاجتماعية والثقافية، فالواقع الاقتصادي المتخلف في منطقة ما يقود إلى انتشار البطالة والفقر، فيصبح تأمين حياة كريمة من الأمور الصعبة ما يخلق الكثير من المشكلات النفسية والاجتماعية لدى الفرد مثل الشعور بالاغتراب والإحباط واليأس.

ورغم كون الهجرة ظاهرة قديمة إلا أنها اشتدت في العصر الحديث بسبب تطور وسائل النقل والاتصال، والتي سهلت بدورها نقل المعلومات عن الدول المستقبلية ما شجع الهجرة إليها، كما أسهمت النجاحات التي حققها المهاجرون الأوائل في دفع الآخرين إلى الهجرة، فضلاً عن قيام المهاجرين أنفسهم في تحفيز أقرانهم وأصدقائهم على الهجرة⁽³⁾. وأسهمت طبيعة النظم السياسية السائدة (الاستبدادية) في بعض الدول، وغياب الحياة الديمقراطية، وعدم تمتع الناس بالحرية وبال حقوق والحريات العامة المنصوص عليها في المواثيق الدولية، وعدم احترام حقوق الإنسان، وغياب المساواة بين المواطنين، وتنامي التطرف الديني وممارسة العنف كما يحدث في البلاد العربية في دفع الناس إلى الهجرة.

(1) فؤاد فرح، الحجارة الحية المسيحيون العرب في الديار المقدسة، ط1، (الناصرة: الحكيم للطباعة والنشر، م.ص، 2003)، ص: 262

(2) منصور محمد الكبخيا، مرجع سابق، ص: 119.

(3) عبد الكريم اليافي، مرجع سابق، ص: 26.

9.1.2 الآثار والنتائج التي تترتب على الهجرة

جذبت ظاهرة الهجرة السكانية الكثير من العلماء والباحثين لدراستها والبحث في أسبابها وآثارها في كل العصور؛ لأهمية هذه الظاهرة وأهمية ما يترتب عليها من نتائج تطل الأفراد المهاجرين، والدول المرسله والمستقبله على حد سواء.

أ- الآثار الاقتصادية والديمغرافية:

- تؤدي الهجرة إلى استنزاف جزء مهم من القوى العاملة خاصة الماهرة منها من الدول المرسله إلى مناطق تتوفر فيها فرص العمل⁽¹⁾، ما يترتب عليه آثاراً سلبية في مجال التنمية الاقتصادية لقله الأيدي العاملة الماهرة، ما يؤدي إلى زيادة الفقر والتخلف في بلد المنشأ.

- تبدو الآثار واضحة في هجرة الكفاءات العلمية من موطنها الأصلي إلى آخر، والنتيجة هي تراجع عملية التنمية. يذكر تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية في الوطن العربي لعام 2002 "إن أكثر من مليون خبير عربي مختص من حملة الشهادات العليا والفنيين المهرة يعملون في الدول المتقدمة... بلغت الخسائر التي منيت بها البلدان العربية من هجرة الأدمغة العربية في عقد السبعينات 11 مليار دولار، فيما يقدر الخبراء تلك الأضرار اليوم بأكثر من 200 مليار دولار"⁽²⁾. كما يذكر التقرير الإقليمي "هجرة العمل" والذي أعدته جامعة الدول العربية بدعم من صندوق الأمم المتحدة للسكان في حزيران 2009 أن فرنسا تستقبل 40% من العقول العربية المهاجرة وأمريكا 23% وكندا 10%، وتكشف دراسات أخرى للجامعة العربية أن 54% من الطلاب العرب الذين يدرسون في الخارج لا يعودون⁽³⁾.

- إن الخسائر التي تلحق بالدول العربية نتيجة هجرة الكفاءات العلمية لا تقتصر على تراجع عملية التنمية فقط، وإنما تطل الخسائر المادية التي أنفقتها الدول على إعداد تلك الكفاءات دون الحصول على أي مردود، وإنما استفادت منها الدول المستقبلية ما زاد في تطورها.

- تترك الهجرة آثاراً سلبية على الدول المستقبلية بسبب تحملها أعباء اقتصادية ناتجة عن توفير المساكن والتعليم والتأمينات الصحية والاجتماعية للمهاجرين الوافدين إليها⁽⁴⁾.

(1) السيد عبد المعطي السيد، مرجع سابق، ص: 351.

(2) مجلة الفكر العربي، الأدمغة العربية المهاجرة: خرج ولم يعد، (نسخة الكترونية)، استرجعت بتاريخ 20 / 11 / 2013

<http://arabthought.org>

(3) المرجع نفسه.

(4) السيد عبد المعطي السيد، مرجع سابق، ص: 351.

- تحدث تغييرات في التوزيع السكاني، حيث يزداد عدد المهاجرين في الدول المستقبلية بشكل مطرد، ففي تقرير لمنظمة الهجرة الدولية لعام 2002 يبين ارتفاع عدد المهاجرين بشكل لم يسبق له مثيل "ويبلغ اليوم عدد الأشخاص المقيمين خارج البلدان التي ولدوا فيها رقما لم يسبق له مثيل وهو 175 مليون، أي أكثر من ضعف ما كان عليه منذ جيل مضى⁽¹⁾" هذه الأرقام الكبيرة في أعداد المهاجرين تؤثر سلباً على التركيب العمري للسكان في الدول المرسله، حيث ترتفع أعداد الأطفال والمسنين كون أغلبية المهاجرين من الشباب، مما يزيد من الأعباء الاقتصادية الملقاة على عاتق الدول المرسله.

أما الآثار الايجابية فتكمن في:

- يعمل المهاجرون على تنمية الموطن الأصلي من خلال التحويلات المالية لذويهم واستثمار رؤوس أموالهم في الوطن الأم⁽²⁾ مما يسهم في تنشيط الاقتصادي المحلي.
- زيادة الاستثمار في الموارد الطبيعية في البلاد المستقبلية؛ بسبب زيادة الأيدي العاملة خاصة من الذكور الشباب⁽³⁾.

ب- الآثار الاجتماعية والثقافية:

- تمتد الآثار السلبية للهجرة لتؤثر في الجوانب الاجتماعية، حيث يظهر عدم التجانس بسبب وجود أقليات عرقية مختلفة في الدول المستقبلية ما يؤدي إلى ظهور مشكلات مثل التفرقة العنصرية، وتعرض هذه الأقليات للاعتداءات مثلما يحدث في بعض الدول الأوروبية مثل فرنسا⁽⁴⁾.
- تترك الهجرة آثاراً سلبية على العلاقات الاجتماعية والروابط العائلية للمهاجرين الذين قد يحملون أفكاراً وأنماط سلوكية جديدة تختلف عن المجتمع الأصلي، مما يعرضهم للرفض وعدم القبول فيولد لديهم شعوراً بالغرابة وعدم الانتماء للعائلة والمجتمع⁽⁵⁾.

- تؤثر الهجرة على التركيب العمري والنوعي في الدول المرسله والمستقبلية⁽⁶⁾، ففي حين يزداد عدد الذكور في الدول المستقبلية، تقل هذه الأعداد في الدول المرسله وتزداد أعداد الإناث ما يترتب عليه بروز ظاهرة النساء غير المتزوجات، خاصة أن الكثير من المهاجرين يتزوجون بالأجنبيات.

(1) تقرير الهجرة الدولية لعام 2002، مرجع الكتروني سابق.

(2) السيد عبد المعطي السيد، مرجع سابق، ص: 351.

(3) علي عبد الرازق جلبي، مرجع سابق، ص: 227.

(4) المرجع نفسه، ص: 227.

(5) منصور محمد الكيخيا، مرجع سابق، ص: 125.

(6) علي عبد الرازق جلبي، مرجع سابق، ص: 227.

لقد شكلت ظاهرة الهجرة أهمية متزايدة في الأوساط الأكاديمية والسياسية، فقد اتسعت هذه الظاهرة بشكل هائل خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، حيث شكلت أنماطاً عديدة في العالم، سواءً تنقلات الأفراد داخل الإقليم الواحد أو دولياً إلى خارج الحدود، ومهما تعددت النظريات المفسرة لهذه الظاهرة، نجد أنّ هناك عدداً من الدوافع وراءها سواءً كان ذلك لتحسين دخل الفرد، أو العمل بالتجارة، أو التعليم، أو الحصول على الأمن.

المبحث الثاني: الدراسات السابقة

هناك ندرة في الكتب والدراسات التي تناولت ظاهرة الهجرة المسيحية، لكن من خلال البحث والتنقيب تم العثور على بعض الدراسات، حيث استعرضت الباحثة (9) دراسات سابقة منها (8) دراسات محلية منها دراسة باللغة الانجليزية، ودراسة عربية، وعُرضت هذه الدراسات وفق الترتيب الزمني من الأقدم إلى الأحدث، وتم الاستفادة منها في إثراء الإطار النظري، وفيما يلي عرض لهذه الدراسات واهم نتائجها والتوصيات التي خرجت بها.

ومن أهم هذه الدراسات:-

1- أعمال مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة بعنوان "الهجرة"، (القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 1991)

هدفت الدراسة إلى تناول ظاهرة الهجرة المسيحية من الأراضي المقدسة من حيث أسبابها، وأبعادها من جميع النواحي الاجتماعية، والسياسية، والتاريخية، والاقتصادية والدينية، والأدبية. اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي من خلال جمع المعلومات من مصادرها الأولية، كما اعتمدت على وصف وتحليل آراء مجموعة من العائلات المسيحية، من خلال دراستين ميدانيتين قام بهما المركز، وتناولتا ظاهرة الهجرة في كل من مناطق بيت لحم ورام الله والقدس وحيفا، أما الدراسة الأولى فقد اعتمدت على توزيع استمارة للحصول على معطيات دقيقة حول هذه الظاهرة في كل من القدس، وبيت لحم، ورام الله، وقد تم اختيار عينات من العائلات المسيحية في كل منطقة بحيث تمثل أكبر عدد ممكن من الطوائف، وتم مقابلة 550 أسرة. أما الدراسة الثانية فركزت على ظاهرة الهجرة في مدينة حيفا، وتم مقابلة 487 عائلة، وأداة البحث كانت عبارة عن استمارتين متكاملتين (استمارة الهجرة، واستمارة شخصية للمهاجر).

جاءت نتائج الدراستين على النحو الآتي:

- 1- أن حوالي 22% من الذين مازالوا يعيشون في فلسطين يرغبون بالهجرة.
- 2- منذ العام 1967م هاجر حوالي عشرين ألفاً من المسيحيين الفلسطينيين من الأراضي الفلسطينية التي احتلتها إسرائيل عام 1967م.
- 3- إنَّ السبب الرئيس للتفكير بالهجرة من مناطق القدس، وبيت لحم، ورام الله هو البحث عن فرص عمل بنسبة 46.3%.

- 4- إنّ نحو 28% من العرب المسيحيين بحيفا ينوون الهجرة إلى خارج البلاد، وتتراوح أعمار أغليبتهم ما بين 20- 30 عاماً.
- 5- إنّ الغالبية العظمى ممن ينوون الهجرة من حيفا سيتوجهون إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وأستراليا، وإنّ 77% منهم لهم أقرباء أو أصدقاء في البلاد التي ينوون الهجرة إليها، في حين أنّ 23% ممن ينوون الهجرة لا يوجد لهم معارف في البلاد التي ينوون الهجرة إليها.
- 6- إنّ توفر إمكانية التعليم العالي المتخصص، وتحسين الظروف الاقتصادية، والاستقرار السياسي تعتبر شروط أساسية يجب توفرها لوقف نزيف الهجرة.

أما نتائج مجموع الدراسات التي قدمت للمؤتمر فجاءت:

- 1- إنّ نزيف الهجرة الذي بدأ منذ نهاية القرن التاسع عشر جرف معه حوالي 85% من المسيحيين الفلسطينيين حتى تسعينات القرن العشرين.
- 2- إنّ العامل الاقتصادي (ندرة فرص العمل وازدياد البطالة) سبب رئيس لهذه الهجرة.

أهم توصيات الدراسة:

- 1- إعداد برنامج للتنمية الاجتماعية لإرشاد المواطن.
- 2- إعداد برنامج للتنمية الاقتصادية من خلال التركيز على النهوض بالأنشطة الاقتصادية المختلفة كالزراعة، والصناعة، والخدمات. إضافةً إلى إقامة مشروعات إنتاجية مختلفة تضمن ارتفاع مستوى الإنتاج القومي، وزيادة فرص العمل مما يساعد المواطن في تحسين مستوى معيشته بكرامة.
- 3- التركيز على مدينة القدس العربية التي تتعرض للاستيلاء على عقاراتها.

2- دراسة: جمال نايف عدوي، بعنوان "الهجرة الفلسطينية إلى أمريكا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1945"، (الناصرة: المطبعة الشعبية بيت الصداقة، 1993).

هدفت الدراسة إلى إلقاء الضوء على تاريخ الهجرة العربية الفلسطينية للولايات المتحدة الأمريكية؛ بسبب قلة الدراسات التي تناولت هذه الهجرة، حيث ركزت معظم الدراسات على هجرة المثقفين. كما تناولت الدراسة عوامل الطرد وعوامل الجذب المؤثرة على هجرة الفلسطينيين إلى أمريكا، وقد اعتمد الباحث على المنهج التاريخي، مع تضمن الدراسة إحصاءات تظهر أعداد المهاجرين في الفترة التي تناولتها الدراسة.

وقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

- كانت نقطة البداية للهجرة من فلسطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر (1876)، وتركزت في أوساط التجار الفلسطينيين.
- شكل العامل الاقتصادي دافعاً رئيساً للهجرة، وخاصةً فئة الشباب الذين أرادوا بناء قاعدة اقتصادية لأنفسهم في الولايات المتحدة الأمريكية، إلى جانب الدوافع الأخرى كالتجنيد الإجباري، والمجاعات، وزيادة الضرائب.
- شهدت فترة الحرب العالمية الثانية "هجرة الأدمغة"؛ بسبب الازدهار الاقتصادي الذي أصاب المنطقة العربية؛ بسبب اكتشاف النفط ما دفع الكثير من الفلسطينيين للهجرة إلى الدول النفطية.

3- رسالة ماجستير للطالب: مفيد عمر اسعد صلاح، بعنوان، "الهجرة الفلسطينية إلى خارج فلسطين خلال عهد الانتداب البريطاني 1917-1948، (نابلس، جامعة النجاح الفلسطينية، 1998م).

هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على دوافع الهجرة الفلسطينية السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وما كان لذلك من اثر على طبيعة الحياة الاجتماعية والبنى السياسية والاقتصادية في الفترة ما بين 1917-1948، كما تناولت دور القوى المحلية والإقليمية والدولية في هذه الهجرة، وكان هذا الدور غير مباشر لبعضها ومباشر لبعضها الآخر، مثل دور سلطات الانتداب البريطاني في كيفية نقل الأراضي الأميرية والمشاع إلى أراضي ملك كمرحلة أولى لتسهيل بيعها وانتقالها لليهود، فمثلاً حولت الحكومة الأراضي المشاع ومساحتها 12 مليون دونم أي حوالي 65% إلى أراضي ملك تخضع لقانون البيع والشراء، وأجبرت الملاك بالاستيلاء أو بوضع اليد على تسجيل ما بأيديهم كأراضي ملك في دائرة تسجيل الأراضي لان الأرض المشاع لا تباع ولا ترهن. وقد اعتمدت الدراسة على مراجعة الأدبيات من كتب ودراسات عربية وعبرية، ووثائق الحركة الفلسطينية، فضلاً عن تقارير اللجان الملكية.

وقد خلصت الدراسة لمجموعة من النتائج أهمها:

- 1- أن الهجرة الفلسطينية بدأت طوعية في نهاية القرن التاسع عشر بسبب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الصعبة في فلسطين، أما بعد الحرب العالمية الأولى تحولت الهجرة إلى قهرية وطوعية.
- 2- أكدت الدراسة أن طرد السكان بالقوة والاستيلاء على أراضيهم كانا الدافعين الرئيسين وراء هجرة الفلسطينيين، أما العوامل الأخرى فقد ترتبت على هذين العاملين.

4- دراسة: د. عبد الواحد اكدير بعنوان "العرب في الأرجنتين: النشوء والتطور"، كان في الأصل أطروحة دكتوراه في إحدى الجامعات الإسبانية نشرت بالإسبانية عام 1991م، الطبعة الأولى، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تشرين الأول/ أكتوبر، 2000).

هدفت الدراسة إلى تتبع الحضور الاجتماعي العربي في الأرجنتين، حيث مر من مرحلة التهميش مع الهجرة الأولى إلى مرحلة الاندماج في الجيل الثاني ثم مرحلة الانصهار في الجيل الثالث. وقد اعتمد الكاتب على المنهج الوصفي من خلال إجراء دراسة ميدانية تضمنت توزيع استمارات على عدد من أفراد الجالية، وحوار مع عناصر فيها، كما رجع إلى أدبيات تناولت الصحافة العربية الصادرة في الأرجنتين ما بين مطلع القرن العشرين ومنتصفه، ووثائق تؤرخ للحضور العربي في الأرجنتين، والبيانات الإحصائية للسلطات الأرجنتينية.

وقد خلصت الدراسة لمجموعة من النتائج أهمها:

1- كانت دوافع الهجرة العربية بالأساس دوافع اقتصادية، في حين جاءت الهجرة لأسباب سياسية، وطائفية في درجة ثانية، وتمت في وقت متأخر بالمقارنة مع الأولى، وقد طالبت الهجرة لدوافع سياسية النخبة المثقفة.

2- رغم أنّ أوائل العرب وصلوا إلى الأرجنتين منذ سبعينيات القرن التاسع عشر، إلا أنّ الهجرة لم تأخذ أبعاداً عديدة مهمة إلا منذ مطلع القرن العشرين، ويمكن اعتبار الفترة الممتدة ما بين عامي 1900- 1930 أهم مرحلة ميزت الهجرة العربية من الناحية العددية، حيث أصبحت الهجرة العربية تحتل المرتبة الثالثة بعد الهجرة الإيطالية والإسبانية. بعد هذه المرحلة لم يعد التزايد العددي للجالية ناجماً عن وفود مهاجرين جدد بل عن الولادات داخل الجالية.

3- تميزت الهجرة في بداية عهدها بكونها هجرة مؤقتة تطال الذكور، حيث تجاوزت نسبة هؤلاء بشكل واضح النسبة المسجلة لدى الهجرات ذات الأصول الأوروبية التي أخذت طابع الاستقرار الدائم منذ نهاية القرن الماضي، وإن أكبر نسبة لدى المهاجرين العرب طاولت أولئك الذين يتراوح سنهم بين عشرين وثلاثين سنة، وهو ما يعني إغناء البلد المستقبل باليد العاملة النشيطة على حساب البلد الأصلي.

4- تمت الهجرة العربية بشكل تلقائي وكان محركها الرئيس رسائل المهاجرين إلى الأصدقاء والأقارب، وكذلك دعاية سماسرة شركات الملاحة التي كانت تميل دائماً إلى المبالغة في وصف غنى العالم الجديد وسهولة الحصول على الثروة.

5- شهد الحضور العربي في الأرجنتين تطوراً كبيراً في مختلف المجالات، منذ الثلاثينيات من القرن العشرين وحتى الآن، بعد أن عانوا من التهميش في سنوات الهجرة الأولى.

5- دراسة: د. عدنان مسلم بعنوان "صفحات مطوية من تاريخ فلسطين المحلي في القرن العشرين تطورات سياسية واجتماعية وصحفية وفكرية في مدينة بيت لحم في العهد البريطاني 1917-1948"، الطبعة الأولى، (بيت لحم: مركز وئام الفلسطيني لحل النزاعات، 2002).

هدفت الدراسة إلى المحافظة على المناخ الثقافي والسياسي والاجتماعي الحيوي في بيت لحم بشكل خاص وفلسطين بشكل عام في النصف الأول من القرن العشرين في ظل غياب الأرشيفات والوثائق الخاصة بمرحلة الدراسة، وهي الفترة ما بين 1917-1948، إضافة إلى وفاة أفراد كانوا مصادر أولية للمعلومات حول هذه الفترة، أو بسبب هجرتهم إلى الأمريكتين، وقد تناولت الدراسة إضافة إلى ذلك هجرة المسيحيين الفلسطينيين من مدينة بيت لحم.

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي في جمع المعلومات وتحليلها.

وقد خلصت الدراسة لمجموعة من النتائج أهمها:

- 1- أدت أحداث النكبة إلى لجوء الآلاف إلى منطقة بيت لحم، والى ازدياد غير مسبوق لعدد سكان المدينة، حيث ازداد عام 1952م بمعدل 2.9% عما كان عليه هذا العدد قبل بدء الهجرة الفلسطينية.
- 2- أصبحت الهجرة بعد عام 1967م تأخذ شكل هجرة جماعية طوعية على خلاف ما عليه الوضع في أحداث النكبة.

التوصيات التي خرجت بها الدراسة للحد من الهجرة:

- 1- توفير الفرص الاقتصادية والاستقرار النفسي للفرد.
- 2- بلورة تربية وطنية ودينية في البيت والمدرسة والمؤسسات المختلفة للحد من الهجرة.

6- رسالة ماجستير للطالب ماهر محمد سعيد درويش: بعنوان "هجرة الشوام إلى مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين". (نابلس، جامعة النجاح الوطنية، 2003).

هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على مسألة الهجرة من بلاد الشام إلى مصر، من خلال محاولة الباحث الإجابة على العديد من التساؤلات المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بها، مثل الأسباب الموضوعية الكامنة وراء الهجرة من بلاد الشام، ودوافع الهجرة إلى مصر، وتوضيح الانعكاسات الايجابية لهجرة الشوام من خلال تناول حضورهم الاقتصادي، وعلاقتهم بالمجتمع المصري، وإسهاماتهم المعرفية في

الحياة الفكرية والثقافية في مصر والمنطقة العربية، وقد اعتمدت الدراسة في منهجيتها على مراجعة الأدبيات التي كتبت بهذا الشأن.

وقد خلصت الدراسة لمجموعة من النتائج أهمها:

- إنّ تدهور الأوضاع الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية كانت وراء هجرة الشوام إلى مصر.
- مثلت مصر منطقة جذب للشوام بسبب الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي.
- سهولة اندماج الشوام مع المصريين بسبب اللغة المشتركة والعادات الشرقية والتاريخ المشترك بين الشوام والمصريين.

7- دراسة مركز السبيل المسكوني للاهوت والتحرر بعنوان "دراسة مسحية حول السكان المسيحيين في الضفة الغربية وإسرائيل، (القدس: مركز السبيل المسكوني للاهوت والتحرر، 2008)

هدفت الدراسة إلى تمكين الكنائس في فلسطين وإسرائيل وفي الخارج من البحث عن طرق لوقف حركة تضاؤل الحضور المسيحي، وبيان إحصائيات ديمغرافية واقتصادية وثقافية، وتقديم معلومات حول هجرة السكان المسيحيين، من خلال التركيز على الهجرة وأسبابها، وعلى التحديات التي تواجه المسيحيين الفلسطينيين واستمرار حضورهم في الأرض المقدسة، كما هدفت الدراسة إلى المقارنة بين أوضاع المسيحيين في الضفة الغربية وإسرائيل. اعتمدت الدراسة على وصف وتحليل آراء مجموعة كبيرة من العائلات المسيحية في الضفة الغربية وإسرائيل حول تفكيرهم بالهجرة إلى الخارج والدوافع وراء ذلك، وتم إجراء مسح العينة على 1500 عائلة، قسمت بالتساوي بين المنطقتين وشملت المناطق الحضرية والأرياف، فكانت حصة فلسطين مقابلة 750 عائلة مسيحية من جميع الطوائف، وشملت جميع مناطق الضفة الغربية ومنها القدس الشرقية، في حين لم تشمل العينة مسيحيي قطاع غزة بسبب الوضع السياسي المتأزم. و 750 عائلة مسيحية في إسرائيل. كما تطرقت الدراسة إلى نواح عدة مثل التركيبة السكانية، والهجرة، والتطورات الديمغرافية للمسيحيين.

وقد خلصت الدراسة لمجموعة من النتائج أهمها:

- 1- يعاني المسيحيون في إسرائيل من الهجرة أقل من معاناة المسيحيين في الضفة الغربية.
- 2- جاءت أسباب هجرة المسيحيين من الضفة الغربية على النحو الآتي:
عبر (44,7%) من الذين يسعون للهجرة أنّ هدفهم الحصول على عمل، و(42,6) يرغبون في مغادرة البلاد؛ بسبب الأوضاع الاقتصادية والسياسية السيئة، و(8,5) يريدون مغادرة البلاد بهدف الالتحاق بالعائلة، أما (4,2%) فعبروا عن رغبتهم في الهجرة بهدف العمل والدراسة، وفي سؤال

حول دور التطرف الديني كدافع للهجرة عبر 7% من المستطلعين في الضفة الغربية والقدس الشرقية انه سبب لهجرتهم، في حين عبر 14% من مسيحيي إسرائيل بأنّ التطرف الديني وراء رغبتهم في الهجرة.

من ذلك يتم الاستنتاج بأنّ ما يقارب 90% من المستطلعة آرائهم في الضفة الغربية والقدس الشرقية يسعون للهجرة؛ بسبب الظروف الاقتصادية والسياسية الصعبة التي يعيشها المسيحيون.

8- دراسة عوض مطرية وآخرون، بعنوان: "هجرة الأدمغة من المجتمع الفلسطيني مع دراسة استكشافية لقطاعي الصحة والتعليم العالي"، الطبعة الأولى، (القدس: معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني ماس، 2008).

هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على ظاهرة هجرة الأدمغة في كل من قطاعي الصحة والتعليم العالي الفلسطينيين، وتقوم منهجية الدراسة على وصف وتحليل آراء مجموعة من العاملين في قطاع الصحة والتعليم العالي في الضفة الغربية وقطاع غزة حول تفكيرهم بالهجرة إلى الخارج الوطن، والدوافع وراء ذلك وبلغ عددهم (240) مبحوث، كما تتطرق الدراسة إلى عرض التجربة الذاتية لـ(8) مهاجرين فلسطينيين من كلا القطاعين، والى تحليل آراء مجموعة من المشاركين في صنع القرار على مستوى الوطن من الوزارات ذات العلاقة حول أهمية وآثار ظاهرة الهجرة الخارجية، والخطوات المعمول بها لتنظيمها والسيطرة عليها، كما تم إجراء مسح العينة ممثلة من الأسر الفلسطينية المقيمة في محافظة رام الله والبيرة وبيتونيا بلغ عددها (850) أسرة لسؤالهم عن رأيهم بالهجرة، وعن هجرة أحد أفراد أسرته.

وقد خلصت الدراسة لمجموعة من النتائج أهمها:

1- عبر (30.8%) عن رغبتهم في الهجرة، 7% هجرة دائمة، و23.8% هجرة مؤقتة، وكان السبب الرئيس وراء ذلك الوضع السياسي والأمني السيئ 79.7%، والرغبة في التطور العلمي في مجال التخصص 77.2%.

2- بالنسبة لدراسة الحالة للمهاجرين الفلسطينيين المقيمين في الولايات المتحدة الأمريكية، وأوروبا، ودول عربية. عبر أولئك عن صعوبات كانوا يواجهونها في إيجاد عمل يتوافق مع تخصصهم الدقيق وبمردود منخفض نسبياً، كما أنهم لم يتمتعوا بأي أمان وظيفي قبل هجرتهم.

3- في المسح الذي شمل (850) أسرة في تجمعات رام الله والبيرة وبيتونيا، وجد أنّ 7.3% من أفراد العينة البالغين من العمر 15 عاماً فأكثر يفكرون بالهجرة وبشكل أساسي لتحسين وضعهم المادي، أو بسبب الوضع السياسي والأمني، وبينت الدراسة أنّ لدى أسر العينة 138 مهاجراً غادر

61.6% منهم بعد بدء الانتفاضة في العام 2000، وقد عزت اسر الأفراد المهاجرة السبب في هجرة أبنائهم إلى الأمل في تحسين الوضع المادي في أكثر من نصف الحالات 52.9%. وكان أهم ما أوصت به الدراسة:

1- ضرورة السعي إلى خلق البيئة الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والصحية المواتية لجذب الكفاءات والحفاظ عليها.

2- العمل على تحديد هوية الجامعات المحلية، والدور الذي يجب أن تحتله في مسيرة التنمية من ناحية البرامج المطروحة، ونوعية الأداء بحيث تصبح الجامعات مصدراً يخرج الكفاءات بالكم والنوعية التي يتطلبها سوق العمل.

3- العمل على إعداد دوائر متخصصة بالوزارات تهتم بشؤون المهاجرين ومتابعتهم وتوفير قاعدة بيانات شاملة لمختلف الجوانب المتعلقة بالكفاءات المهاجرة.

9- دراسة باللغة الانجليزية للباحثين رانية القاص كولينز، ورفعت عودة قسيس، والقس متري الراهب بعنوان "المسيحيون الفلسطينيون في الضفة الغربية: حقائق، أرقام، تحديات"، الطبعة الأولى، (بيت لحم: مؤسسة ديار للنشر، 2012)

هدفت الدراسة إلى إلقاء الضوء على فئة المسيحيين؛ للمساهمة في فهمها وفهم تطلعاتها وآمالها؛ من أجل المساهمة في بناء مجتمع موحد ديمقراطي تقدمي من ناحية، ولتكون حافزاً للمسيحيين للانخراط أكثر في هموم المجتمع وتطويره من ناحية أخرى. كما هدفت الدراسة على التركيز على نقاط القوة عند المسيحيين الفلسطينيين وإسهاماتهم المجتمعية، واعتمدت منهجية الدراسة على وصف وتحليل ما جاء في دراسات سابقة قامت بها مؤسسات أخرى: مثل دراسة مركز السبيل، ودراسة مركز القدس للعلاقات الكنسية، ودراسة مؤسسة ديار حول واقع المسيحيين والمؤسسات المسيحية في الضفة الغربية، والهجرة المسيحية الفلسطينية.

وقد خلصت الدراسة لعدة نتائج أهمها:

1- بالرغم من التناقص في نسبة المسيحيين، إلا أن أعدادهم الفعلية لم تتناقص منذ عام 1961، ففي سنة 1961 كان عدد المسيحيين 45,855 مسيحي انخفض إلى 42,494 مسيحي نتيجة حرب حزيران عام 1967 واستقر عددهم على 51,710 مسيحي في عام 2008، وتعود أسباب الهجرة حسب الدراسة إلى انعدام الأمن والاستقرار السياسي، في حين أفاد ما نسبته 0,8% فقط بان سبب رغبتهم بالهجرة يعود لأسباب دينية.

2- كثرة المؤسسات المسيحية العاملة في الضفة الغربية والتي بلغت 260 مؤسسة مسيحية، بينها حوالي 40 مؤسسة مسيحية دولية تشكل ما نسبته أكثر من 45% من مجمل المؤسسات الأهلية في فلسطين، وأكثر من 70% من هذه المؤسسات تقدم خدمات حيوية في مجالات التعليم والصحة.

3- أكدت الدراسة على اهتمام السلطة الوطنية بالحضور المسيحي على المستوى السياسي، ومن ذلك تشكيل اللجنة العليا للشؤون المسيحية؛ لمتابعة شؤون المسيحيين ومؤسساتهم، وللتواصل بين مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية والمؤسسات المسيحية، فضلاً عن التمثيل المسيحي التشريعي حيث حصل المسيحيون على ستة مقاعد، خمسة في الضفة الغربية وواحد في قطاع غزة، وهناك وزارتين يشغلها مسيحيين، وفي السلك الدبلوماسي، والوظائف العليا حيث يشغل العديد من المسيحيين هذه المناصب العليا.

التعليق على الدراسات السابقة:

تم استعراض (9) دراسات ذات صلة بموضوع الدراسة، ويلاحظ اختلاف كل دراسة عن الأخرى بحسب الهدف الذي تسعى تحقيقه، والمنهجية التي تتبعها، والأدوات المستخدمة لتحقيق هدف الدراسة، والنتائج التي تم التوصل إليها.

تتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في:

دوافع الهجرة: تتفق الدراسة الحالية مع دراسة (مركز اللقاء، 1991)، ودراسة (د. مسلم، 2002)، ودراسة (مركز السبيل، 2008)، ودراسة (رانية القاص كولينز، وآخرون، 2012)، في أهم دوافع الهجرة المسيحية من فلسطين، حيث لعب عدم الاستقرار السياسي الناتج عن الاحتلال الإسرائيلي دوراً مهماً في دفع الفلسطينيين المسيحيين إلى الهجرة خاصة في الفترة ما بين 1948-1967، أما العامل الاقتصادي فظهر بشكل واضح كدافع للهجرة في الفترة ما بين 1967-1990، أما دراسة (اكمير، 2000)، ودراسة (درويش، 2003)، ودراسة (عدوي، 1993)، فتتفق مع الدراسة الحالية في أهم دوافع هجرة العرب منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين، واحتل الدافع الاقتصادي الدافع الرئيس لهذه الهجرة يليه الدافع السياسي والطائفي.

كما اتفقت الدراسة الحالية مع دراسة كل من (مركز اللقاء، 1991) و (د. مسلم، 2000) و(مركز السبيل، 2008)، ودراسة (رانية القاص كولينز، وآخرون، 2012) في الفئة المستهدفة من الدراسة وهم المسيحيون.

تتميز الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في:

الهدف: هدفت الدراسة الحالية إلى تسليط الضوء على هجرة المسيحيين العرب من المشرق العربي عموماً وفلسطين خصوصاً، ويعود ذلك إلى تشابه أسباب الهجرة في المنطقة المشار إليها، إلى جانب خصوصية الهجرة المسيحية، والتي تكمن في أن فرص الجماعة المسيحية للهجرة تكون أكبر من غيرهم؛ بسبب ما تميز به المسيحيون من تعليم ومستوى اقتصادي عالي، ويرجع ذلك لعوامل تاريخية ستنتظر لها الباحثة في الدراسة، عدا عن الخصائص الثقافية التي تسهل لهم الاتصال بالعالم الغربي.

أما الدراسات الأخرى، كدراسة (عدوي، 1993) والتي هدفت إلقاء الضوء على الهجرة الفلسطينية إلى الولايات المتحدة الأمريكية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى عام 1945، في حين ركزت دراسة (صلاح، 1998) على بيان دوافع الهجرة الفلسطينية من عام 1917- 1948، ودراسة (اكمير، 2000) التي هدفت إلى التعرف على الحضور العربي في الأرجنتين، في حين هدفت دراسة (د. مسلم، 2002) إلى المحافظة على المناخ الثقافي والسياسي والاجتماعي الحيوي في بيت لحم بشكل خاص وفلسطين بشكل عام في النصف الأول من القرن العشرين، أما دراسة (درويش، 2003) فهذهت إلى تسليط الضوء على مسالة الهجرة من بلاد الشام إلى مصر، في حين هدفت دراسة (مطرية، 2008) إلى إلقاء الضوء على ظاهرة هجرة الأدمغة في كل من قطاعي الصحة والتعليم العالي الفلسطيني. أما دراسة (مركز السبيل، 2006) و دراسة (رانية القاص كولينز وآخرون، 2012) فاشتركت مع الدراسة الحالية في الهدف، وهو تسليط الضوء على هجرة المسيحيين الفلسطينيين، مع اختلاف الدراسة الحالية عن الدراستين السابقتين في الفترة الزمنية، حيث تناولت الدراسة الحالية هجرة المسيحيين خلال القرن العشرين، في حين تناولت الدراستين السابقتين هجرة المسيحيين في القرن الحادي والعشرين.

تم الاستفادة من الدراسات السابقة في التالي:

- زيادة الرصيد المعرفي لدى الباحثة فيما يتعلق بموضوع هجرة المسيحيين العرب والفلسطينيين، ودوافعها، وأبعادها على البلاد العربية من جهة وعلى المسيحيين من جهة أخرى، والآليات التي يمكن من خلالها الحد من تأثيراتها السلبية.
- التعرف على الجوانب التي تم دراستها ومناقشتها في الدراسات السابقة مما ساعد الباحثة في التركيز على بعض الجوانب المهمة في دراستها الحالية.
- المساعدة في إعداد الخطة وبناء هيكل الدراسة وإثراء الإطار النظري.
- التأكيد على بعض التوصيات في الدراسات السابقة، والتي ارتأت الباحثة أهميتها في المساهمة في الحد من هجرة المسيحيين.

الفصل الثالث

الحضور العربي المسيحي في المشرق العربي

1.3 المقدمة:

يمتاز المشرق العربي بأهمية خاصة لموقعه الاستراتيجي في قلب العالم القديم، فكان حلقة وصل بين قاراته الثلاث آسيا، إفريقيا، وأوروبا. كما وفر اعتدال مناخه وخصوبة تربته ووفرة مياهه البيئية المناسبة لنشأة الحضارات البشرية في وقت مبكر من التاريخ البشري، وشكل جسراً للقوافل التجارية بين الشرق والغرب، وقد أسهمت هذه الظروف في اكتسابه أهمية اقتصادية وسياسية خاصة مبكراً. على أن أهمية هذه المنطقة لم تقتصر على الجوانب آنفة الذكر، بل شاعت الأقدار أن يكون المشرق العربي مهبط الديانات الثلاث اليهودية، والمسيحية، والإسلام التي تعايشت جنباً إلى جنب في سلام باستثناء بعض الفترات التي شهدت سوء العلاقات بينها ما خلق حالة من التوتر والتشنج وصلت في بعض الأحيان إلى الاحتراب.

وعندما بدأ القرن الأول للميلاد كانت منطقة الهلال الخصيب، مصر، و شمال إفريقيا تخضع لسيطرة إمبراطوريتين كبيرتين هما الفارسية التي سيطرت على العراق في الشرق، والإمبراطورية البيزنطية التي سيطرت على بلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا في الغرب وامتدت جنوباً حتى تخوم الحجاز. وفي هذه الفترة بدأت المسيحية بالانتشار بين القبائل العربية منطلقاً من فلسطين حيث اعتنقتها العديد من القبائل العربية، لكنهم تعرضوا لاضطهاد وعنف من قبل الساسانيين لردهم عن الدين الجديد وإخضاعهم لسياساتهم المجوسية⁽¹⁾، ولم يختلف البيزنطيون الوثنيون عن الفرس في إتباع سياسة العنف ضد سكان بلاد الشام ومصر، إذ استمر هذا الاضطهاد مدة ثلاث قرون⁽²⁾، نتج عنه انتشار ضعيف للمسيحية في أوساط سكان المناطق السابقة، لكن ما لبث أن تغير الوضع وشهدت المسيحية انتشاراً واسعاً بين السكان بسبب اعتناق الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الديانة المسيحية وإصداره

(1) فيكتور سحاب، من يحمي المسيحيين العرب، الطبعة 1، (بيروت: دار الوحدة للطباعة والنشر، 1981)، ص: 99.
(2) فؤاد فرح، مرجع سابق، ص: 9.

مرسوم ميلان عام 313م الذي اعتبر فيه المسيحية إحدى ديانات الإمبراطورية الرومانية يسمح بموجبه لإتباعها ممارسة شعائرهم الدينية بصورة علنية⁽¹⁾.

ويلقي هذا الفصل الضوء على الحضور العربي المسيحي، حيث يستعرض المبحث الأول الجذور العربية لمسيحيي المشرق العربي فيبين الأصول العربية للمسيحيين، وبيان أهم القبائل العربية التي اعتنقت المسيحية. ويوضح المبحث الثاني دور المسيحيين العرب في الحضارة العربية الإسلامية. ويستعرض الفصل الثالث دور المسيحيين العرب في النهضة الفكرية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ويناقش هذا المبحث دور المسيحيين الثقافي والسياسي في حركة إحياء الحضارة العربية من خلال إنشاء المدارس الوطنية، والجمعيات السياسية والثقافية، وتأسيس المطابع وإصدار الصحف، وصياغة الفكرة القومية العربية.

(1) ميشيل صباح، "الفكر المسيحي"، الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصة، دراسات الحضارة، القسم 2، المجلد 3، ط 1، (بيروت: 1990)، ص: 498.

المبحث الأول: الجذور العربية لمسيحي المشرق العربي

1.2.3 المسيحية في بلاد الشام قبل الإسلام

منذ القرن الثاني للميلاد هاجرت بعض القبائل العربية التي اعتنق بعضها المسيحية من شبه الجزيرة العربية تجاه الشمال، فاستوطنت سوريا لخصوبة أراضيها واعتدال مناخها وأنشأوا إمارات في كل من تدمر، بتر، لبنان، جنوب سوريا، حمص⁽¹⁾. ومن هذه القبائل بهراء، سليح، كلب، تنوخ، لخم، جذام، عذرة، كنده، وقضاة⁽²⁾، وكانت المسيحية قد وصلت إلى هذه القبائل بسبب قربها من تخوم الإمبراطورية البيزنطية والفارسية من جهة، والنسك والرهبان الذين عملوا على التبشير بالنصرانية بينهم من جهة أخرى⁽³⁾، على أن أشهر هذه القبائل الغساسنة الذين هاجروا من اليمن إلى بلاد الشام في أواخر القرن الثالث للميلاد واستقروا في أرض حوران. تنصر الغساسنة في القرن الرابع الميلادي على المذهب المونوفيزي* واتخذوا الآرامية لغة لهم مع احتفاظهم بلغتهم العربية فكانوا يتحدثون اللغتين⁽⁴⁾.

ومن المؤشرات والدلائل على أن بني غسان قبيلة عربية، أنهم من عرب الجنوب احتفظوا بلغتهم العربية رغم استخدامهم اللغة الآرامية بعد أن استوطنوا الشام، كما أن الغساسنة تمتعوا بانتماء قوي للهوية العربية ويظهر ذلك من خلال النقش العربي المسيحي الذي وجد في حران، إضافة إلى العثور على كتاب (قراءات من الكتاب المقدس) باللغة العربية كما يذكر عرفان شهيد⁽⁵⁾ رغم وجود اختلاف بين دارسي تلك الحقبة حول وجود ترجمة عربية للكتاب المقدس.

وأما فلسطين، فكان انتشار المسيحية فيها محدوداً على عكس ما هو متوقع، ويعود السبب في ذلك إلى الوجود اليهودي الكثيف فيها، حيث اخذوا يحرضون السلطات الرومانية الوثنية ضد المسيحيين.

(1) جورج شحاته فنواي، المسيحية والحضارة العربية، ط 2، (القااهرة: دار الثقافة، 1992)، ص: 73.
(2) سميح غنادري، المهدي العربي المسيحية المشرقية على مدى ألفي عام، ط 2، (الناصرة: إصدار 30 آذار للنشر، آب، 2009)، ص: 169.

(3) المرجع نفسه، ص: 164.
* المذهب المونوفيزي: أحد المذاهب المسيحية الذي اعتنقه جزء من المسيحيين، وأتباعه يعرفون باليعاقبة نسبة إلى يعقوب البردي وهم يؤمنون بالطبيعة الواحدة أي الطبيعة الإلهية، انظر جبرار تروبو، "المسيحية في العقود الإسلامية الأولى" المسيحية عبر تاريخها في المشرق، تحرير حبيب بدر، سعاد سليم، جوزيف أبو نهر، ط 2، (بيروت: مجلس كنائس الشرق الأوسط، والعديد من كنائس المنطقة وبعض المؤسسات الثقافية المحلية والإقليمية والدولية، 2000)، ص: 447.

(4) فيليب حتي، وآخرون، تاريخ العرب (مطول)، الجزء الأول، ط 3، (بيروت: دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، 1958)، ص: 102.
(5) عرفان شهيد، "المسيحية قبل ظهور الإسلام"، المسيحية عبر تاريخها في المشرق، تحرير حبيب بدر، سعاد سليم، جوزيف أبو نهر، ط 2، (مجلس كنائس الشرق الأوسط والعديد من كنائس المنطقة وبعض المؤسسات الثقافية المحلية والإقليمية والدولية، 2002)، ص: 434.

وكان أول تشريع ضد المسيحيين ويحث على اضطهادهم قد صدر زمن نيرون عام 68م الذي حث على القضاء على المسيحيين في الإمبراطورية "لا يجوز على المسيحيين أن يوجدوا"⁽¹⁾. لكن الأوضاع الصعبة التي عانى منها المسيحيون خاصة في فلسطين قد توقفت ولو مؤقتاً بعد أن أصبحت المسيحية ديناً رسمياً للإمبراطورية الرومانية عام 313م.

ومع وصول الحكم العربي الإسلامي إلى بلاد الشام تم تعريب لغة وثقافة السكان فيها، ومع العلم أنّ قسماً من مسيحييها كانوا عرباً أصلاً، ومنهم مسيحيي بيت لحم الذين كانوا عربياً عرباً تعود أصولهم إلى قبائل الغساسنة مثل حامولة الفرحية الذي قدم جدهم فرح من الشام الجنوبية (الأردن حالياً) وحامولة الناجرة التي تعود أصولهم إلى العرب الذين قدموا من نجران، وكذلك حامولة العناترة وتعود إلى قبائل عربية مسيحية هاجرت إلى فلسطين⁽²⁾.

2.2.3 المسيحية في العراق قبل الإسلام

خضعت منطقة بلاد الرافدين لسيطرة الإمبراطورية الفارسية قبل الإسلام. وقد شهدت هذه المنطقة انتشاراً للمسيحية في أوائل القرن الرابع الميلادي بين بعض القبائل العربية مثل بني إباد وبني نجم⁽³⁾. على أن أشهر القبائل العربية التي اعتنق بعض أهلها المسيحية كانت قبيلة المناذرة التي اتخذت الحيرة عاصمة لها ولقب أهلها بالعباد (أي عبّاد عيسى)، وكان المناذرة كالغساسنة مزدوجي اللغة، فاستعملوا اللغة الآرامية والعربية. ومن الدلائل على انتشار المسيحية بين أهلها كثرة الأديرة في الحيرة وما حولها مثل دير هند، وهو دير بنته هند أم عمرو أميرة غسانية وزوجة المنذر الثالث ملك الحيرة⁽⁴⁾، ووجد في الدير كتابة عربية جاء فيها "بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن حجر الملكة بنت الأملاك وأم عمرو بن المنذر، أمّة المسيح وأم عبده وبنت عبدة... فالإله الذي بنت له هذا الدير يترحم عليها وعلى ولدها ويقبل بها ويقومها إلى إقامة الحق، ويكون الإله معها ومع ولدها الدهر الدهر"⁽⁵⁾. وبعد الفتح الإسلامي للعراق تقلص عدد المسيحيين لدخول الكثير منهم في الإسلام، ولم يبقَ منهم سوى مجموعات صغيرة توزعت على عرب تكريت وكندة وإباد⁽⁶⁾.

(1) فؤاد فرح، مرجع سابق، ص: 22.
(2) عدنان أيوب مسلم، السياق التاريخي والسياسي لمشاكل القطاع السياحي وإدارته في مدينة بيت لحم، (نسخة الكترونية)، استرجعت بتاريخ 2014/2/10

<http://bethlehem-holyland.net/Adnan/bethlehem/Historical%20and%20Political%20context.htm>

(3) سمير عبده، المسيحيون العرب... إلى أين- وجهة نظر، ط 1، (بيروت: منتدى المعارف، 2012)، ص: 131

(4) جورج شحاده فنواطي، مرجع سابق، ص: 80.

(5) عرفان شهيد، مرجع سابق، ص: 436.

(6) سمير عبده، مرجع سابق، ص: 134.

3.2.3 المسيحية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

وصلت المسيحية إلى مناطق عدة من شبه الجزيرة العربية حيث اعتنقتها قبائل في الشرق والجنوب والشمال والوسط، أما في الشرق فقد وصلت المسيحية عن طريق مبشرين جاؤوا من الحيرة وكانوا على الأغلب من السريان الذين سكنوا الهلال الخصيب فتتصرت على يدهم قبائل تغلب بن ربيعة، عقيل، بني شيبان، وبني بكر بن وائل⁽¹⁾. في حين اعتنق عدد من قبائل الحجاز المسيحية مثل آيلة (العقبة). كما وجدت المسيحية في دومة الجندل، معان، تيماء، وادي القرى، تبوك⁽²⁾، أما يثرب (المدينة المنورة) فيعتقد بوصول المسيحية إليها لكن على نطاق محدود بسبب قرب النسب بين الأزديين والغساسنة⁽³⁾ وما يؤكد وجود مسيحيين في يثرب ورود ذكرهم في رثاء شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام حسان:

فرحت نصارى يثرب ويهودها لما توارى في الضريح الملحد⁽⁴⁾

في حين لا يعرف عن قبائل مكة أنّ أيّاً منها اعتنق المسيحية باستثناء وجود بعض الآثار المسيحية مثل مقبرة النصارى، وبعض الأفراد النصارى مثل ورقة بن نوفل⁽⁵⁾.

4.2.3 المسيحية في اليمن قبل الإسلام (جنوب شبه الجزيرة العربية)

اختلفت الروايات حول دخول المسيحية إلى اليمن. لكن المؤكد أنه مع بداية القرن الرابع كان قد اعتنقها بعض سكان اليمن خاصة في حمير ونجران والأخيرة تعرض فيها النصارى إلى مذبحه على يد الملك الحميري يوسف ذو نواس اليهودي بعد أن احتلها. وقد وصلت أخبار هذه المذبحة من مصدرين: الأول شهادات جمعها أسقف من الذين نجوا من تلك المذبحة وجاء في هذه الشهادات "جمع اليهود كل عظام الشهداء وأحضرها إلى الكنيسة كموها وجاؤوا القسس والشمامسة ومساعدتهم والقراء وأبنائهم والبنات اللواتي كن في الدير ملاؤوا الكنيسة من الحائط إلى الحائط حوالي ألفي شخص... وفي الأسبوع التالي استشهد مئات آخرين وفيهم نساء تقيات قتلن خلال تعذيب مروع عندما رفضن إنكار المسيح ثم حفرت لهم أخاديد عميقة زودت بمادة حارقة ثم أشعلت"⁽⁶⁾.

أما المصدر الآخر فكان القرآن الكريم الذي تحدث عن أخبار هذه المذبحة في سورة البروج. "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (والسماذ ذات البروج (1) واليوم الموعود (2) وشاهد ومشهود (3) قتل أصحاب الأخدود (4) النار ذات الوقود (5) إذ هم عليها

(1) خليل شوكة، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني 1517-1917، وثائق تاريخية، (الرباط، دن، 2000)، ص: 298.

(2) جورج شحاده قناتي، مرجع سابق، ص: 80، 81.

(3) عرفان شهيد، مرجع سابق، ص: 439.

(4) الأب سهيل قاشا، صفحات من تاريخ المسيحيين العرب قبل الإسلام، ط1، (بيروت: منشورات المكتبة البوليسية، 2005)، ص: 43.

(5) عرفان شهيد، المرجع السابق، ص: 439.

(6) الحضور المسيحي في الأرض المقدسة، تحرير نعيم عتيق، سيدر دعبيس، (القدس: منشورات مركز السبيل المسكوني للاهوت التحرر، 2008)، ص: 63، ص: 64.

قعوداً (6) وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهوداً (7) وما نعموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد (8) الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد (9) إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق (10) (1).

نتج عن المذبحة أن ثارت بيزنطة والحبشة النصرانية لأهل نجران، وانتهى الأمر بسيطرة الحبشة عليها، ما أدى إلى سرعة انتشار المسيحية بين السكان خلال القرن السادس الميلادي (2).

5.2.3 المسيحية في مصر قبل الإسلام

اختلف المؤرخون حول أصل الأقباط، هل هم ساميين أم حاميين، والذي لم يثبت حتى الآن إلى أي من الأصليين ينتمون، لكن تؤكد كثير من المصادر التاريخية أن الأقباط ارتبطوا بعلاقات وثيقة مع العرب في بلاد الشام والجزيرة العربية؛ بسبب الحروب والهجرات من وإلى مصر ما دفع بعض المؤرخين إلى الاعتقاد أن الأقباط تعربوا في فترة سبقت ظهور الإسلام. أما المسيحية فقد ظهرت في مصر في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي على يد القديس مرقس (3)، وبدأت تنتشر في مناطق واسعة منها. في هذه الأثناء كانت مصر خاضعة للإمبراطورية البيزنطية الوثنية، الأمر الذي أدى إلى تعرض الأقباط (أهل مصر) للاضطهاد الذي وصل ذروته في عهد نيرون، ومن تبعه من أباطرة، ولم ينته هذا الاضطهاد إلا عندما أعلن الإمبراطور قسطنطين عن مرسوم ميلان عام 313م وسمح فيه للمسيحيين بممارسة شعائرهم الدينية بحرية بعد أن اعترف بالمسيحية ديانة رسمية في الإمبراطورية (4).

وعادت بيزنطة لاضطهاد الأقباط؛ بسبب الخلاف المذهبي الحاد الذي نشب بينهما، فالروم آمنوا بالطبيعيتين للمسيح، في حين آمن الأقباط بالطبيعة الواحدة له، فعرضهم ذلك لأعمال عنف وقتل وتشريد القسس والأساقفة (5)، وهذا ما يفسر الترحاب بالمسلمين الفاتحين لإنقاذهم من حكم بيزنطة (6).

ورغم ما تعرض له المسيحيين من اضطهاد خلال القرون الستة الأولى من ظهور المسيحية إلا أنها شهدت انتشاراً واسعاً في المناطق العربية، ونتيجة لهذا الانتشار ظهرت في فترة لاحقة أربع بطريركيات كبرى هي بطريركية أنطاكية، بطريركية القسطنطينية، بطريركية الإسكندرية، وطريركية

(1) سورة البروج، من الآية 1 إلى الآية 10
(2) عرفان شهيد، مرجع سابق، ص: 442، 443.
(3) حسين العودات، العرب النصارى، عرض تاريخي، ط1، (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، نيسان، 1992)، ص: 51، 52، 55.
(4) جورج شحادة قنواني، مرجع سابق، ص: 47، 51.
(5) حسين العودات، المرجع السابق، ص: 54.
(6) سمير عبده، مرجع سابق، ص: 145.

وفي نهاية هذا العرض وإن كان موجزاً لجذور القبائل التي اعتنقت المسيحية، قد يتساءل البعض هل المسيحيون في هذه المنطقة عرباً أصلاً؟ أم هم دخلاء عليها؟ يمكن الجزم بأن كثيراً ممن اعتنقوا المسيحية كانوا عرباً أصلاً، كما اعتنقها آخرون لم يكونوا عرباً كالبيزنطيين الذين عاشوا فترة طويلة فيها ولكنهم تعرّبوا في فترة لاحقة. إن عروبة مسيحي المشرق العربي لا شك فيها وإن كانوا ينتسبون إلى أعراق مختلفة كالعرب، الآراميين، الأشوريين، والسريان، فكل هذه الأعراق تعود إلى سام بن نوح (الساميين).

وفضلاً عن العرق، هناك الثقافة العربية التي جمعت المسيحي والمسلم في هذه المنطقة خلال 1400 عام، وأهم مقومات هذه الثقافة اللغة العربية، والتاريخ المشترك، فاللغة العربية عُرفت قبل الإسلام، بدليل وجود شعراء عرب نصرانيين أمثال امرؤ القيس والنابغة الذبياني وغيرهما، لكن التغيير الذي أحدثه الإسلام جعل اللغة العربية أداة التواصل بين الشعوب التي اعتنقت الإسلام، والسكان الذين وجدوا تحت الحكم الإسلامي في المنطقة التي تمتد من الخليج العربي حتى المحيط الأطلسي، ومن البحر المتوسط حتى المحيط الهندي، وهو ما عرف باسم المنطقة العربية نسبةً إلى الناطقين بها، وشعوبها عُرفت بالشعوب العربية سواءً أكانوا مسلمين أم مسيحيين.

(1) فيكتور سحاب، مرجع سابق، ص: 81.

المبحث الثاني: دور المسيحيين العرب في الحضارة العربية الإسلامية

شهد التاريخ العربي الإسلامي نهضتين عربيتين، الأولى بدأت في العهد الأموي ووصلت ذروتها في العهد العباسي، وكان للمسيحيين العرب دورٌ فعّالٌ فيها، لما امتلكوه من ثقافة واسعة ومعرفةٍ بلغات عديدة، فبرعوا في الترجمة، والفلسفة، والطب، والتعريب، والحوار. أما النهضة الثانية التي ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر واستمرت خلال النصف الأول من القرن العشرين، فقامت في بدايتها على أكتاف المسيحيين، لما امتلكوه من علم ومعرفة بسبب التحاقهم بالمدارس الأجنبية التي افتتحتها الإرساليات التبشيرية، مما ساعدهم على معرفة حقوقهم والمطالبة بها، لذلك تهيأت لهم الشروط الموضوعية لقيادة النهضة العربية الثانية وشاركهم بالطبع في ذلك مفكرون مسلمون في فترة لاحقة.

نظر الإسلام نظرة احترام إلى الأديان السماوية وأجل الأنبياء والرسل واعترف برسالاتهم، حتى جعل الإيمان بالرسل ركناً أساسياً من أركان الإيمان. أما بالنسبة للسيد المسيح ووالدته مريم عليهما السلام، فنظر إليهما نظرة إيجابية، ويظهر ذلك في عدة آيات قرآنية، كما في قوله تعالى: "إذ قالت الملائكة يا مريمُ إنَّ الله اصطفاكِ وطهَّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين" صدق الله العظيم⁽¹⁾. كما تحدثت الآية الآتية عن السيد المسيح قال تعالى: "إذ قالت الملائكةُ يا مريمُ إنَّ الله يبشركِ بكلمةٍ منه اسمهُ المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ وجيهاً في الدنيا والآخرةِ ومنَّ المقربين". صدق الله العظيم⁽²⁾.

ومن جهة أخرى لم يدعو الإسلام إلى اضطهاد المسيحيين وإجبارهم على اعتناق الدين الجديد، وإنما خيرهم بينه وبين البقاء على دينهم مقابل دفع الجزية. وإذا ما اختاروا الثانية سُمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية والاحتفاظ بكنائسهم والأمان على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم، وقد ذكر العديد من المؤرخين المعاهدات التي وقَّعت بين المسلمين والمسيحيين والتي ضمنت حماية المسلمين للمسيحيين، ومن هذه المعاهدات، معاهدة نجران عام 613م التي عقدت بين النبي (صلى الله عليه وسلم) ووفد من مسيحيي نجران الذي قدم إليه في المدينة لعقد صلح مع المسلمين، فعرض عليهم النبي (صلى الله عليه وسلم) الإسلام فرفضوا، فمنحهم معاهدة كفل فيها حماية أهل

(1) سورة آل عمران: الآية، 42.

(2) سورة آل عمران: الآية، 45.

نجران وضمان سلامة أرواحهم وأموالهم وديانتهم مقابل عدد من الخدمات كتأمين الطعام للمقاتلين⁽¹⁾.

وبعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، اعتمد تنظيم العلاقة بين المسلمين وسكان البلاد التي فتحوها من أهل الكتاب على أساسيين: الأولى الآية القرآنية الآتية " قاتلوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" صدق الله العظيم⁽²⁾.

أما الأساس الثاني فهو المعاهدة التي وقعت بين النبي (صلى الله عليه وسلم) وأهل نجران والتي اعتمد عليها الخلفاء الراشدون مع مسيحيي البلاد التي فتحوها، ومن أشهر هذه المعاهدات العهدة العمرية التي عقدها عمر بن الخطاب مع البطريرك صفرونيوس بطريرك القدس⁽³⁾.

ومع انتقال الخلافة إلى بني أمية انتقل مركزها إلى الشام واتخذوا دمشق عاصمةً لهم؛ وذلك لأسباب سياسية تعلق بالخلافت بين المسلمين حول أحقية بني أمية بالخلافة. رغم القلاقل الداخلية التي واجهت الدولة الأموية، والحروب الخارجية وتوسع الدولة شرقاً حتى الهند وغرباً حتى المغرب، عاشت الدولة نوعاً من الاستقرار والازدهار، مما حدا بالأمويين إلى الاهتمام ببناء الدولة، فكان لا بدّ لهم من الاعتماد على أهل الكتاب وخاصة المسيحيين منهم، لما لهم من دراية وخبرة بدقائق الأمور خاصة في مجال الحكم والإدارة والأمور المالية التي اكتسبوها خلال عملهم في الدولة البيزنطية والفارسية الأمر الذي ساعد الخلفاء الأمويين في تأسيس الدولة⁽⁴⁾.

وكما هو معروف كان المسيحيون العرب قبل الإسلام أبناء الإمبراطورية البيزنطية فاعتنقوا ثقافتها، وتعددت اللغات التي أتقنوها وبرعوا بالعلوم المختلفة، وعندما أتى المسلمون وبدؤوا بناء دولتهم كان للمسيحيين مساهمةً في هذا البناء بالترجمة، والفلسفة، والطب، والتعريب، والعمارة، وغير ذلك من بحور العلم. وظهرت مجموعة من العلماء والأدباء والمفكرين الذين يصعب تصنيفهم بحسب الفروع التي برعوا فيها، إذ إن معظمهم برعوا في علوم عدة في الوقت نفسه، ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر:

(1) جبرار تروبو، " المسيحية في العقود الإسلامية الأولى" المسيحية عبر تاريخها في المشرق، تحرير حبيب بدر، سعاد سليم، جوزيف أبو نهرو، ط 2، (بيروت: مجلس كنائس الشرق الأوسط، والعديد من كنائس المنطقة وبعض المؤسسات الثقافية المحلية والإقليمية والدولية، 2000)، ص: 454.

(2) سورة التوبة: الآية، 29.

(3) أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، المجلد 2، الجزء 4، ط 1، (بيروت: الطبعة الحسينية المصرية، ب. ت)، ص: 159، 160.

(4) نبيه عاقل، تاريخ خلافة بني أمية، الجزء 2، ط 3، (بيروت: دار الفكر، 1975)، ص: 79، ص: 391.

- **حنين بن اسحق وأولاده**، برعوا في الفلسفة والترجمة والطب، فقد أتقن حنين اللغة العربية والسريانية واليونانية، ترجم 95 كتاباً لـ جالينوس من اليونانية إلى السريانية، وترجم 39 كتاباً إلى العربية. ويستشهد الدكتور جورج قنوتي بما ذكره المستشرق الدكتور لوكلير في كتابه (الطب العربي) في وصف حنين "يعد حنين أقوى شخصية أنجبها القرن التاسع بل أشد رجال التاريخ ذكاءً وأحسنهم خلقاً... وهو وإن لم يكن باعث الحضارة في الشرق إلا أن أحداً لم يشارك مشاركة فعالة وراسخة ومثمرة كما فعل حنين⁽¹⁾".

- **آل يخيئيشوع**: خدموا الخلفاء العباسيين بالترجمة والطب. اشتهر منهم جورجس بن جبريل بن يخيئيشوع وكان طبيباً للخليفة المنصور، يخيئيشوع بن جورجس، جبريل بن يخيئيشوع وغيرهم من علماء هذه العائلة.

- **يوحنا بن ماسوية**: كلفه هارون الرشيد بترجمة الكتب القديمة، كان طبيباً ماهراً وله حظوة عند الخلفاء العباسيين هارون الرشيد، الأمين، والمأمون.

- **قسطن بن لوقا**: طبيب وفيلسوف مترجم وعالم بالهندسة أجاد العديد من اللغات فترجم العديد من الكتب إلى العربية. من مؤلفاته على سبيل المثال لا الحصر كتاب (أوجاع النقرس).

- **أبو يحيى المروزي**: كان سريانياً طبيباً وفيلسوفاً⁽²⁾.
كما برع الكثير من المسيحيين ومن مختلف الطوائف في العلوم كأولاد العسال، وابن البيطار وغيرهم⁽³⁾.

وإذا كانت النهضة العربية بدأت زمن الأمويين، فإن ازدهارها وتطورها وصل ذروته في العهد العباسي الأول في عهد هارون الرشيد الذي عمل على إحياء العلوم والآداب المختلفة وسنّ قانون "حيثما نبني جامعاً نبني مدرسة"⁽⁴⁾. وسار على خطاه أبناؤه الأمين والمأمون حتى أضحت الحضارة العربية الإسلامية أعظم حضارة في العالم في العصور الوسطى، كما أصبحت بغداد والأندلس محج طلاب العلم من أوروبا.

ورغم ما تعرض له المسيحيون في عهد بعض الخلفاء من سوء معاملة كما تذكر بعض المصادر التاريخية، مثل عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، والذي فرض قيوداً مشددة على المسيحيين، شملت اللباس، ومنعهم من قرع أجراس الكنائس⁽⁵⁾، وتعرضهم للاضطهاد زمن الحاكم بأمر الله

(1) جورج شحادة قنوتي، مرجع سابق، ص: 205.

(2) المصدر نفسه، ص: 192، 193، 201، 222، 223، 214.

(3) فؤاد فرح، مرجع سابق، ص: 35.

(4) فدوى أحمد محمود نصيرات، المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام ومصر، ط 1، 1840-1918، (بيروت: مركز

دراسات الوحدة العربية، 2009)، ص: 83.

(5) سمير عبده، مرجع سابق، ص: 48.

الخليفة الفاطمي الذي ألزم المسيحيون لبس السواد، وهدم الكنائس ومنها كنيسة القيامة⁽¹⁾، والذي أمر بإعادة بنائها بعد عام، إلا أنهم لم يتأخروا عن المشاركة في بناء الدولة العربية الإسلامية، والاندماج بها، ساعدهم في ذلك انفتاح أغلب الخلفاء الأمويين والعباسيين الذين لم يولوا الديانة أهمية كبيرة. كما شجعت سياسة التسامح الديني تجاه أهل الكتاب، والمكانة المرموقة التي حظي بها العلماء، قيام النصارى بدورهم في نقل العلوم من الحضارات السابقة.

(1) فيليب حتي، وآخرون، تاريخ العرب مطول، الجزء الثالث، ط2، (بيروت: دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، 1953)، ص: 735.

المبحث الثالث: دور المسيحيين العرب في النهضة الفكرية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

شهدت فترة الحكم العثماني للبلاد العربية تراجع العلوم والمعرفة وانتشار الجمود الفكري، واستمر هذا الجمود والتأخر حتى منتصف القرن التاسع عشر حيث كان العرب على موعد مع نهضة جديدة تضافرت عدة عوامل لظهورها، ولعب بها المسيحيون دوراً ريادياً إلى جانب المفكرين المسلمين، ومن هذه العوامل:

1.4.3 أوضاع المسيحيين في الدولة العثمانية (نظام الملل)

خضعت البلاد العربية للحكم العثماني في عام 1516م اثر انتصارهم في معركة مرج دابق على المماليك، واستمر حكمهم أربعة قرون، وانتهى عام 1918م نتيجة هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى.

تعرضت البلاد العربية خلال الحكم العثماني لكثير من الأحداث التي غيرت من نظرة العرب إلى الدولة العثمانية دولة الخلافة، وبدأ يظهر لديهم شعور بالاعتزاز بقوميتهم العربية والتي تميزهم عن الأتراك. بدأ هذا الشعور بالنمو التدريجي منذ نهاية القرن الثامن عشر ووصل ذروته في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فظهر ما عرف تاريخياً باليقظة الفكرية العربية التي بدأت فكرية ثقافية لكنها ما لبثت أن تحولت إلى يقظة فكرية، وسياسية، واجتماعية، واقتصادية. وتدرجت هذه الحركة من المطالبة بإصلاحات داخل الدولة العثمانية إلى المطالبة بالانفصال عن الأستانة وإقامة دولة عربية مستقلة.

ضمت الدولة العثمانية رعايا متباينين في الأعراق والأديان قامت بتقسيمهم إلى مسلمين وغير مسلمين وطبقت على غير المسلمين نظام الملة⁽¹⁾.

ظهر استخدام مصطلح الملة* لأول مرة في القرآن الكريم وكان يعني الدين ويظهر ذلك في عدة آيات قرآنية نذكر منها: قال تعالى "قُلْ صَدَقَ اللَّهُ، فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" صدق الله

(1) فيليب، حتي، وآخرون، تاريخ العرب (مطول)، الجزء 3، ط 2، مرجع سابق، ص: 855.
* الملة: لفظ يطلق على جماعة دينية ينتمي أفرادها إلى نفس المذهب الديني، ونظام الملة وجد في العهد العثماني للتمييز بين المواطنين المسلمين والرعايا غير المسلمين، ويكلف السلطان الرئيس الروحي للطائفة الدينية حق رعاية شؤون رعاياهم العامة والشخصية وحرية ممارسة شعائرهم الدينية، وكان يطلق عليه (مليت باشي) انظر: احمد حامد إبراهيم القضاة، نصارى القدس، ص: 63، ص: 64.

العظيم⁽¹⁾ وأول من استخدمه في الدولة العثمانية السلطان محمد الفاتح (1451-1581)⁽²⁾، وكان عدد الملل غير الإسلامية بعد فتح القسطنطينية ثلاث ملل فقط، هي ملة الروم، ملة الأرمن، وملة اليهود، بعد ذلك اخذ عدد الملل يزداد ليصل إلى أربع عشر ملة⁽³⁾.

وكان لهذا النظام تداعيات أثرت في حياة المسيحيين، فنظام الملة ساعد على عزلة كل طائفة، وأصبحت كل منها تتمتع بنوع من الإدارة الذاتية فيما يخص شؤونها الدينية والمدنية، وفي المقابل كانت الدولة تتولى حمايتهم ونادراً ما تتدخل في شؤونهم الداخلية ما داموا ملتزمون بدفع الجزية، كما اعتبر هذا النظام أهل الذمة في درجة أدنى من المسلمين لا يتمتعون بكامل الحقوق مثل المشاركة السياسية وتولي وظائف عليا في الحكومة.

وترك نظام الملة الذي انتقده كثير من المفكرين المسيحيين أثراً إيجابية على حياة وتطور المسيحيين العرب ولو دون قصد، فقد تمتعوا بموجب هذا النظام بدرجة من الحرية خاصة في المجال الاقتصادي والثقافي بعد الاستفادة من الامتيازات الأجنبية الممنوحة للرعايا الأجانب والتي شُمل بها المسيحيين العرب بضغط من الدول الأوروبية، فكانوا وسطاء بين التجار الأوروبيين والمواطنين المستهلكين مما أدى إلى زيادة ثرائهم، في حين تراجعت أوضاع التجار والحرفيين المسلمين؛ بسبب المنافسة الشديدة التي قامت بها الشركات الأجنبية، كما استفاد المسيحيون من التحاقهم بالمدارس التبشيرية التي ساهمت بتقدمهم الثقافي والعلمي ومكنتهم من التعرف على الثقافة الغربية⁽⁴⁾. الأمر الذي كان منطلقاً لتكوين اتجاه فكري سياسي سينمو عبر الجمعيات والمجلات والصحف، والذي تميز بطروحاته القومية ودعوته الليبرالية والعلمانية.

2.4.3 التغلغل الأوروبي في البلاد العربية

شهدت المنطقة العربية منذ نهاية القرن الثامن عشر صراعاً من أجل السيطرة عليها من قبل الدول الاستعمارية، وظهر هذا الصراع بشكل خاص بين بريطانيا وفرنسا عندما قامت الأخيرة بتوجيه حملة عسكرية بقيادة نابليون بونابرت (1798-1801) إلى مصر وبلاد الشام، وجلبت معها

(1) سورة آل عمران، الآية: 95
(2) احمد، حامد إبراهيم القضاة، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، ط1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، أيلول/سبتمبر، 2007)، ص: 67.
(3) الأب فينسنتو، بودجي، "المسيحية خلال العصر العثماني الثاني"، المسحية عبر تاريخها في المشرق، تحرير حبيب بدر، سعاد سليم، جوزيف أبو نهرو، ط 2، (بيروت: مجلس كنائس الشرق الأوسط، والعديد من كنائس المنطقة وبعض المؤسسات الثقافية المحلية والإقليمية والدولية، 2000)، ص: 657
(4) فدوى نصيرات، مرجع سابق ص: 48، 49، 50.

إضافةً إلى الجيش العلماء في مختلف العلوم. ورغم فشل الحملة في تحقيق أهدافها العسكرية إلا أنها نبهت العرب إلى ما هم عليه من تخلف وما عليه الغرب من تقدم⁽¹⁾، خاصةً حول الأفكار المتعلقة بنظام الحكم، فتعرفوا على طبيعة الدولة المعاصرة من حيث سلطاتها وتمثيلها للشعب، وتوفير الحريات المختلفة، واحترام الآخر⁽²⁾. كما نبهت هذه الحملة إلى أهمية موقع المنطقة العربية على طرق المواصلات العالمية، فأصبحت ميداناً للتنافس الاستعماري بين الدول الأوروبية، خاصةً بريطانيا التي سعت للسيطرة على مصر لأهمية موقعها على طرق المواصلات إلى مستعمراتها في الهند.

وقامت الدول الأوروبية بتعزيز نفوذها السياسي والثقافي في مصر وبلاد الشام عن طريق الإرساليات التبشيرية، واستغلت علاقاتها الودية مع محمد علي حاكم مصر، وابنه إبراهيم باشا حاكم بلاد الشام الذي فتح الأبواب على مصراعها أمام البعثات الأجنبية، والتي لعبت دوراً مهماً في ظهور النهضة الفكرية العربية.

وبدأ نشاط الإرساليات التبشيرية خاصة في بلاد الشام في فترة مبكرة (القرن السادس عشر)، قادته كنيسة روما بإرسال المرسلين اليسوعيين وغيرهم لإقامة علاقات مع مسيحي الشرق، وتأسيس معهد شرقي في روما لتثنية اكليروس كاثوليكي شرقي، وبرز منهم البطريرك الماروني اسطفان الدويهي (1670 - 1704) ويوسف السمعاني (1687 - 1768) وغيرهم، وعمل هؤلاء كحلقة وصل بين الشرق والغرب⁽³⁾.

وإزداد قدوم الإرساليات التبشيرية إلى بلاد الشام ومصر منذ القرن السابع عشر ومن هذه الإرساليات:

الإرساليات الكاثوليكية: ومنها إرساليات اليسوعيين والعاذريين والتي قدمت إلى المنطقة في أوائل القرن السابع عشر، وطورت نظاماً تعليمياً لخدمة أبناء الطوائف الكاثوليكية، فافتتحت العديد من المدارس أشهرها مدرسة غزير عام 1843م التي تحولت إلى جامعة القديس يوسف في بيروت وخرجت أجيالاً من المثقفين⁽⁴⁾. كما أنشئت كلية الطب والصيدلة عام 1883م التي خرجت الفترة ما

(1) عدنان أيوب مسلم، " دور العرب المسيحيين في صياغة المسيحيين الفكرة القومية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين"، مجلة اللقاء، السنة الثانية، العدد الرابع، 1993، ص: 79.

(2) حسين العودات، مرجع سابق، ص: 183.

(3) عدنان أيوب مسلم، " دور العرب المسيحيين في صياغة المسيحيين الفكرة القومية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين"، المرجع نفسه، ص: 78.

(4) جورج انطونيوس، بقطة العرب تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة ناصر الدين الأسد، إحسان عباس، ط 2، (بيروت: دار العلم للملايين، 1966) ص: 108.

بين 1883-1908م 313 طالباً من سوريا، لبنان ومصر⁽¹⁾. وأسس رهبان الفرنسي سكان عام 1850م مركزاً لدراسة الكتاب المقدس في القدس وضم مكتبة تحوي آلاف المجلدات⁽²⁾.

الإرساليات البروتستانتية: بدأت نشاطها في مدينة القدس عام 1820م ثم امتد إلى اسطنبول، مصر، لبنان سوريا⁽³⁾، وأسست أولى مدارسها في بيروت عام 1824م على يد مسيحي عربي يدعى طنوس حداد، على أن أهم ما يميز الإرساليات البروتستانتية اهتمامها بإنشاء مدارس للإناث إلى جانب مدارس الذكور. كما نشطت هذه الإرساليات في تأسيس الكليات مثل الكلية السورية الإنجيلية في بيروت عام 1866م ودرست مختلف العلوم. كما أسسوا الجامعات في القاهرة وتركيا.

الإرساليات الروسية: بدأت نشاطها التبشيري في مدينة القدس بعد أن افتتحت قنصليتها في القدس عام 1840م اتبعتها بإقامة شبكة من المدارس في القدس وبعض المدن الفلسطينية التي يتواجد بها مسيحيون وبشكل خاص الأرثوذكس وكان التعليم باللغة العربية ومجاني⁽⁴⁾.

وان كان نشاط الإرساليات التبشيرية أحد أوجه التغلغل الأجنبي في المنطقة؛ إلا أنها تعتبر من العوامل التي ساعدت في تكوين اليقظة الفكرية العربية، فهي ساعدت على تعلم اللغات الأوروبية الحديثة، كما ركزت على العلوم الحديثة مثل الطب والهندسة والقانون، ولعبت دوراً في تخريج من أعدادٍ من المثقفين الذين تشربوا الحضارة الغربية وأضحوا من مروجي فكرة الإصلاح في الشرق، وظهر الأفكار القومية، والليبرالية، والعلمانية.

ولم تقتصر مؤسسات التعليم على المدارس الأجنبية؛ بل انضمت إليها مدارس محلية، ولعبت الكنائس المحلية دوراً في تأسيس عدد لا بأس به من المدارس الوطنية وركزت اهتمامها بدايةً بالتعليم الديني، ثم ما لبثت أن أدخلت علوماً أخرى إلى مناهجها منذ نهاية القرن الثامن عشر، فبدأت تدرس العلوم واللغة العربية وآدابها. ومن أشهر مدارس هذه الحقبة الزمنية، عين ورقة 1789م، مار عبدا 1830م، وأسسها الموارنة، وعين تريزا 1811م، ودير المخلص 1828م وأسسها الروم الكاثوليك. بينما تراجع التعليم بين عامي 1845-1860م بسبب الفتنة الطائفية التي شهدتها سوريا ولبنان لكن وما لبث أن عاد بوتيرة أكبر مع انتهاء أحداث هذه الفتنة⁽⁵⁾. ومن أهم المدارس المحلية في تلك

(1) جيروم شاهين، "المسيحيون والنهضة العربية"، المسيحية عبر تاريخها في المشرق، تحرير حبيب بدر، سعاد سليم، جوزيف أبو نهرو، ط 2، (بيروت: مجلس كنائس الشرق الأوسط، والعديد من كنائس المنطقة وبعض المؤسسات الثقافية المحلية والإقليمية والدولية، 2000)، ص: 802.

(2) فدوى نصيرات، مرجع سابق، ص: 67، 68.

(3) جيروم شاهين، المرجع السابق، ص: 801.

(4) فدوى نصيرات، مرجع نفسه، ص: 69، 70، 73.

(5) جيروم شاهين، مرجع سابق، ص: 799، 800.

الفترة المدرسة الوطنية عام 1863م والتي أسسها بطرس البستاني وكانت تقوم على أساس التسامح الديني⁽¹⁾ كما أسست مدرسة الثلاثة أعمار عام 1856م، ومدرسة زهرة الإحسان عام 1880م للبنات ومدرسة البطريركية عام 1865م، ثم مدرسة الحكمة⁽²⁾.

وأما فلسطين، فكانت أوضاعها التعليمية حتى أوائل القرن التاسع عشر بالغة السوء، غير أن السلطات العثمانية قررت النهوض بالتعليم بعد إعلانها الإصلاحات منذ أواسط القرن التاسع عشر، ففتحت مدارس حكومية بلغت في نهاية القرن التاسع عشر 95 مدرسة ابتدائية، وكانت تدرس باللغة التركية، وطلابها من أبناء المسلمين، أما الطوائف المسيحية فكان الوضع عندها مختلف، فقد اعتمدت على المدارس التبشيرية، والمدارس المسيحية المحلية، والتي انتشرت في جميع المدن الفلسطينية الرئيسية مثل القدس وضواحيها، حيفا، ويافا، ونابلس، وعكا، والناصرية، وكانت تتمتع بمستوى تعليم عالي، إلى جانب اهتمامها بتدريس اللغة العربية، ومن أهم المدارس التبشيرية مدرسة الفير، ومدرسة صهيون التي كانت تتبع البعثات اللاتينية، ومدرسة دار الأيتام السورية، ومدرسة طاليتا، ومدرسة الهيكلين التي تتبع البعثات الألمانية، إلى جانب الجمعية الأرثوذكسية، وجمعيات الروم الكاثوليك، ونتج عن هذا النشاط التعليمي التي قامت به المدارس المسيحية أن انتشرت الثقافة بين المسيحيين على نحو أفضل مما حققه المسلمون، وبرز من المثقفين المسيحيين خليل السكاكيني، ونجيب نصار، وحنا العيسى، واسكندر الخوري، وخليل بيدس⁽³⁾.

3.4.3 إصلاحات الدولة العثمانية:

مع بداية القرن التاسع عشر كان لا بدّ للدولة العثمانية من إجراء تغيير في معاملتها لأهل الكتاب وخاصة النصارى منهم تحت ضغط التطورات والأحداث التي تعرضت لها الدولة، كحملة نابليون بونابرت على مصر وبلاد الشام عام (1798-1801)، واستقراد محمد علي والي مصر بحكمها، والتي شهدت تغييرات سياسية وعسكرية واقتصادية وثقافية، نتيجة الإصلاحات الواسعة التي قام بها؛ من أجل إنشاء دولة قوية وعصرية على النموذج الفرنسي، ومن إصلاحاته إصدار مرسوم عام (1822) أكد فيه على فصل الدين عن الدولة، كما قام بتحقيق المساواة بين المواطنين على اختلاف طوائفهم، ولأنه أراد دولة عصرية فقد اعتمد على الأقباط في الوظائف المالية، والإدارية لما يتمتعون

(1) منير موسى، الفكر العربي في العصر الحديث (سوريا، من القرن الثامن عشر حتى العام 1918)، ط 1، (بيروت: دار الحقيقة للطباعة والنشر، 1973)، ص: 190.

(2) جبروم شاهين، المرجع نفسه، ص: 800.

(3) محمود زايد، الاتحادات والجمعيات والروابط والمطابع والأندية ومؤسسات البحوث الفلسطينية ومراكزها، الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصة، دراسات الحضارة، القسم 2، المجلد 3، ط 1، (بيروت: 1991)، ص: 181، انظر كامل العسلي، التعليم في فلسطين من الفتح الإسلامي وحتى بداية العصر الحديث، الموسوعة الفلسطينية، المرجع السابق، ص: 26

به من معرفة علمية ومهارة وخبرة⁽¹⁾. أما بلاد الشام التي خضعت للحكم المصري عام (1831م)، فنالت حصتها من الإصلاحات التي قام بها إبراهيم باشا ابن محمد علي، فأصدر المراسيم التي تؤكد على المساواة بين المسلمين والمسيحيين في الحقوق والواجبات مثل مرسومه عام (1839م)⁽²⁾. وإلغاء الضرائب التي فرضت على النصارى خاصة التي كانت تؤخذ منهم عند زيارتهم لمدينة القدس⁽³⁾. كما ألغى القوانين الخاصة بلباس الذميين، فسمح لهم بلبس الملابس الملونة وأعفاهم من النزول عن الدابة عند مصادفة مسلم في طريقهم⁽⁴⁾.

انتهى الحكم المصري لبلاد الشام بعد إرغام الدول الأوروبية محمد علي على الانسحاب منها، مع إدراك هذه الدول حالة الضعف التي دبت في الدولة العثمانية، فبدأت بالضغط عليها لإجراء إصلاحات على غرار الإصلاحات التي قام بها محمد علي. كما أدركت الدولة العثمانية أنه من الصعب العودة إلى ما قبل حملة محمد علي على بلاد الشام؛ ما دفعها إلى إصدار عدة مراسيم تناولت فيها إصلاح أوضاع رعاياها المسيحيين وهي خط شريف كولخانة عام (1839م)، الذي أكد على ضرورة توفير الحماية لجميع رعايا الدولة؛ على حياتهم وأموالهم وجاء فيه "تمتاز سائر تبعية دولتنا العليا من المسلمين وسائر الملل الأخرى بمساعدتنا هذه بدون استثناء، وقد أعطيت من طرفنا الملوكي الأمنية القائمة في الروح والعرض والناموس والمال لكل أهالي ممالكنا المحروسة"⁽⁵⁾. وتبع خط شريف كولخانة إصدار خط همايون عام (1856) والذي أكد على ما جاء في خط كولخانة من مساواة جميع المواطنين أمام القانون، إضافةً إلى حق المسيحيين في ترميم كنائسهم وحرية ممارسة شعائرهم الدينية "... ولا ينبغي أن يقع موانع في تعميم وترميم الأبنية المختصة بإجراء العبادات على أن تعرض صورة رسمها وإنشائها على بابنا العالي لكي تقبل تلك الصورة المعروضة..."⁽⁶⁾، كما سمح لأهل الكتاب تولي وظائف حكومية، وحق انتخابهم في المحاكم النظامية ومجالس الولايات، ومنع استخدام ألفاظ تحط من قدر غير المسلمين، لاختلاف دينهم أو لغتهم أو جنسيتهم، وأصبح مسموحاً لهم الالتحاق بالمدارس العسكرية، ورغم ذلك تم إعفاؤهم من الخدمة العسكرية مقابل البديل العسكري*⁽⁷⁾.

(1) فؤاد فرح، مرجع سابق، ص: 60 .

(2) فيليب حتي، وآخرون، تاريخ العرب (مطول)، الجزء 3، ط 2، مرجع نفسه، ص: 878.

(3) احمد، حامد إبراهيم القضاة، مرجع سابق، ص: 445.

(4) James Finn, *Stirring Time*, 2vols.(London; C.K. Paul and Co,1878), P. 201 .

(5) فدوى نصيرات، مرجع سابق، ص: 62.

(6) احمد حامد إبراهيم القضاة، مرجع سابق، ص: 452، 453.

(7) فدوى نصيرات، مرجع سابق، ص: 62، 63.

*- البديل العسكري: مبلغ من المال يدفعه غير المسلمين مقابل إعفائهم من الخدمة العسكرية، وفي العام 1909م أصدرت الدولة العثمانية فرماناً جعلت فيه دفع البديل العسكري على عشرة إقساط تدفع ابتداءً من شهر آذار من كل سنة وكان مقدار البديل خمسة وعشرون قرشاً على جميع الذكور ما بين 18 عاماً و 60 عاماً، انظر محمد عقل، وثائق محلية من فلسطين العثمانية ودراسات توثيقية، ط 1، (كفر قرع: دار الهدى للطباعة والنشر، 2005)، ص: 30.

واستكمالاً للإصلاحات أصدر السلطان عبد العزيز خط التنظيمات الجديدة (1874م) والذي أكد فيه ما جاء في خطي كولخانة وهمايون، ثم أعلن السلطان عبد الحميد الثاني عن إصدار الدستور العثماني عام (1876م) الذي أصبح بموجبه كل مواطن في الدولة العثمانية يدعى عثمانياً بغض النظر عن الدين، كما أبقى على الامتيازات التي منحت لجميع الملل⁽¹⁾.

ولم يكن تحسن أحوال العرب المسيحيون وليد الإصلاحات العثمانية آنفة الذكر؛ بل سبق هذه الإصلاحات، فمنذ بداية القرن التاسع عشر رفضت الدولة العثمانية تعرض النصارى للسرقة أو الاعتداء أو الإهانة، فكان السلطان العثماني لا يتوانى في إصدار فرمان يطلب فيه معاقبة من تعرض لهم، كما كفل لهم حرية العبادة وإقامة شعائرهم الدينية بحرية. مثال على ذلك عزل الدولة محمد نسيبة بواب كنيسة القيامة عندما شتم النصارى أثناء زيارتهم كنيسة القيامة.⁽²⁾

وأما موقف السواد الأعظم من المسلمين تجاه هذه الإصلاحات فجاء رافضاً لها؛ لأنها ساوت بينهم وبين غير المسلمين، كما استغلها المسيحيون لصالحهم فبدأوا بمخالفتها، وتعتبر الحادثة التي جرت في الناصرة خير دليل على ذلك، عندما توجه القاضي الشيخ أمين برفقة القنصل البريطاني روجرس لزيارة احد أبناء القرية (الناصرة) وكان فتح بيته لعقد حلقات لقراءة وشرح الكتاب المقدس، كان من ضمن الحضور رجل مسلم، فما كان من الشيخ إلا أن هدد الرجل فتدخل القنصل قائلاً "أن جلالة السلطان كتب فرماناً (يقصد التنظيمات) يولي كل فرد من تابعيه أن يدين بما أراد بحيث يحق لكل من شاء تغيير مذهبه عن اعتقاد أن يفعل... فرد القاضي عليه بأن السلطان يأكل بطيخاً"⁽³⁾ هذه الحادثة تظهر مدى استياء المسلمين من الإصلاحات، كما ساهمت في ظهور قلق اجتماعي في أوساطهم، وقد استغل هذا الاستياء خلال أحداث الفتنة الطائفية بين الدروز والموارنة في لبنان والتي راح ضحيتها الآلاف.

4.4.3 الجمعيات الأدبية والسياسية:

شكلت المدارس الوطنية والأجنبية بيئة حاضنة لنهضة فكرية عربية عندما أدرك منتسبوها الفرق الشاسع بين ما عليه العرب من تخلف وما عليه الغرب من تقدم، وللنهوض بالوضع الثقافي العربي بدأ المثقفون العرب وعلى وجه الخصوص المسيحيون منهم، يعاونهم عدد من رجال المدارس التبشيرية الأجانب بإنشاء الجمعيات الأدبية والسياسية العلنية والسرية، مثل جمعية الآداب والعلوم في

(1) احمد حامد إبراهيم القضاة، مرجع سابق ص: 459، 460.

(2) المرجع نفسه، ص: 440.

(3) المرجع نفسه، ص: 454، 455.

بيروت (1847-1852)، والجمعية العلمية السورية في سنة 1857 وبلغ عدد أعضاؤها 150 عضواً وكانوا من جميع الطوائف⁽¹⁾، وجمعية الإخاء العربي العثماني عام 1908، والمنتدى الأدبي الذي تأسس عام 1909⁽²⁾، وغيرها الكثير، ولعبت هذه الجمعيات دوراً أساسياً في نشر الثقافة العربية وصارت ملاذاً للمتقنين العرب، كما أسهمت في ظهور فكرة القومية العربية التي أصبحت أحد أهم سمات النظام السياسي العربي في القرن العشرين. وكان من أهداف الجمعيات المهمة، إحياء اللغة العربية⁽³⁾، والتصدي للنزاعات الطائفية والمذهبية خاصة بعد المذابح عام 1860م، وتذكير العرب بأجدادهم، كما سلطت الضوء على ظلم الأتراك⁽⁴⁾، ثم تدرج الأمر إلى المطالبة بالانفصال عن الدولة العثمانية والمطالبة بإنشاء دولة عربية مستقلة وعصرية.

5.4.3 المطابع والصحف:

لم يكن للجمعيات العربية الثقافية والسياسية أن تؤدي دورها النهضوي لولا وجود المطابع والصحف والتي ساهمت عمل هذه الجمعيات، وساهمت إلى درجة كبيرة في إثارة الوعي القومي العربي وتقويته وتوجيهه.

وكان أول ظهور لمطبعة في الشرق في دير مار قزحيا عام 1610، لكنها كانت تطبع بالأحرف السريانية، أما أول مطبعة عربية فظهرت في حلب عام 1706م على يد البطريرك اثناسيوس الإنطاكي، بعد ذلك انتشرت المطابع العربية بشكل تدريجي والتي اقتصر عملها في بداية الأمر على طباعة الكتب الدينية⁽⁵⁾، ساهمت البعثات التبشيرية في انتشار المطابع، فأسس الرهبان الفرنسيون أول مطبعة في القدس عام 1846م، في حين أسس اليسوعيون أول مطبعة لهم عام 1847م، وعملت على طباعة كتب التراث القديم⁽⁶⁾، كما أسست الإرساليات البروتستانتية مطبعة لها واقتصر عملها على طباعة الأعمال الدينية والأدبية الخاصة بالإرسالية، ولم تقتصر حركة إنشاء المطابع على الإرساليات التبشيرية؛ بل بدأ المسيحيون العرب بإنشاء مطابعهم الخاصة ومنها "مطبعة دمشق 1855م لصاحبها حنا الروماني، المطبعة السورية 1857م لخليل الخوري، المطبعة الشرقية 1858م لإبراهيم نجار، المطبعة العمومية 1861م ليويسف سلفون، المطبعة الوطنية 1865م لجرجس شاهين، مطبعة المعارف 1867م

(1) جورج انطونيوس، مرجع سابق، ص: 117، ص: 119.
(2) علي محافظة، الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني 1918 - 1948، ط1، (عمان: مركز الكتب الأردني، 1989)، ص: 16، 17.
(3) فدور نصيرات، مرجع سابق، 78.
(4) جورج انطونيوس، مرجع سابق، ص: 119، 120.
(5) جبروم شاهين، مرجع سابق، ص: 802، 803.
(6) فدوى نصيرات، المرجع نفسه، ص: 69.

لبطرس البستاني، المطبعة اللبنانية 1869م لحنا جرجس عززوني، المطبعة الأدبية 1874م لخليل سركيس⁽¹⁾.

وقد أسهم انتشار المطابع في ظهور الصحف والمجلات والتي استغلها المثقفون العرب خاصة المسيحيين على نشر أفكارهم وأكدت موضوعاتها على ضرورة التمسك باللغة العربية وإحيائها؛ لأنها عامل مهم من عوامل الوحدة العربية⁽²⁾، كما ركزت على نبذ التعصب الديني ورفعوا شعار حب الوطن من الإيمان، ومهدت كتاباتهم لظهور الوعي القومي وحركة القومية.

ومن الصحف والمجلات التي ظهرت في هذه الفترة جريدة "حديقة الأخبار" لصاحبها خليل الخوري في بيروت، ومجلة "الجنان" لصاحبها بطرس البستاني في بيروت⁽³⁾، وصحيفة "الأهرام" التي أسست عام 1875م في الإسكندرية على يد سليم وبشارة تقلا⁽⁴⁾، وأسس أديب إسحق مجلة "مصر" وصحيفة "التجارة" اللتين تم منعهما من النشر لأنهما صحيفتان تنويريتان، إضافةً إلى مجلة البيان التي أصدرها إبراهيم اليازجي⁽⁵⁾.

6.4.3 الفكرة القومية العربية

كان من نتاج النهضة الفكرية في المشرق العربي في القرن التاسع عشر ظهور اتجاه قومي يمجّد العنصر العربي ويعتز بلغته وتراثه وحضارته العربية الإسلامية، وكان هذا الاتجاه في بداية الأمر حركة فكرية بحثية، دعا إليها مجموعة من المفكرين المسيحيين من خريجي الجامعة الأمريكية في بيروت والذين هدفوا إلى التحرر من نظام الملل، فكان اهتمامهم بالأدب العربي القديم، كما بحثوا في التاريخ الإسلامي، ثم ما لبث أن تحول إلى فكر قومي يدعو إلى الاعتزاز بالجزور العربية⁽⁶⁾.

وشهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر انبعاث النهضة الفكرية، وكانت من العوامل الحاسمة في بلورة الفكرة القومية العربية، إلى جانب الاحتكاك الثقافي بين الشرق والغرب والذي بدأ مع قدوم الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام، والبعثات التبشيرية التي فتحت المدارس والكليات وأسست المطابع، فضلاً عن انتشار الصحف، على أن أحداث الفتنة الطائفية الدامية التي وقعت عام 1860 بين الدروز والموارنة دفعت بعض المثقفين العرب المسيحيين إلى الكفاح ضد الطائفية،

(1) جبروم شاهين، المرجع نفسه، ص: 803.

(2) فدوى نصيرات، المرجع نفسه، ص: 16.

(3) فيليب حتي، وآخرون، تاريخ العرب المطول، الجزء 3، ط2، مرجع سابق، ص: 881.

(4) سمير خليل سمير اليسوعي، دور المسيحيين الثقافي في العالم العربي، ط1، (بيروت: دار الشروق 2004)، ص: 48.

(5) حسين العودات، مرجع سابق، ص: 201، 202.

(6) فيليب حتي، وآخرون، تاريخ العرب المطول، الجزء الثالث مرجع سابق، ص: 889.

والدعوة إلى الوحدة الوطنية؛ ويأتي في مقدمتهم بطرس البستاني الذي أصدر صحيفة أسبوعية "نفيير سوريا" دعا من خلالها إلى نبذ الطائفية والتعصب الديني، وضرورة الاتحاد والتعاون في طلب العلم والمعرفة، والتركيز على ما يجمع العرب كاللغة العربية والعرق والتاريخ المشترك، وتعتبر هذه الدعوات بداية ظهور فكره القومي، ولم يتوقف البستاني عند الدعوات النظرية؛ بل قام بتأسيس "المدرسة الوطنية" وجعل أبوابها مفتوحة لجميع الطلبة من كافة الطوائف⁽¹⁾.

واقترنت دعوة الفكر القومي العربي في منتصف القرن التاسع عشر على مطالبة الدولة العثمانية بإجراء إصلاحات لتحسين أوضاع العرب، والمساواة بينهم وبين الأتراك في الحقوق والواجبات. أما الدعوة إلى الانفصال عن الدولة العثمانية فلم تظهر إلا في نهاية السبعينات من القرن التاسع عشر، وتبنتها الجمعية العلمية السورية، وكان أهم المطالبين بالانفصال إبراهيم اليازجي، ويظهر ذلك في قصيدة ألقاها في أحد اجتماعات الجمعية، ونذكر منها بيت الشعر التالي، ويظهر فيه الرغبة في الانفصال عن الدولة العثمانية:

لنظلمن بحد السيف مأربنا فلن يخيب لنا في جنبه أرب

وبعد وصول جمعية الاتحاد والترقي إلى حكم الدولة العثمانية عام 1908م، وانتهاج سياسة التتريك ضد العرب، انتشرت فكرة الانفصال عن الدولة، وقد تبنتها هذه الفكرة عدد كبير من المثقفين المسيحيين؛ أمثال بطرس البستاني، وإبراهيم اليازجي، وفارس نمر، وجورجي زيدان، وغيرهم، ومفكرين مسلمين أمثال عبد الرحمن الكواكبي، كما تبنت هذه الفكرة جمعيات عربية كان مؤسسها ومعظم روادها مسلمون؛ مثل الجمعية القحطانية وجمعية العهد⁽²⁾. وكان لتبني المثقفين المسلمين فكرة القومية العربية دوراً مهماً في زيادة قوتها.

وفي النصف الأول من القرن العشرين تطور الفكر القومي، ولعب المثقفون العرب المسيحيون مرةً أخرى دوراً في هذا التطور، فظهرت أحزاب قومية مثل حزب البعث على يد ميشيل عفلق، والحزب القومي السوري على يد أنطون سعادة⁽³⁾ وكان للمثقفين الفلسطينيين مسلمين ومسيحيين دوراً مؤثراً في التنظيمات القومية، فقد انضم عدد منهم إلى عضويتها، مثل عوني عبد الهادي احد رواد الحركة

(1) عدنان أيوب مسلم، " دور العرب المسيحيين في صياغة المسيحيين الفكرة القومية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين"، مرجع سابق، ص: 84.

(2) المرجع نفسه، ص: 87، ص: 92.

(3) مئري الراهب، " المسيحيون الفلسطينيون بين القومية والأصولية " مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة، الدورة الخامسة، (القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 11- 13 تموز، 1991)، ص: 98.

القومية العربية في مطلع القرن العشرين، ورفيق التميمي، وعبد الغني العريسي⁽¹⁾، وقسطنطين زريق، ونجيب نصار وغيرهم، غير أن الخطر الذي أصبح يهدد الأمة العربية بشكل عام وفلسطين بشكل خاص والمتمثل بالحركة الصهيونية، جعلهم يكرسون جزءاً من جهودهم في التصدي لهذا الخطر، فبدأت تظهر العديد من التنظيمات السياسية الفلسطينية مباشرةً بعد خضوع فلسطين للاحتلال العسكري البريطاني، والتي تعنى بالشأن الفلسطيني بالدرجة الأولى، ومن هذه التنظيمات الجمعية الأهلية في يافا، وجمعية الإخاء المسيحي، والنادي العربي، والمنتدى الأدبي الذي كان شعاره "باسم العرب نحيا وباسم العرب نموت"، على أن أشهر التنظيمات التي ظهرت في الفترة ما بين 1918-1928 كانت الجمعيات الإسلامية - المسيحية، وتأسست هذه الجمعيات وفق قانون الجمعيات العثماني، فتمثلت أولى المحاولات في العمل السياسي المنظم في ظل الحكم البريطاني، وقد اعترفت بها السلطات البريطانية كهيئات ممثلة للسكان العرب، وكانت الجمعية الإسلامية - المسيحية التي تكونت في يافا عام 1918 أول هذه الجمعيات، ونص النظام السياسي لهذه الجمعيات على أن العضوية فيها مفتوحة لكل مسلم ومسيحي، وقد انتشرت الجمعيات الإسلامية - المسيحية في عدد من المدن والقرى الفلسطينية حتى وصل عددها إلى خمس عشرة جمعية، وكانت الصلة بين هذه الجمعيات ضعيفة، واعتمدت أسلوب النضال السلمي سبيلاً لتحقيق المطالب العربية، وقد انتهت هذه الجمعيات في عام 1928 وحل مكانها أحزاب سياسية جديدة.⁽²⁾

وبعد إنشاء الدول العربية الحديثة في بداية النصف الثاني من القرن العشرين؛ ظهرت بعض الأحزاب والحركات التي تبنت الفكر القومي ووصلت إلى سدة الحكم مثل حزب البعث في كل من سوريا والعراق، ومصر بقيادة جمال عبد الناصر، كما نشط المسيحيون في تأسيس حركة القوميين العرب خاصة في فلسطين مثل جورج حبش⁽³⁾.

لقد لعب المسيحيون العرب دوراً بارزاً في الحركة القومية العربية منذ ظهورها وحتى الآن، فساهموا كمؤسسين في نشر الوعي عبر الجمعيات والصحف، وإعادة إحياء اللغة العربية في مواجهة التتريك، وقدموا شهداء في ساحات دمشق وبيروت في نهاية الحكم العثماني، وكانت غاية الكثير منهم التحرر من صفة أهل الذمة عبر السعي لإنشاء دولة قومية أو ليبرالية تعتمد على مبدأ المواطنة والعدالة الاجتماعية، أما بعد الحرب العالمية الثانية وظهور الدول الوطنية فقد انخرط المسيحيون في مجمل الحراك الوطني، من خلال تأسيس الأحزاب العلمانية والحركات الوطنية. غير

(1) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ط 10، (بيروت: مؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990)، ص: 46

(2) علي محافظة، مرجع سابق، 213، 214، 215، 216

(3) متري الراهب، "المسيحيون الفلسطينيون بين القومية والأصولية"، مرجع سابق، ص: 98

أن هذا الفكر واجه العديد من التحديات منذ سبعينات القرن العشرين جعلته يتراجع لصالح التيارات الدينية الإسلامية، ومنها الهزيمة التي منيَّ بها العرب في حرب 1967م، ما أبعد الناس عن الشعارات القومية، إلى جانب انتشار النعرات الطائفية، والمذهبية، والإقليمية بتشجيع من الأنظمة العربية؛ مما عرّض الشعوب العربية إلى مواجهة تحديات جديدة وخطيرة؛ مثل الحروب الأهلية التي شهدتها كل من لبنان، والعراق، واليمن، والجزائر، وتفاقم المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بسبب إهمال الحكومات في إيجاد حلول الناجعة لها.

الفصل الرابع

الهجرة المسيحية من المشرق العربي خلال القرن العشرين

1.4 المقدمة

منذ سنوات ليست ببعيدة كان الحديث الذي يتناول المسيحيين في المشرق العربي يدور حول مستوى حضورهم في الثقافة، وفي الاقتصاد والسياسة والنضال الوطني. أما اليوم فإن الحديث عن أوضاع المسيحيين يتمحور حول الهجرة وأسبابها، ونتائجها وأبعادها، هذه الهجرة التي تركت أثراً سلبية على الحضور العربي المسيحي. صحيح أن الهجرة تشمل المسلمين والمسيحيين، وصحيح أن هناك أسباباً اقتصادية، وسياسية، واجتماعية تدفع الجميع للتفكير بالهجرة، إلا أن للهجرة المسيحية رمزية خاصة؛ لقلة عددهم مقارنةً بأعداد المسلمين، وإذا استمر استنزاف الوجود المسيحي فسيأتي يوم (وهو ليس بالبعيد) يكون فيه الشرق قد فقد ما يميزه؛ وهو التنوع الثقافي الذي لا يكون الشرق شرقاً إلا بهذا التنوع.

ويتناول هذا الفصل؛ دوافع الهجرة المسيحية من المشرق العربي من خلال ثلاث مباحث، حيث يستعرض المبحث الأول الدوافع السياسية للهجرة، منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى نهاية القرن العشرين، أما المبحث الثاني فيتناول الدوافع الاقتصادية في نفس الفترة الزمنية، ويلقي المبحث الثالث الضوء على الدوافع الطائفية، إلى جانب ذلك يتناول هذا المبحث العوامل الجاذبة في البلدان المستقبلية لهذه الهجرة.

المبحث الأول: الدوافع السياسية للهجرة المسيحية

عند تناول دوافع الهجرة العربية المسيحية من المشرق العربي خلال القرن العشرين، كان لا بد من العودة إلى جذور هذه الهجرة؛ أي العودة إلى الربع الأخير من القرن التاسع عشر حيث بدأت الموجة الأولى للمهاجرين، والذين أشير إليهم بعدة أسماء منها: تركي، أو أسويي، أو سوري (وكان يطلق على اللبناني والسوري والفلسطيني)، واختلاف التسميات أثر في عدم إعطاء إحصائيات دقيقة حول أعداد المهاجرين العرب، وبشكل خاص من بلاد الشام والعراق. وقدّرت بعض الدراسات عدد المهاجرون الذين مروا بميناء مرسيليا عام 1898م 29763 مهاجر، منهم 7010 مهاجر من بلاد الشام⁽¹⁾، في حين قدّر عدد المهاجرين من سوريا الكبرى باتجاه الأمريكتين في الفترة ما بين 1860-1914 بحوالي 330000 مهاجر⁽²⁾. كانت غالبيتهم من المسيحيين العرب.

وشهد المشرق العربي موجتين من الهجرة الواسعة امتدت الأولى من سبعينات القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى عام 1918م، في حين ما زالت الموجة الثانية مستمرة من ستينات القرن العشرين وحتى الآن. وقد تباينت العوامل الطارئة والعوامل الجاذبة في الموجتين واختلف مسببها، على أن ما يميز الموجة الثانية أن المهاجرين المسلمون كانوا أكثر عدداً من المهاجرين المسيحيين.

لقد أعطيت أسباب عديدة للموجة الأولى من المهاجرين إلى الخارج، حيث كانت تتجاذب المهاجرون عوامل دفع وعوامل جذب، مع إعطاء عوامل الدفع وزناً أكبر. وقد أرجع الاقتصادي السياسي شارل عيساوي أسباب الهجرة العربية إلى العالم الجديد منذ منتصف القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى الأسباب التالية: "التوترات التي ترافقت مع التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ونتيجة لفرض التجنيد الإجباري وانتشار الثقافة الأجنبية والتحسّن الذي طرأ على وسائل النقل وأخيراً نتيجة المجازر التي حدثت في عام 1860"⁽³⁾.

وخلال مائة وخمسين سنة مضت بدأت هجرة مسيحيي الشرق من بلادهم صوب الأمريكتين، وأوروبا، وأستراليا. فقبل قرن ونصف تقريباً اعتقد العرب وفي مقدمتهم المسيحيون أن أوضاعهم

(1) حماد حسين، هجرة الفلسطينيين للولايات المتحدة ونشاطهم السياسي والإعلامي والاقتصادي هناك في العشرينات من هذا القرن، المجلة الفلسطينية للدراسات التاريخية، المجلد الأول، العدد الثالث، (رام الله، الجمعية الفلسطينية للدراسات التاريخية، كانون الثاني، 2003)، ص: 176

(2) عدنان أيوب مسلم، جذور الهجرة الفلسطينية إلى الأمريكتين، مرجع سابق، ص: 70.

(3) غريغوري أورفلي، تاريخ الأمريكيين ذوي أصول عربية، ترجمة سعيد الحسنية، ط1، (بيروت: الدار العربية للعلوم- ناشرون، 2006)، ص: 103.

ستحسن مع وصول السلطان عبد الحميد الثاني ووعوده التي قطعها بوضع دستور يكفل المساواة في الحقوق والواجبات بين العرب والأترك، لكن هذه الآمال ما لبثت أن تلاشت بعد تعطيله الدستور بعد عام من إعلانه بذريعة الحرب مع روسيا والذي استمر معطلاً 30 عاماً⁽¹⁾.

وفي هذه الأثناء كانت بلاد الشام تشهد نهضة فكرية قادها عدد من المثقفين جلهم من المسيحيين الذين احتكوا بالثقافة الغربية من خلال التحاقهم بالمدارس والكلليات التي أسستها الإرساليات التبشيرية، إلى جانب هذه الإرساليات ظهرت المدارس المحلية التي أسستها الكنائس الشرقية واتسمت مناهجها بالتركيز على اللغة العربية؛ ما أسهم في تكوين اليقظة الفكرية، كما لعب انتشار المطابع، والكتب، والصحافة دوراً في تعميق الوعي السياسي والفكري لدى العرب، الأمر الذي ساعدهم في المطالبة بإجراء إصلاحات داخل الدولة العثمانية⁽²⁾.

غير أن دعوات المثقفين العرب تطورت من المطالبة بالإصلاح داخل الدولة العثمانية إلى المطالبة بالانفصال عنها؛ دفعهم إلى ذلك سياسة عبد الحميد الثاني الاستبدادية والتي تمثلت في تعطيل الدستور، فضلاً عن تعطيله فرمان النشر الذي كان قد أصدر في عام 1880م، وشجعه على ذلك التقاء رغباته مع رغبات بعض المحافظين في السلطات الكنسية، فأحرقت آلاف الكتب نتيجة لهذه السياسة، وتم التعرض للصحفيين المخالفين بالسجن أو الإبعاد⁽³⁾.

ودفعت السياسة القمعية العديد من المثقفين العرب وبخاصة الكتّاب والصحفيين للهجرة إلى وجهتين، مصر، والأمريكيتين الشمالية والجنوبية؛ أما مصر فقد توجه إليها عدد من المثقفين؛ لأنها كانت تنعم بقسط لا بأس به من حرية التعبير مقارنة ببلاد الشام والعراق، فاستطاعوا ممارسة نشاطهم الصحفي بحرية أكبر والتعبير عن مشاكلهم وأمانهم الوطنية، ومن هؤلاء سليم وبشارة تقلا الذين أسسا صحيفة الأهرام في الإسكندرية عام 1876، وأديب اسحق صاحب صحيفتي مصر وأسساها في الإسكندرية عام 1877، و صحيفة مصر الفتاة عام 1879، وجورجي زيدان صاحب صحيفة الهلال والتي تأسست عام 1892 في القاهرة، وإبراهيم اليازجي صاحب صحيفتي البيان والضياء وأسهما في القاهرة، الأولى عام 1897 والثانية عام 1898⁽⁴⁾. غير أن أحداث ثورة أحمد عرابي عام 1882 في مصر دفعت العديد من المثقفين السوريين للهجرة إلى الأمريكيتين وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية؛

(1) جورج انطونيوس، مرجع سابق، ص: 130، 130.

(2) عدنان أيوب مسلم، " دور العرب المسيحيين في صياغة الفكرة القومية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين"، مرجع سابق، ص: 80.

(3) غريغوري أورفلي، مرجع سابق، ص: 128.

(4) جبروم شاهين، مرجع سابق، ص: 805.

بسبب انتشار مبادئ الديمقراطية وتوفر الحريات وعلى رأسها حرية التعبير، وهو ما كانوا يفقدوه في الوطن الأم، ويظهر ذلك في قصيدة " حكاية مهاجر سوري " لصاحبها نسيب عريضة الذي هاجر إلى نيويورك عام 1905، فيقول:

غريباً من بلاد الشرق جئت بعيداً عن حمى الأحباب عشت
تخذت أميركا وطناً عزيزاً فكانت لي كأحسن ما اتخذت
أناها للغنى غيري، وإنني كما جاءوا مع الإقدام جئت
ولكنني طلبت بها حياة مع الحرية المثلى، فلنت⁽¹⁾

ولم تقتصر سياسة الاستبداد على العهد الحميدي، بل استمرت بعد وصول جمعية الاتحاد والترقي إلى سدة الحكم عام 1908م، فاتجه الاتحاديون في إدارة الدولة نحو المركزية المطلقة مع انتهاج سياسة التتريك؛ أي سيادة العنصر التركي على العناصر الأخرى في الدولة⁽²⁾، ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914م ساءت أوضاع العرب كثيراً؛ بسبب سياسة القمع والإرهاب والإعدامات التي نفذت بحق النشطاء الذين عارضوا سياسة الاستبداد، فما كادت الحرب تبدأ حتى قام جمال باشا قائد الجيش الرابع العثماني ووالي الشام باعتقال نخبة المثقفين العرب ونفي بعضهم، وتوج أعماله بإعدام بعضهم في ساحة المرجة في دمشق، والبعض الآخر اعدم في ساحة البرج (ساحة الشهداء الآن) في بيروت في عامي 1915 و 1916م؛ بسبب مطالبتهم بحقوقهم⁽³⁾. ما دفع الكثير من المثقفين للفرار خارج البلاد.

ومع بداية الحرب العالمية الأولى عام 1914 تراجع حجم الهجرة من بلاد الشام باتجاه العالم الجديد، وتعود أسباب هذا التراجع إلى عدة ظروف تتعلق بالمهاجرين والدول المستقبلية، إضافة إلى ظروف الحرب وخطورة الإبحار في المحيط الأطلسي⁽⁴⁾، شكلت التشريعات التي وضعتها الدول المستقبلية قيوداً على حجم الهجرة الوافدة إليها، ومن هذه الدول، الولايات المتحدة الأمريكية، التي سببت الهجرة الوافدة إليها ارتفاعاً في عدد سكانها؛ ما دفعها إلى إصدار عدة تشريعات لتقييد الهجرة الوافدة، ومن هذه التشريعات:

(1) جمال نابف عدوي، الهجرة الفلسطينية إلى أمريكا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1945، ط 1، (الناصر: المطبعة الشعبية بيت الصداقة، 1993)، ص: 29.

(2) جورج انطونيوس، مرجع سابق، ص: 181.

(3) سمير أبراهام، نبيل أبراهام، العرب في أمريكا، دراسات عن الجاليات العربية الأمريكية، ترجمة سنية الجلاي، (القاهرة: مؤسسة سجل العرب، 1985)، ص: 65.

(4) عبد الواحد إكمير، العرب في الأرجنتين النشوء والتطور، ط 1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000)، ص: 42.

تشريع عام 1882، وهو تشريع أصدره الكونجرس الأمريكي يمنع فيه قبول دخول المجرمين والمخبولين والشحاذين والمرضى والأميين، وقبل هذا التاريخ كانت الهجرة مفتوحة للجميع، كما منعت دخول الشباب دون سن السابعة عشرة إلا إذا كانوا برفقة الوالد⁽¹⁾، ونتيجة لهذه التدابير طرأ انخفاض واضح في عدد المهاجرين السوريين إليها، كما يظهر في الجدول التالي:

السنة	عدد المهاجرين
1915	1767
1916	676
1917	976
1918	210
1919	231

واستمر وضع التشريعات المقيدة للهجرة، مثل تشريع عام 1924م الذي وضع كوتا سنوية للمهاجرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وحصلت الشعوب الأنجلو _ سكسونية أعلى نسبة من المهاجرين المسموح لهم بدخول الولايات المتحدة، في حين جاءت منطقة الشرق الأوسط في ذيل القائمة.

- وأما الأسباب الأخرى لتراجع الهجرة، فتعود إلى:
- انتشار حركات عنصرية استهدفت الغرباء، والتي لعبت دوراً مهماً في إصدار تشريعات تحد من الهجرة إلى الولايات المتحدة.
 - رغبة بعض المهاجرين العودة للوطن الأم، فقد عاد ما يقارب 25% من مجموع المهاجرين السوريين في الفترة ما بين 1908-1910م.
 - الأزمة الاقتصادية العالمية والتي بلغت أوجها عام 1929م، فتراجع الدافع الاقتصادي للهجرة في هذه الفترة، وهو تحسين الأوضاع الاقتصادية للراغبين في الهجرة إلى العالم الجديد.
 - صعوبة عملية الاندماج والتأقلم في المجتمع الأمريكي⁽²⁾.

وخلال القرن العشرين شهد الحضور المسيحي في المشرق العربي تبايناً من دولة إلى أخرى سواءً من حيث العدد، أو المشاركة السياسية، مع تراجع واضح لهذا الحضور في النصف الثاني منه، والذي ترتب عليه موجة هجرة جديدة، فمع نشوء الدول العربية كان من المنتظر أن يطرأ تحسن على

(1) جمال نايف عدوي، المرجع السابق، ص: 117.

(2) المرجع نفسه، ص: 118، 119، 120.

أوضاع المسيحيين العرب نظراً إلى الطروحات العلمانية والمساواة التي نادى بها بعض الأحزاب، غير أن التطورات السياسية التي مرت بها هذه الدول جاءت عكس ما طمحت إليه بعض الجماعات، ففي مصر شارك الأقباط في الحياة السياسية والحركة الوطنية في بداية القرن العشرين، وضم حزب الوفد (الحزب الأوسع انتشاراً وقائد الحركة الوطنية في تلك الفترة) في صفوفه أعداداً من المسيحيين مثل واصف بطرس غالي وجورج خياط وغيرهم، على أن أهمهم مكرم عبيد سكرتير حزب الوفد في الفترة 1927-1942 والذي نفى مع سعد زغلول إلى جزيرة سيشل في الفترة ما بين 1920-1923. أما موقف الحزب من الأقباط فعبر عنه سعد زغلول بقوله "إن للأقباط ما لنا وعليهم ما علينا من واجبات على قدم المساواة"⁽¹⁾، وضمت الوزارات الوفدية الأولى وزيرين قبطيين ثم أصبحت مشاركة الأقباط في الحكومات المصرية تقليداً في الحياة السياسية⁽²⁾.

وبعد ثورة يوليو عام 1952م، تراجع الحضور المسيحي في مصر مقارنة بالمرحلة السابقة لهذه الثورة، فقد أخذ الأقباط على الرئيس جمال عبد الناصر أنه عمل على تهيمش دورهم في الحياة السياسية متذرعين بأنه قام بتعيين ممثلين عن الأقباط في البرلمان بدلاً من اختيارهم عن طريق الانتخابات⁽³⁾. وعلى الأرجح أن الرئيس الراحل لم يكن يهدف إلى التقليل من شأن الأقباط، فهو الذي اعترف بدورهم في مقاومة الاحتلال البريطاني، وفي عهده لم تُسجل حالات اعتداء عليهم أو على كنائسهم، فكان دائماً ينبذ التعصب الديني، وقد صرح بهذا الخصوص "أنه لن يسمح للمتعصبين بإقامة العقبات أمام الناس في نضالهم"⁽⁴⁾.

وأما المآخذ الثاني الذي أخذه الأقباط عليه، فهو قيامه بعمليات التأميم والإصلاح الزراعي، رغم أنها لم تكن موجهة ضد الأقباط وإنما ضد الإقطاعيين بغض النظر عن طائفتهم، لكن صادف أن كثيراً من الأقباط كانوا من كبار ملاك الأراضي وخسروا أملاكهم في عمليات التأميم⁽⁵⁾.

وشهدت مصر في عهد الرئيس محمد أنور السادات تغيرات مهمة على الصعيد الداخلي أدت إلى احتقان طائفي بين المسلمين والأقباط نتج عنه أحداث عنف بين الطرفين. بدأت العلاقات تسوء بين المسلمين والأقباط؛ بعد أن ساءت العلاقة بين الرئيس السادات وبين البابا شنودة الثالث منذ عام 1971م؛ لانتقاده عدم معالجة الحكومة عنف الجماعات الإسلامية في السبعينات. بدأ العداء يظهر

(1) أديب نجيب سلامة الإنجليون والعمل القومي، دراسة توثيقية، ط 1، (القاهرة: دار الثقافة، 1993)، ص: 190، 192، 194.

(2) لورانت شابري، أني شابري، سياسات وأقليات في الشرق الأدنى الأسباب المؤدية للانفجار، ترجمة ذوقان قرقوط، ط1، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991)، ص: 409.

(3) سمير عبده، مرجع سابق، ص: 152.

(4) فؤاد فرح، مرجع سابق، ص: 149.

(5) لورانت شابري، أني شابري، المرجع السابق، ص: 410.

بشكل واضح في عام 1972 عندما أحرقت جماعة إسلامية كنيسة الخانكة في القليوبية، ورداً على هذا الاعتداء تجمع عدد كبير من الكهنة الأرثوذكس في مسيرة طويلة باتجاه الكنيسة⁽¹⁾ احتجاجاً على ما تعرضت له. زادت الأمور تعقيداً بعد حرب أكتوبر عام 1973، عندما انتهج الرئيس السادات سياسة الانفتاح الاقتصادي على الغرب والقطاع الخاص الأمر الذي ترتب عليه زيادة الطموح نحو الثروة، فزادت الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وانفجر التدين، وفي ظل هذه الأوضاع تعرضت العديد من الكنائس والأقباط لكثير من المضايقات والاعتداءات التي نسبت إلى أفراد من الجماعات الإسلامية⁽²⁾، كما لم يتردد الرئيس السادات في إظهار تدينه واحتضانه للتيارات الإسلامية؛ رغبة منه في تشكيل حلف مضاد للقوى السياسية التي ارتبطت بثورة يوليو وللتيارات اليسارية⁽³⁾ ونسي الرئيس انه بهذا يخيف الأقباط، وكان من الطبيعي أن يزيد الاحتقان الطائفي والذي أدى إلى ظهور جماعات منغلقة من الطرفين. ازداد التوتر بين الطرفين في عام 1977 بعد طرح الرئيس مشروع اعتبار الشريعة الإسلامية المصدر الرئيس للتشريع وتطبيقها على الأقباط فيما يخص أحوالهم الشخصية، ما أثار قلق الأقباط وعلى رأسهم البابا شنودة وانتهى الأمر بخلاف حاد بين البابا والرئيس انتهت بخلعه عام 1981م ونفيه إلى دير وادي النطرون في الصحراء⁽⁴⁾.

رحل الرئيس السادات تاركاً ورائه أثراً كبيراً من الأزمات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، ومنها التآزم الطائفي بين الأقباط والجماعات الإسلامية، وكان على الرئيس محمد حسني مبارك إيجاد حلول جذرية لهذه الأزمات.

شهد عهد الرئيس مبارك بعض التحسن في أوضاع الأقباط السياسية، والاقتصادية، فازدادت مشاركتهم في الحياة العامة، وإن كانت بشكل ضئيل، كما ظهرت بعض العائلات التي لمع اسمها في المجال الاقتصادي والمالي مثل عائلة ساويرس، وغبور و ثروت باسيل وغيرهم، على أن الاعتداءات استمرت ضد الأقباط وزادت حدتها في السنوات الأخيرة من عهد الرئيس مبارك، ولعل أشهرها المذبحة التي راح ضحيتها 24 قبطياً في كنيسة القديسين ليلة رأس السنة الميلادية 1 يناير 2011⁽⁵⁾.

(1) متري الراهب، الربيع العربي ومسيحيو الشرق الأوسط، (بيت لحم، ديار للنشر، 2012)، ص: 85

(2) لورانت شابري، أني شابري، مرجع سابق، ص: 414

(3) سمير عبده، مرجع سابق، ص: 154

(4) متري الراهب، الربيع العربي ومسيحيو الشرق الأوسط، المرجع السابق، ص: 85

(1) منى مكرم عبيد، "الأقباط والبحث عن تمثيل مناسب منذ عصر محمد علي" كوتا " لا بد أن يلحظها الدستور كما قرّر الدستور للمرأة والفلاحين 2 من 2 ب، جريدة الحياة، الباب، قضايا، تاريخ النشر، 2 / 10 / 2011، رقم العدد، 17457، ص: 14، (نسخة الكترونية)، استرجعت بتاريخ 2 / 2 / 2014، http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/Hayat INT/2011/1/20.

وشكلت الأحداث التي تعرضت لها مصر في النصف الثاني من القرن العشرين، عوامل دفع للعديد من المصريين مسلمين ومسيحيين للهجرة إلى الخارج، بدءاً بصعود التيار القومي لسدة الحكم، وعمليات التأميم التي قامت بها الثورة وقد أثرت على المصريين الأغنياء ومنهم المسيحيين، إلى جانب هزيمة حزيران عام 1967م وحالة الإحباط واليأس التي سادت المجتمع المصري بعد الهزيمة، وتآكل الطبقة الوسطى نتيجة استمرار الأوضاع الاقتصادية في التراجع، وقد قدر عدد الذين هاجروا من الأقباط خلال الخمسين عاماً الأخيرة من القرن العشرين بـ (700.000) قبطي حسب بعض الإحصائيات، وأما أماكن تواجدهم فكانت الولايات المتحدة، وكندا، وأستراليا وأعداداً قليلة في أوروبا. وتعتبر الهجرة القبطية حديثة مقارنةً مع هجرة المسيحيين من بلاد الشام التي مضى عليها أكثر من 150 سنة⁽¹⁾.

وأما العراق، فبدأت هجرة المسيحيين العراقيين (الآشوريين) خلال الحرب العالمية الأولى؛ نتيجة الاضطهاد الذي تعرضوا له من قبل الدولة العثمانية؛ لكن هذا الاضطهاد تراجع بعد وصول حزب البعث للسلطة الذي ساوى بين المواطنين في الحقوق والواجبات⁽²⁾، على أن الهجرة استمرت وبأعداد كبيرة؛ ولعل الحروب التي خاضتها العراق لعبت دوراً مهماً في دفع العراقيين للهجرة، مثل الحرب العراقية - الإيرانية والتي استمرت ثمان سنوات، واجتياح العراق للأراضي الكويتية عام 1990 ما عرض العراق لحرب شاركت بها 30 دولة استتبعته بفرض حصار اقتصادي استمر لمدة عشر سنوات، والذي أدى إلى تراجع البلاد اقتصادياً، وتأثرت الطبقة الوسطى والتي ينتمي إليها اغلب المسيحيين في العراق بهذا التراجع، ما أثر على أوضاعهم الاقتصادية ودفعهم للخارج وبشكل خاص إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

ولم تقتصر دوافع الهجرة السياسية على الظروف الداخلية للبلدان الشرقية؛ بل قام الغرب بدورٍ مهم في تشجيع هجرة العرب المسيحيين من الشرق، وان حدث بصورة غير مباشرة، فكان يستغل كل الظروف والمتغيرات التي تتعرض لها البلدان العربية لخلق انطباع بان الأقلية المسيحية تتعرض لاضطهاد الأغلبية المسلمة، حتى يبرر تدخله في المنطقة؛ بحجة حماية الأقلية المسيحية، وهو أسلوب قديم جديد، فقد استخدم هذا الأسلوب في القرن التاسع عشر عندما استغلت الدول الاستعمارية أحداث الفتنة الطائفية عام 1860م في لبنان، فتدخل الفرنسيون ودعموا الموارنة، فحين تدخل الإنجليز ودعموا الدروز، وعملت الدولتان على تأجيج المشاعر العدائية بين المسلمين والمسيحيين، ولم تكتفِ بريطانيا في اللعب على وتر الطائفية في لبنان؛ بل مارست سياستها تلك في

(1) سمير عبده، مرجع سابق، ص: 143.

(2) المرجع نفسه، ص: 138، 139.

مصر عندما أخذت موقفاً مسانداً للأقباط مما أغضب الأغلبية المسلمة⁽¹⁾.

ودأب الغرب وما زال على التشكيك بانتماء المسيحيين للعروبة، وأن العربي هو المسلم، كما شكك في مسيحية العربي على اعتبار أن المسيحي الحقيقي هو المسيحي الغربي. وقد نجح الغرب في تحقيق مآربه عند بعض المسيحيين كالموارنة في لبنان الذين عملوا على تأسيس دولة كان لهم فيها الحظوة السياسية والاقتصادية على حساب الطوائف الأخرى خاصة المسلمين، فقد رفض معظم الموارنة التعاطي مع مشاريع الوحدة العربية وغلبوا انتماءهم الطائفي على انتمائهم القومي⁽²⁾. لكن هذه التجربة التي هدفت إلى حماية الوجود المسيحي في لبنان أضرت به؛ بدليل اندلاع الحرب الأهلية فيه عام 1975م التي قتل فيها عشرات الآلاف، ودفعت المسيحيين والمسلمين إلى تفضيل الهجرة إلى الخارج على البقاء في الوطن الذي شهد تفسخاً سياسياً واقتصادياً وطائفيًا كبيراً.

كما استغل الغرب ظهور التيارات الإسلامية لدفع المسيحيين الشرقيين على الانسلاخ عن العروبة والالتحاق بالغرب بدعوى الخوف على مستقبل المسيحيين من العنف الإسلامي، ولم يكتف الغرب بذلك؛ بل عمل على زرع الكيان الصهيوني في فلسطين؛ من أجل السيطرة على المنطقة العربية وإضعافها، وما الأحداث التي شهدتها لبنان المتمثلة في الحرب الأهلية، والتحريض على الوجود الفلسطيني فيها إلا حلقة من سلسلة حلقات يقوم بها الكيان الصهيوني لزراعة الاستقرار في المنطقة⁽³⁾. وهو ما يخلق دافعاً قوياً لدى الكثيرين في البحث عن عالم آخر يستقرون فيه وينعمون بالأمن والرفاهية.

(1) سمير أبراهام، نبيل أبراهام، مرجع سابق، ص: 25.

(2) المرجع نفسه، ص: 85، 87.

(3) مجموعة مؤلفين، الجاليات العربية في أمريكا اللاتينية، دراسة حالات- المكسيك- التشيلي- البرازيل- البيرو- البارغواي- الأرجنتين، ترجمة عبد الواحد اكدير، ط 1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006)، ص: 258.

المبحث الثاني: الدوافع الاقتصادية للهجرة المسيحية

لأشك أنّ العامل الاقتصادي يعتبر من العوامل الأكثر تأثيراً في اتخاذ الفرد قرار الهجرة، فالاستقرار الاقتصادي وتوفر مصادر الرزق تدفع الفرد للبقاء في وطنه، في حين تراجع الوضع الاقتصادي وعجز الدولة عن توفير المتطلبات الأساسية التي يحتاجها الفرد يعد سبب كاف لبدء الفرد بالبحث عن مكان آخر يؤمن له متطلبات حياته ومعيشته.

تأثرت أوضاع السكان العرب الاقتصادية بالأوضاع الاقتصادية للدولة العثمانية والتي شهدت تدهوراً ملحوظاً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث عانت من أزمات مالية متتالية؛ نتيجة الحروب التي خاضتها مع روسيا، ما أدى إلى عجز ميزانيتها في الإيفاء بالتزاماتها تجاه سكانها، فاضطرت إلى طلب القروض من الدول الأوروبية والتي عجزت عن سدادها، وبهذا أعلنت إفلاسها عام 1878م⁽¹⁾. ولتعويض هذا العجز في الخزينة قامت الدولة بإجراءات اقتصادية تعسفية، كرفع أسعار السلع وقيمة الضرائب المفروضة على السكان وبشكل خاص على الفلاحين، ترافقت هذه الإجراءات مع انتشار الفساد الإداري والرشوة، الأمر الذي زاد من استياء السكان، وقد عبر البطريرك الماروني الياس بطرس الحويك عن هذا الاستياء فصرح "إن بعض الضرائب واجبة إنما على قدر الثروة. إن تقليل الوظائف وتخفيف بعض الضرائب ضروري لا سيما رسوم القضاء وكتاب العدل الخ..."⁽²⁾ وما زاد الأمور تعقيداً دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى وفرض مزيد من الضرائب.

ويرجع الكثير من مهاجري الموجة الأولى سبب هجرتهم إلى الضرائب المرتفعة التي فرضتها الدولة العثمانية. ومن هؤلاء ألبرت رشيد أحد المهاجرين من مرجعيون اللبنانية وكان هاجر في العام 1920م إلى الولايات المتحدة فيقول "لم يظهر الأتراك الإنصاف ولا الإنسانية تجاه السكان. تعود محصول الضرائب أن يأتوا لأرضنا ويقولوا أننا مدينون بمائة بوشل (مد) من القمح، لم نستطع تقديم مثل هذه الكمية بسبب الجفاف وهكذا كانوا يستولون على احتياط أسرتنا ويتركونا نجوع"⁽³⁾ ومن الضرائب التي فرضت على السكان: **ضريبة الويركو**: وهي ضريبة سنوية فرضت على الأراضي والمباني، وتراوحت نسبتها ما بين 10% إلى 4 بألف.

(1) عبد الواحد إكمير، العرب في الأرجنتين النشوء والتطور، مرجع سابق، ص: 19.

(2) جمال نايف عدوي، مرجع سابق، ص: 38.

(3) غريغوري أورفلي، مرجع سابق، ص: 122، ص: 123.

ضريبة التمتع: وهي ضريبة فرضت على التجار والتي ارتفعت باستمرار، ويبين الجدول التالي ارتفاع قيمة هذه الضريبة المتصاعد خلال عدة سنوات:

السنة	قيمة ضريبة التمتع
ما قبل عام 1879	0.030 بالاف
1879	0.040 بالاف
1905	0.050 بالاف

ضريبة الأغنام والمواشي: فرضت على الماشية والدواب، وبلغت قيمتها على الأغنام والماعز 4 قروش على كل رأس، أما الجمال والأبقار والخنازير فبلغت 10 قروش على كل رأس⁽¹⁾.

ونتج عن هذه الضرائب تضرر الأنشطة الاقتصادية المحلية، فقد تراجع إنتاج بعض المحاصيل الزراعية والصناعات المرتبطة بها، مثل زراعة القطن، وتربية دودة القز؛ لإنتاج الحرير، وكان الحرير الشامي يلقى رواجاً في الأسواق الأوروبية خاصةً فرنسا التي اشتهرت بصناعة الحرير، ما أسهم في رفع مستوى المعيشة خاصة الموارنة، فشكّلوا طبقة برجوازية⁽²⁾. لكن إنتاج هذا الصنف تعرض لنكسات؛ بسبب الآفات التي ضربت المحصول لا سيما في الفترة ما بين 1865-1871، ومع بداية القرن العشرين انتهت هذه الصناعة لنفس الأسباب⁽³⁾. ولم تكن الآفات هي السبب الوحيد وراء تراجع هذه الصناعة؛ بل وجدت أسباباً أخرى، مثل شق قناة السويس التي تم افتتاحها عام 1869م وسهلت الاتصال بين الغرب والشرق، وحولت حركة النقل العالمية من سوريا إلى مصر ما مكن حرير اليابان الصناعي الوصول إلى الأسواق الأوروبية بسرعة وبأسعار رخيصة⁽⁴⁾. فكسدت صناعة وتجارة الحرير في بلاد الشام؛ بسبب غلاء أسعاره مقارنةً مع الحرير الصناعي الأمر الذي دفع الكثيرين من مسيحيي لبنان العاملين بهذه الصناعة للهجرة أولاً إلى مصر، ثم هاجر البعض منهم إلى الخارج⁽⁵⁾.

وإلى جانب الأوضاع الاقتصادية الصعبة، عانى السكان في بلاد الشام أوضاعاً صحية مزرية؛ نتيجة دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا، الأمر الذي دفع الحلفاء

(1) جمال نايف عدوي، مرجع سابق، ص: 41.
(2) لورانت شابري، أني شابري، مرجع سابق، ص: 416.
(3) غريغوري أورفلي، مرجع سابق، ص: 121.
(4) إبراهيم حياي، وآخرون، العرب في أمريكا صراع الغربة والاندماج، تحرير ميخائيل وديع سليمان، ط 1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2003)، ص: 18.
(5) مسعود ضاهر، هجرة الشوام الهجرة اللبنانية إلى مصر، ط 1، (القاهرة: دار الشروق، 2009)، ص: 249.

(فرنسا وبريطانيا) فرض الحصار لسواحل بلاد الشام، ومنع وصول الموارد الغذائية للسكان، فضلاً عن استيلاء العثمانيين على محاصيل القمح لضمان الغذاء لجيشهم، إلى جانب تراجع مساحة الأراضي المزروعة؛ بسبب هجر الفلاحين أراضيهم خوفاً من الضرائب والتجنيد⁽¹⁾ ما أدى إلى انتشار المجاعة بين السكان والتي قضت على ربع سكان سوريا تقريباً⁽²⁾، ولم تجد جثث القتلى من يدفنها، فانتشرت الأمراض مثل الطاعون والتيفوئيد بين السكان⁽³⁾. أمام هذه الأوضاع المتردية لم يبق أمام البعض سوى الهجرة إلى الخارج.

ولعب التجنيد الإجباري الذي فرضته الدولة العثمانية على المسيحيين اعتباراً من عام 1908م دوراً مهماً في هجرة هؤلاء للخارج، فقبل هذا التاريخ كان المسيحيون معفيين من هذه الخدمة مقابل البدل العسكري، لكن دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى فرض عليها تجنيد العرب مسلمين ومسيحيين، الأمر الذي أضر بالأوضاع الاقتصادية لهم، خاصة الفقراء منهم الذين لم يستطيعوا تقديم الرشوة للحصول على الإعفاء فكان مصيرهم الذهاب للقتال في الحرب وترك أعمالهم، وتقدر خسائر العرب البشرية بأربعين ألفاً من أصل 240.000 مجند عربي بعد وضعهم في الصفوف الأمامية في المعارك⁽⁴⁾. فوجد الكثير من العرب في الهجرة المخرج الوحيد أمامهم لتجنب إرسالهم إلى جبهات القتال والتي قد لا يعودون منها.

وشهدت بلاد الشام خاصة لبنان زيادة سكانية كبيرة لا تتناسب والموارد المتوفرة في المنطقة فالأراضي الزراعية لا تكفي أن تعيل سوى فرد واحد من الذكور، ما يعني أن على باقي الذكور أن يعيلوا أنفسهم بأنفسهم، ولم يكن الإنتاج الصناعي أفضل حالاً، ويصف أحد المهاجرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية أوضاع العرب قبل الحرب العالمية الأولى "لم تكن الحالة مرضية بالكامل لأن جبل لبنان كان محروماً من عمقه الخصب إلى سهل البقاع بالإضافة إلى سهلي صور وصيدا. أما مناطقه فكانت جبلية في الغالب والقليل منها يصلح للزراعة، أصبحت الهجرة بمثابة صمام الأمان يحمي ما يمكن أن يكون وضعاً متفجراً نظراً لنسب الولادات العالية أو القليل من النشاطات الزراعية وبغياب الصناعة فعلياً"⁽⁵⁾. وتعود الزيادة السكانية إلى تحسن الأوضاع الصحية؛ نتيجة توفر الأدوية للكثير من الأمراض بفضل الأطباء الأمريكيين ما قلل معدلات الوفيات، ورافق ذلك تحسن في مستوى المعيشة للمسيحيين بعد حصولهم على فرص عمل في الشركات الأوروبية⁽⁶⁾، ونتيجة لذلك تضاعف عدد السكان في سوريا في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر حتى عام 1890 من 1.3 مليون نسمة م تقريباً إلى 2.7 مليون نسمة⁽⁷⁾. أما منطقة

(1) سمير أبراهام، نبيل أبراهام، مرجع سابق، ص: 64، 68.

(2) غريغوري أورفلي، مرجع سابق، ص: 132.

(3) سمير أبراهام، نبيل أبراهام، المرجع نفسه، ص: 89.

(4) غريغوري أورفلي، مرجع سابق، ص: 126.

(5) المرجع نفسه، ص: 121.

(6) طارق، متري، مرجع سابق، ص: 93.

(7) غريغوري أورفلي، مرجع سابق، ص: 121.

جبل لبنان فقد عدد سكانها عام 1880 بـ 442.000 نسمة. هذه الزيادة السكانية الكبيرة أثرت سلباً على الأوضاع الاقتصادية، ما دفع الكثيرين للهجرة إلى الخارج من أجل الحصول على فرص عمل، وهو ما حدث بالفعل، فلبنان مثلاً فقد سنة 1914 ما لا يقل عن 100 ألف نسمة بفعل الهجرة إلى أمريكا، والمقصود هنا أمريكا الشمالية والجنوبية، ولم تقتصر هذه الزيادة على نهاية القرن التاسع عشر بل استمرت طوال القرن العشرين وفي كل المشرق العربي، ما أدى إلى عدم كفاية فرص العمل، وانتشار البطالة، فبدأ وخاصة الشباب منهم في البحث عن فرص عمل في الخارج⁽¹⁾.

وشكلت المنطقة العربية خلال القرن العشرين بيئة طاردة للأفراد؛ بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية التي عاشتها، فمنذ بداية الخمسينيات والستينيات وصل إلى الحكم في البلاد العربية قيادات عربية اتبعت سياسات اقتصادية اشتراكية، ويظهر هذا جلياً في مصر، والعراق، وسوريا عندما قامت أنظمة هذه الدول بعمليات تأمين واسعة طالعت أملاك الأثرياء من مسلمين ومسيحيين. وقد لاقت هذه السياسة معارضة شديدة من أبناء هذه الطبقة ومنهم المسيحيون الذين اعتبروا هذه الإجراءات موجهة ضد الطبقة الثرية المسيحية⁽²⁾ وهذا بالطبع غير دقيق، وما زاد الأمر سوءاً استغلال الدول الغربية هذه الإجراءات لإثارة المسيحيين ضد أنظمة الحكم العربية خاصة نظام الرئيس جمال عبد الناصر.

ونتيجة للممارسات السيئة للأنظمة السياسية العربية بعد الاستقلال والمتمثلة في الفساد الإداري، والمالي، تراجعت الأوضاع الاقتصادية والتعليمية، فانتشرت البطالة بين الفئات المتعلمة، الأمر الذي دفع الكفاءات العلمية إلى البحث عن حياة أفضل في الخارج. وتعود جذور هجرة الكفاءات العلمية إلى نهاية القرن التاسع عشر ولاسيما من سوريا ولبنان وفلسطين ومصر، ولكنها شهدت زيادة ملحوظة خلال القرن العشرين، وكانت وجهتها الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، وتُظهر بعض المنظمات العربية المهتمة بهذه الظاهرة، مثل منظمة العمل العربية، وجامعة الدول العربية حجم هذه الظاهرة وهي على النحو الآتي:

- يساهم الوطن العربي في ثلث هجرة الكفاءات العلمية من البلدان النامية إلى البلدان المتقدمة.
- إن (15%) من الأطباء و (23%) من المهندسين و (15%) من العلماء المتخرجون من الجامعات العربية يهاجرون إلى أوروبا والولايات المتحدة وكندا.
- يشكل الأطباء العرب العاملون في بريطانيا (34%) من مجموع الأطباء العاملين فيها.

(1) مجموعة مؤلفين، الجاليات العربية في أمريكا اللاتينية، مرجع سابق، ص: 277، 131.
(2) جورج قرم، الحضور المسيحي في الشرق والصراعات السياسية: الناحية الاقتصادية، مجلة اللقاء، السنة الثالثة والعشرون، العدد الثالث، 2008، ص: 138.

- إن نسبة (54%) من الطلاب العرب يدرسون في الخارج ولا يعودون إلى بلدانهم.
- إن ثلاث دول غنية وهي الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا تستقطب (75%) من المهاجرين العرب⁽¹⁾.

وأما دوافع الهجرة العلمية، فتعود بالدرجة الأولى إلى العوائد المادية المغرية في الغرب، وتوفر البيئة العلمية المناسبة، وحرية التعبير عن الرأي وهي مغريات تفتقر لها البلاد العربية، في حين تعاني الدول العربية من غياب الاستقرار السياسي، إلى جانب انتهاج سياسات اقتصادية وتعليمية واجتماعية، لا تولي الكفاءات العلمية الاهتمام الكافي واستغلال طاقاتهم، بل عملت على إهمال وتمهيش المبدعين⁽²⁾. إلى جانب هذه الدوافع، كان لمجانبة التعليم في بعض الدول العربية كمصر، دور في حصول المسلمين على فرص تعليم جيدة، وتبوأهم مراكز مهنية مهمة كانت سابقاً قصراً على المسيحيين؛ ما ولد لديهم شعوراً بتراجع دورهم الثقافي والاجتماعي والسياسي⁽³⁾، وبالتالي أصبحت الهجرة هدفاً لكثير من الكفاءات العلمية المسيحية. وفي هذا الخصوص يشير سمير عبده إلى خطورة هجرة العقول المسيحية من العراق، "تصف مسيحي الموصل هجروها، وتكمن الخطورة في أن المسيحيون عندما يهاجرون يفضلون البقاء في الخارج بعكس المسلمين الذي يعود نسبة كبيرة منهم"⁽⁴⁾.

وتعتبر الأوضاع الثقافية السيئة في بلدان العالم الثالث، ومنها دول المشرق العربي من عوامل الدفع التي تقود إلى هجرة الخبرات العلمية وبالذات الدارسين منهم بالخارج، وذلك لان المستوى الثقافي لتلك النخبة من الخبراء يؤهلها أن تحتل مراكز القيادة للشعب، ولكن الواقع يجعلها تشعر بالغرابة داخل موطنها، فالفجوة في المستوى الثقافي بين النخبة وعامة الشعب تجعلها منعزلة، وهذا يدفعها إلى محاولة الهرب.

(1) عائدة عزت، هجرة العقول العربية، من منشورات وزارة الصناعة والتجارة المصرية، (نسخة الكترونية)، استرجعت بتاريخ 2/2/2014.

<http://site.iugaza.edu.ps/aeholy/files/2010/02/>

(2) نضال محمد العصفرة، الشباب العربي في المهجر، ط 1، (عمان: منتدى الفكر العربي، 2008)، ص: 199.

(3) جورج قرم، مرجع سابق، ص: 141.

(4) سمير عبده، مرجع سابق، ص: 80، 81.

المبحث الثالث: الدوافع الطائفية للهجرة المسيحية

منذ أن سيطر العثمانيون على مقاليد الأمور في المنطقة العربية عملوا على تقسيم سكانها غير المسلمين إلى ملل، ونتج عنه عزلة الطوائف غير الإسلامية داخل طوائفهم، وشعورهم بالاضطهاد الذي مارسه بعض الولاة تمثل بشكل واضح في فرض بعض الضرائب عليهم؛ إلى جانب سوء المعاملة التي تعرضوا لها في بعض الأحيان من قبل عامة المسلمين، فكان المسيحي ينعت بالكافر ويشتم صليبه ويصفع، وإذا كان مسلم يمر بمسيحي يأمره بالسير على الشمال وكان على المسيحي أن يحمل على ظهره كيس الحاجة ليحمل به حوائج المسلمين ولا يخرج من داره بدونه⁽¹⁾. كما منع المسيحيون من تقليد المسلمين في لباسهم، واجبروا على الالتزام باللون الأزرق والعمامة السوداء والنعال السوداء، "كما فرض على المرأة الذمية انتعال خف من لونين مختلفين لتمييزها عن المرأة المسلمة"⁽²⁾. ولعب الحكم المصري دور غير مباشر في زيادة اضطهاد المسيحيين في بلاد الشام، عندما خضعت بلاد الشام له، حيث وضع إبراهيم باشا نظاماً جديداً يقوم على المساواة الدينية والمدنية لجميع المواطنين، وإلغاء القوانين الاستثنائية ما أثار حسد وحقد المسلمين على النصارى⁽³⁾.

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر بدأت تظهر حركات انفصالية عن الدولة العثمانية في بلاد الشام، مستغلة انشغال الدولة في حروبها الخارجية، والضعف الذي بدأ يدب فيها، وللتغلب على هذه الحركات لجأ السلاطين العثمانيين إلى نشر الفتنة بين الطوائف من أجل تمكين الدولة من إعادة سيطرتها على هذه المناطق، وأشهر هذه الفتنة كانت فتنة الدروز والموارنة في العام 1845 و 1860⁽⁴⁾.

فبعد أن عادت بلاد الشام إلى سيطرة الدولة العثمانية وطرد الحكم المصري منها حتى اندلعت الفتنة بين الدروز والموارنة، ومما زاد في حدة التوتر بين الطائفتين كان تدخل بريطانيا لصالح الدروز وإمدادهم بالسلاح، وتدخل فرنسا لصالح الموارنة، وذلك في ظل المنافسة الشديدة بين الدولتين في السيطرة على ممتلكات الدولة العثمانية، فكانت الفتنة الأولى عام 1845م التي نتج عنها وقوع عدد كبير من القتلى بين الطرفين، أما الفتنة الثانية عام 1860م بين الموارنة والدروز على الرغم من أن دوافعها لم تكن دينية؛ بل طبقية، وذلك عندما قام الكهنة الموارنة بتحريض الفلاحين الموارنة ضد الإقطاعيين الموارنة، وما لبثت أن انتقلت شرارة الاحتجاجات إلى مناطق أخرى من لبنان، عندما

(1) فدوى نصيرات، مرجع سابق، ص: 53.

(2) منير موسى، مرجع سابق، ص: 19.

(3) جورج انطونيوس، مرجع سابق، ص: 91، 92.

(4) فيليب حتي، وآخرون، تاريخ العرب (مطول)، الجزء 3، ط2، مرجع سابق، ص: 864.

انتفض الفلاحون الموارنة ضد أسيادهم الإقطاعيين الدروز، فنشبت الفتنة الثانية التي تحولت إلى دينية وقُتِل فيها أعدادٌ كبيرة من الطرفين، لكن الضحايا المسيحيين كانوا أكثر عدداً، وقدّرت بعض المصادر عدد القتلى بـ 11.000 قتيل، إضافة إلى تدمير الممتلكات⁽¹⁾. وهذه الفتنة لم يكن لها أن تقع وتحصد أرواح آلاف الأبرياء؛ لولا تدخل كل من فرنسا وبريطانيا والدولة العثمانية بالتحريض وإمداد الطرفين بالسلاح فتحوّلت من انتفاضة اقتصادية وسياسية إلى فتنة طائفية.

وكان من نتائج هذه الأحداث؛ هجرة العديد من مسيحيي سوريا، ولبنان إلى مناطق مختلفة من العالم، ومنها مصر التي هاجر إليها العديد من الموارنة بسبب انتشار حرية التعبير⁽²⁾، على أن بعض هؤلاء ترك مصر بسبب أحداث ثورة أحمد عرابي عام 1882م وهاجروا إلى فرنسا، أما بعض مسيحيي سوريا خاصة التجار فهاجر قسم منهم إلى إنجلترا للعمل بتجارة النسيج، وقسم آخر توجه إلى قبرص⁽³⁾.

لقد اختلف الدارسون لموضوع هجرة المسيحيين من المشرق العربي حول دور الاضطرابات الطائفية كدافع رئيسي في الهجرة خاصة من سوريا ولبنان منذ منتصف القرن التاسع عشر، ففي حين يقلل بعض الباحثين من أهمية هذا العامل ومنهم الباحث الألماني أ. روبين الذي كتب أن "ثلث إلى نصف المهاجرين كانوا يعودون إلى أوطانهم ويستثمرون أموالهم هناك فإذا كان الاضطهاد وراء هجرتهم فلماذا يعودون؟"⁽⁴⁾ لكن هذا الاعتقاد لا ينفي أن الفتنة الطائفية لعبت دوراً مهماً في دفع المسيحيين خاصة مسيحيي جبل لبنان إلى الهجرة، وهذا ما يؤكدّه باحثون آخرون في أن الهجرة شهدت تزايداً بعد أحداث عام 1860م وحتى 1900م بمعدل 3000 مهاجر سنوياً⁽⁵⁾. وأن كان الكثير ممن عايشوا هذه الأحداث لا يقرّون بأنها كانت وراء هجرتهم، لكن بالتأكيد هناك آخرون يعترفون بذلك أو على الأقل فكروا بالهجرة بسببها، وهذا ما تؤكدّه إحدى الناجيات من المذابح وهاجرت إلى الولايات المتحدة "هاجمنا الدروز والسوريون المحمديون، مدعومين من الأتراك أنفسهم بقي رجال ونساء قريتنا يدافعون عنها لمدة ثلاث أيام، فتح زوجي النار على اثنين منهم وقتلها وكنت أساعده في حشو البنادق، تمكن المهاجمون من قتل عدد كبير من جيراننا قبل أن نتمكن من الهرب صممت حينها، وأنا أم لسنة أولاد صغار، أن أعادر البلاد إن أتيت لي الفرصة"⁽⁶⁾.

(1) جورج انطونيوس، مرجع سابق، ص: 122، 125.

(2) غريغوري أورفلي، مرجع سابق، ص: 115.

(3) مجموعة مؤلفين، الجاليات العربية في أمريكا اللاتينية، مرجع سابق، ص: 22.

(4) سمير أبراهام، نبيل أبراهام، مرجع سابق، ص: 76.

(5) المرجع نفسه، ص: 75.

(6) غريغوري أورفلي، مرجع سابق، ص: 114.

ولقد أحدثت هذه المذابح جداراً نفسياً بين الطوائف اعتقد البعض أنه انتهى مع مرور الزمن، لكن الأحداث أثبتت أن ذلك كان بعيداً بدليل ما حدث في عام 1982م عندما حاصرت وحدة من الكتائب (الموارنة) منطقة دير القمر الدرزية في أعقاب غزو إسرائيل للبنان، "سأل بعض الأعيان الدروز سمير جعجع وهو قائد وحدة الكتائب هناك عما يفعله في هذه المنطقة فأجاب: إنني أرد إليكم زيارتكم ألياً في العام 1860" وتعرضت دير القمر للحصار مدة عشرة أيام عانى سكانها الدروز من انتقام من الموارنة الذي تمثل بالقتل، ومنع وصول المياه والطعام للمحاصرين⁽¹⁾. إلى جانب ذلك أكدت الإحصائيات في البرازيل والتي أجريت في بداية القرن العشرين، أن المهاجرين العرب إليها كانوا من المسيحيين؛ لأن الأتراك كانوا قد طاردوهم لأسباب دينية⁽²⁾.

وقد استغللت الاختلافات الطائفية في المنطقة العربية وخاصة لبنان في القرن العشرين كما حدث القرن التاسع عشر؛ من قبل دول وجماعات منظمة وتحت شعارات مختلفة لتحقيق أهدافها السياسية، ففرنسا بعد فرض انتدابها على لبنان استغللت الاختلافات الطائفية لتسهيل سيطرتها عليه⁽³⁾، واستمر المشهد في عام 1975م عندما اندلعت الحرب الأهلية واستمرت خمسة عشر عاماً، ويُرجع بعض المؤرخين أسباب هذه الحرب إلى الدستور اللبناني الذي وضع عام 1943م الذي لم يكن منصفاً عندما أعطى الموارنة سيطرة في مجلس النواب فضلاً عن الرئاسة⁽⁴⁾. وتركت هذه الحرب آثاراً كارثية على النسيج الاجتماعي فرسخت الانقسام الطائفي، كما انهار الاقتصاد اللبناني، ما دفع عشرات آلاف المسيحيين اللبنانيين للهجرة إلى الخارج، وقدر عدد المهاجرين المسيحيين في الربع الأخير من القرن العشرين بحوالي 650.000 لبناني⁽⁵⁾.

والحقيقة أن الحرب اللبنانية كانت حرباً سياسية بامتياز بين فريقين أحدهما يمثل المشروع الوطني المقاوم وضم في صفوفه مسلمين ومسيحيين مثل جورج حاوي، جورج عبد الله السجين في فرنسا لمشاركته في المقاومة الفلسطينية، سهى بشارة، وغيرهم الكثير، والفريق الآخر يمثل المشروع الرفض للمقاومة وضم أغلبية مسيحية متعصبة اختارت التحالف مع إسرائيل والغرب، لكن الأحداث ما لبثت أن أخذت الطابع الطائفي.

(1) غريغوري أورفلي، مرجع سابق، ص: 113.
(2) ماجد رداوي، مصطفى طلاس، الهجرة العربية إلى البرازيل، 1870-1986، ط1، (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1989)، ص: 48.
(3) جلال يحيى، محمد نضر مهنا، مشكلات الأقليات في الوطن العربي، (الإسكندرية: دار المعارف، 1980)، ص: 15.
(4) غريغوري أورفلي، مرجع سابق، ص: 111.
(5) فؤاد فرح، مرجع سابق، ص: 121.

وأما العراق فقد هاجرت أعدادٌ لا باس بها من المسيحيين العراقيين (الآشوريون) خلال الحرب العالمية الأولى، نتيجة الاضطهاد الذي تعرضوا له من قبل الدولة العثمانية⁽¹⁾، وبعد خضوع العراق للانتداب البريطاني في بداية القرن العشرين، استغلت بريطانيا الأقليات في العراق مثل الأقلية الآشورية؛ للعمل في صفوف الجيش البريطاني من أجل القضاء على ثورات القبائل العربية التي اندلعت ضد الاحتلال البريطاني ما خلق أجواء من التوتر في العلاقات الإسلامية - المسيحية وانعدام الثقة⁽²⁾.

على أن أوضاع المسيحيين في العراق استقرت بعد وصول حزب البعث إلى سدة الحكم الذي ساوى بين جميع المواطنين، فتمتع المسيحي بالحقوق والحريات التي تمتع بها المسلم العراقي، وتولى بعضهم وظائف حكومية مهمة مثل طارق عزيز وزير خارجية العراق، كما لم يمارس النظام أعمال عنف ضد المسيحيين باستثناء بعض الأحداث التي لم تكن موجّهة ضدهم؛ بل ضد الأكراد الذين كانوا في صراع مع الدولة العراقية فتعرضت قرى آشورية للتدمير لقرىها من المنطقة الكردية، وهذه النظرة الإيجابية من الدولة تجاه الطوائف المختلفة أثرت إيجاباً على نظرة المسيحي للدولة فشعر بالولاء لها⁽³⁾. ورغم ذلك شهد العراق هجرة واسعة للكردانيين بعد وصول حزب البعث إلى الحكم عام 1968م بفعل إجراءات التأميم التي قام بها الحزب، فكانت الهجرة لدوافع اقتصادية وليس نتيجة اضطهاد ديني، ترافق ذلك مع تخفيف القيود التي فرضت على الهجرة في الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، فضلاً عن عدم الاستقرار السياسي بفعل الحروب التي خاضها العراق ضد الأكراد⁽⁴⁾، وإيران، والكويت.

ومع بداية القرن الحادي والعشرون ازدادت التحديات التي تواجهها شعوب المشرق العربي، فالأحداث التي شهدتها بعض الدول العربية فيما يعرف بالربيع العربي تدفع المتأمل لأوضاع المنطقة العربية إلى السؤال: هل نحن أمام موجة جديدة لهجرة المسيحيين العرب؟ وهل سيُذكر الربيع العربي كحركة ساعدت في اختفاء بعض مكونات المشرق العربي؟

من المعروف أنه عندما تتعرض منطقة ما لاضطرابات وثورات تكون الأقليات أكثر عرضة للمضايقات من غيرها مما يدفعها للبحث عن مكان آمن، وتعتبر سوريا الأكثر تعبيراً عن ذلك، فقد هُجّر عدد كبير من أبنائها بسبب الصراع القائم هناك، ومن هؤلاء: المسيحيون السوريون فقد بلغ

(1) سمير عبده، مرجع سابق، ص: 138.

(2) جورج قرم، مرجع سابق، ص: 143.

(3) سمير عبده، مرجع سابق، ص: 138، 139.

(4) غريغوري أورفلي، مرجع سابق، ص: 316.

عدد المهاجرين منهم ما يقرب من نصف مليون مسيحي⁽¹⁾.

وكان للتطورات السياسية في مصر دوراً في اتخاذ بعض الأقباط قرار الهجرة، منها الهجمات الطائفية على الأقباط وكنائسهم منذ يناير 2011، مثل: تفجير كنيسة القديسين في مدينة الإسكندرية في رأس السنة الميلادية 2011 ونتج عنه مقتل 21 مسيحياً وإصابة العشرات⁽²⁾، مروراً بانتخاب الرئيس محمد مرسي مرشح الإخوان المسلمين وصولاً إلى ثورة 30 يونيو 2013 التي أقصت الإخوان المسلمين عن الحكم بتأييد من الأزهر والكنيسة، مما عرض الأقباط إلى هجمات انتقامية؛ بسبب موقفهم الداعم للجيش.

ولم يكن مسيحيو العراق بمنأى عن العنف الدائر في المنطقة العربية، فمنذ عام 2003 شهد العراق هجرة واسعة في أوساط المسيحيين؛ بسبب الحرب الأمريكية على العراق، والصراع الطائفي الذي اندلع في أعقاب هذه الحرب، حيث تعرضت الكنائس للتدمير مثل تفجير كنيسة سيدة النجاة في أكتوبر 2010، وتعرض بعض الكهنة والرهبان للخطف والقتل⁽³⁾.

وفي الواقع لم تتوقف آثار الربيع العربي على هشاشة الوضع السياسي العربي، بل انسحب الأمر على الوضع الاقتصادي الذي تراجع بفعل الاضطرابات، ما أدى إلى انخفاض مستوى المعيشية، وزادت معدلات الفقر، إلى جانب الانقسام الطائفي الحاد، كل ذلك إلى دفع المسيحيين والمسلمين للهجرة، وبشكل خاص فئة الشباب من أبناء الطبقة الوسطى، وشجعهم على ذلك وخاصةً المسيحيين منهم توفر شبكة أمان لهم في الخارج: مثل الأقارب والأصدقاء والمؤسسات الكنسية، الأمر الذي سهل للكثير منهم الحصول على فرص عمل وسكن، وساهم بالتالي في نجاح تجربة الهجرة لديهم.

إلى جانب الدوافع السياسية والاقتصادية والطائفية السابقة، وجدت عوامل عرضية، سهلت وشجعت الهجرة إلى الخارج، منها ظهور السفن البخارية التي جعلت الرحلات البحرية أقصر وأكثر أماناً، إلى جانب انتشار شبكات نقل المسافرين مثل الخط الفرنسي، والخط النمساوي، والخط الروسي، إضافةً إلى خطوط ايطالية، وبريطانية، وألمانية كانت تمر بموانئ مصر وحيفا ويافا، وتقل التجار والمهاجرين العرب، وبشكل خاص الفلسطينيين، واللبنانيين إلى أوروبا، وأمريكا. ونتيجة اتساع الهجرة

(1) مقابلة مع د. برنارد ساببلا، عضو المجلس التشريعي الفلسطيني، عبر الانترنت، يوم الأربعاء، الموافق 23 / 7 / 2014.

(2) ليث كمال نصرأوين، حماية حقوق الأقليات الدينية في ظل الربيع العربي، منظمة العفو الدولية، المجلة الإلكترونية، العدد 19، (نسخة إلكترونية)، استرجعت بتاريخ 1 / 7 / 2014

(3) أكرم الفي، تداعيات الربيع العربي وشبكات الأمان- الخروج الثالث للمسيحيين، معهد العربية للدراسات، (نسخة إلكترونية)، استرجعت بتاريخ 1 / 7 / 2014

www.amnestymena.org/ar/Magazine/Issue19/Protection of MinoritiesArabsPring.aspx?articleID=1082
studies.arabiya.net/ hot-issues

في أوساط العرب، بدأت الصحف المحلية تنشر إعلانات لوكلاء السفن؛ لتشجيع المواطنين على السفر، ومن هذه الصحف، جريدة فلسطين التي نشرت إعلان لوكيل سفن يدعى الياس روفائيل⁽¹⁾. انظر الملحق رقم (1) ولم يقتصر اثر تطور وسائل النقل على ما ذكرنا آنفاً، وإنما اثر سلباً على الإنتاج الصناعي المحلي لبلاد الشام بسبب المنافسة الشديدة للصناعة الأوروبية⁽²⁾.

وكانت أوروبا وأمريكا شهدت ثورة صناعية منذ القرن السابع عشر أدت إلى ظهور النظام الرأسمالي، الذي أصبح بحاجة إلى أيدي عاملة رخيصة للعمل في الصناعة. هذا التطور الصناعي ظهر أثره في بلاد الشام فيما عرف بسماسرة الأفراد لتأمين العمال الذين تحتاجهم الصناعة خاصة في الولايات المتحدة⁽³⁾. الأمر الذي شجع هجرة الكثيرين خاصة الفقراء؛ بهدف تحسين ظروف حياتهم.

ولم ترتبط الهجرة العربية المسيحية من المشرق العربي بعوامل الطرد فقط؛ وإنما قابلها عوامل جذب في البلدان المستقبلية، فقد ساهم التطور الصناعي خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، والازدهار الاقتصادي، ووجود المؤسسات الاقتصادية في خلق فرص عمل كثيرة للمهاجرين⁽⁴⁾. وقد بدأ الأمر عندما شجع السلطان عبد الحميد الثاني التجار في بلاد الشام على المشاركة في المعارض الدولية التي أقيمت في الولايات المتحدة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين⁽⁵⁾. لم تكن المشاركة كبيرة من قبل التجار العرب خاصة في المعرض الأول فيلادلفيا عام 1876م؛ لكنها كانت كفيلة بتشجيع الهجرة من المنطقة العربية خاصة من بلاد الشام بعد الإسهاب في مدح تلك المعارض، وتطور المؤسسات الاقتصادية في الولايات المتحدة؛ من قبل التجار العائدين إلى بلادهم. تبع الشوام في الهجرة، الكلدانيون العراقيون، وكان أول مهاجر كلداني وصل إلى الولايات المتحدة عام 1889م ويعتقد أنه أحد المشاركين في معرض فيلادلفيا، ثم تبعته مجموعات صغيرة من الكلدانيين في البداية، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد؛ بل استمرت الهجرة حتى بلغ عدد الكلدانيين في الولايات المتحدة وحدها في نهاية القرن العشرين ما يقارب 150.000 كلداني يتوزعون على عدة مدن أمريكية⁽⁶⁾.

(1) جمال نايف عدوي، مرجع سابق، ص: 81، 82، 83.

(2) مجموعة مؤلفين، الجاليات العربية في أمريكا اللاتينية، مرجع سابق، ص: 313.

(3) سمير أبراهام، نبيل أبراهام، المرجع نفسه، ص: 26.

(4) جمال نايف عدوي، مرجع سابق، ص: 94.

(5) سمير أبراهام، نبيل أبراهام، مرجع سابق، ص: 73.

(6) غريغوري أورفلي، مرجع سابق، ص: 123، 315.

وشكلت الرسائل التي بعث بها المهاجرون العرب إلى ذويهم يتحدثون فيها عن نجاحهم في جمع الثروة، وكانت الأموال التي بعثوا بها إلى ذويهم خير دليل على ذلك⁽¹⁾ عامل جذب إضافي للراغبين بالهجرة.

وقد جذبت الولايات المتحدة الأمريكية عدداً كبيراً من المهاجرين العرب المسيحيين. والذين تعرفوا على الأمريكيين في بداية القرن التاسع عشر؛ بفضل الإرساليات التبشيرية البروتستانتية التي فتحت المدارس في بلاد الشام، وأدخلت المطابع، وأقامت المراكز الطبية التي قدمت خدماتها إلى الفقراء، ما ترك انطباعاً إيجابياً لدى العرب تجاه الأمريكيين، خاصة بعدما وقف المبشرون الأمريكيون موقفاً محايداً من أحداث الفتنة الطائفية بين الموارنة والدروز عام 1860م، على خلاف البريطانيين الذين قويت الروابط بينهم وبين الدروز والفرنسيين مع الموارنة بعد هذه الأحداث ما اكسب المبشرين الأمريكيين المصداقية أمام الطرفين المتنازعين⁽²⁾.

كما شكلت مبادئ المساواة، والحريات، وحقوق الإنسان وانتشارها في الغرب عامل جذب للعرب المسيحيين⁽³⁾، في حين افنقر الشرق العربي لهذه المبادئ.

لقد أعطيت أسباباً عديدة للهجرة العربية عامة والمسيحية بشكل خاص، والتي بدأت منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر واستمرت خلال القرن العشرين مع زيادة ملحوظة في النصف الثاني منه، وكانت تتجاذب المهاجرين عوامل دفع وعوامل جذب ولا سيما الدافع الاقتصادي؛ على أن الدوافع الأخرى لا تقل أهمية عنه خاصة الدافع السياسي المتمثل في عدم الاستقرار السياسي الذي تميزت به المنطقة العربية طوال القرن العشرين. إضافةً إلى ما سبق برز عامل آخر ساهم إلى حد كبير في تشجيع الهجرة، وهو وجود أعداد كبيرة من المسيحيين الذين استقروا في الغرب منذ وقت طويل شجع عائلاتهم وأصدقائهم في الوطن الأم إلى الهجرة اعتقاداً منهم أن الغرب أكثر استقراراً سياسياً واقتصادياً، فأخذت أسماء بعض العائلات تزول تدريجياً من السجلات المحلية نتيجة الهجرة كما حدث في مدينة بيت لحم الفلسطينية، ومن هذه العائلات على سبيل لا الحصر، عائلة قمندي، وآخر تسجيل لها في سجلات المدينة كان في سنة 1896، وعائلة أبو فحيلة، وعائلة أبو شقرة عام 1914، وللتعرف على المزيد من العائلات التي اختفت من سجلات بيت لحم خلال القرن العشرين، انظر الملحق رقم (2)⁽⁴⁾.

(1) سمير أبراهام، نبيل أبراهام، مرجع سابق، ص: 27.

(2) المرجع نفسه، ص: 108.

(3) سمير عبده، مرجع سابق، ص: 80.

(4) جورج كارلوس جاد الله سمور، بيت لحم عبر التاريخ، ط 1، (بيت لحم: مركز وثام لحل النزاعات، 2007)، ص: 61.

الفصل الخامس

الهجرة المسيحية من فلسطين خلال القرن العشرين

1.5 المقدمة:

شهدت فلسطين منذ القرن التاسع عشر وحتى الآن متغيرات دولية وإقليمية أثرت على مجمل الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، فقد تعاظم اهتمام الدول الأوروبية في فلسطين منذ ذلك الوقت، ولعبت عدة أحداث في زيادة هذا الاهتمام منها: الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام، وسيطرة محمد علي على فلسطين (1831 - 1840)، اللتان أظهرتا أهمية الموقع الاستراتيجي لفلسطين، وقد بلغ هذا الاهتمام أوجه بإقامة دولة إسرائيل فيها نتج عنه تشتت أبناء الشعب الفلسطيني في كل بقاع الأرض. على أن حركة الهجرة الفلسطينية شهدت تعاظماً أحياناً وتراجعاً أحياناً أخرى؛ تبعاً لظروف فلسطين، والدول المستقبلية.

ويتناول الفصل الخامس دوافع الهجرة المسيحية من فلسطين خلال القرن العشرين، حيث يستعرض المبحث الأول جذور الهجرة الفلسطينية المسيحية التي بدأت تظهر بشكل ملحوظ في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، أما المبحث الثاني فيناقش الهجرة الفلسطينية المسيحية الفترة ما بين 1920 - 1947م، وتوضيح دور بريطانيا في هذه الهجرة، ويستعرض المبحث الثالث الهجرة المسيحية في الفترة ما بين 1947 - 1967م حيث شهدت الهجرة الفلسطينية شكل النزوح الجماعي؛ بسبب عمليات التهجير التي قامت بها المنظمات الصهيونية، في حين يتناول المبحث الرابع: دوافع الهجرة المسيحية من الضفة الغربية وقطاع غزة ما بين عام 1967 وحتى نهاية القرن العشرين، ويناقش هذا المبحث الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عاشها الشعب الفلسطيني بسبب الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة، ودور هذه الأوضاع في تشجيع الهجرة إلى الخارج. في حين يلقي المبحث الخامس الضوء على دور المؤسسات الفلسطينية في الهجرة المسيحية، ويستعرض هذا المبحث حقيقة دور السلطة الوطنية الفلسطينية، والكنيسة، والحركات الإسلامية الفلسطينية في تشجيع الهجرة، أما المبحث السادس فيوضح أبعاد الهجرة المسيحية على الوجود المسيحي في فلسطين.

المبحث الأول: جذور الهجرة المسيحية من فلسطين

ارتبطت الهجرة من فلسطين بحركة الهجرة من بلاد الشام إلى الخارج؛ لأن فلسطين شكلت جزءاً من بلاد الشام خلال الحكم العثماني، وقد تعاضمت الهجرة من فلسطين إلى الأمريكتين في كل مرة كانت تسوء فيها الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وبدأت طلائع المهاجرين الأوائل خلال القرن التاسع عشر وبشكل خاص من بيت لحم.

كان الشعب الفلسطيني في منتصف القرن التاسع يتكون من أتباع ثلاث ديانات اليهود، المسيحيين والمسلمين، أما المسلمون والمسيحيون، فكانوا يعيشون جنباً إلى جنب في عدد كبير من القرى والمدن الفلسطينية، مع تركيز واضح للمسيحيين في مدن القدس والمناطق المجاورة، بيت لحم، ويافا، واللد، والرملة، وحيفا، وعكا، والناصرة⁽¹⁾.

وتباينت أعداد الفلسطينيين في نهاية الحكم العثماني، ما بين الارتفاع والانخفاض. وكان وراء ذلك عوامل ساعدت على الزيادة وأخرى أدت إلى النقصان، ففي حين قُدرت المصادر العثمانية أن عدد سكان فلسطين بلغ أكثر من نصف مليون نسمة منتصف القرن التاسع عشر، تراجع هذا العدد في عام 1882م، فبلغ ما يقارب 466 ألف نسمة، وقد شكل المسلمون 80% من السكان، والمسيحيون 10% في حين شكل اليهود 6%⁽²⁾ وكانت أعداد المسيحيين قد شهدت تراجعاً كبيراً، ففي حين قُدرت نسبتهم بـ 30% من سكان فلسطين في بداية الحكم العثماني⁽³⁾، تراجعت إلى 10% في ثمانينات القرن التاسع عشر، ويعود ذلك لعاملين: الأول انخفاض معدلات الولادة لدى الأسر المسيحية من جهة والهجرة من جهة ثانية. على أن عدد سكان فلسطين عاد وارتفع في الفترة ما بين

1896م - 1914م من 466 ألف نسمة عام 1883م إلى 640 ألف نسمة في عام 1896م إلى 689 ألف نسمة في العام 1914م، وتعود أسباب هذه الزيادة فضلاً عن الزيادة الطبيعية إلى الهجرة الوافدة والتي تمثلت في الهجرة اليهودية واستقرار بعض الجاليات الأوروبية خاصة الجالية الألمانية في القدس، ما أدى إلى ارتفاع نسبة المسيحيين من 10% إلى 16% عام 1914م⁽⁴⁾. كما شهدت

(1) الكزاندر شولش، تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882، دراسات حول التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، ترجمة كامل جميل العسلي، ط 2، (عمان: منشورات عمادة البحث العلمي الجامعة الأردنية، 1993)، 328.
(2) حسن عبد القادر صالح، الأوضاع الديمغرافية للشعب الفلسطيني، الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصة، المجلد 1، الدراسات الجغرافية، ط 1، (بيروت: 1990)، ص: 281.
(3) فؤاد فرح، مرجع سابق، ص: 152.
(4) حسن عبد القادر صالح، مرجع سابق، ص: 281.

مدينة القدس والمناطق المحيطة بها زيادة سكانية كبيرة خلال القرن التاسع عشر كما يبين الجدول التالي⁽¹⁾:

المدينة / السنة	1800	1840	1860	1880
القدس	10.000	13.000	20.000	30.000
رام الله	2.000	2.500	3.000	3.500
بيت لحم	1.500	2.500	3.570	3.750
بيت جالا	2.000	3.000	3.000	4.500

ولا شك أنّ ارتفاع أعداد السكان بمختلف طوائفهم دليل على التحولات الايجابية في الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية التي شهدتها فلسطين؛ بفضل الإصلاحات التي أدخلتها الدولة العثمانية في ولاياتها بعد انسحاب إبراهيم باشا من بلاد الشام، فعلى الصعيد الإداري تمت المساواة بين المسلمين وغير المسلمين، عندما سمح لممثلي المسيحيين واليهود المشاركة في الأجهزة الإدارية مثل (مجالس الإدارة والبلديات)⁽²⁾. أما اقتصادياً فقد استفاد المسيحيون من الامتيازات الأجنبية الممنوحة للأوروبيين، والتي شملوا بها بعد ضغط من الدول الأوروبية خاصة منذ عام 1870م، فرفعت عنهم القيود المفروضة على التجارة الداخلية والبضائع المستوردة من أوروبا كالضرائب، ما زاد من ثرائهم وشكلوا طبقة برجوازية⁽³⁾.

وكان لحصول المسيحيين على تعليم راق، بعد التحاقهم بالمدارس التبشيرية دوراً في حصولهم على وظائف في الشركات الأجنبية، كالعامل في الخدمات، وأعمال الطباعة، وانتمى أكثر المسيحيين إلى الطبقة الوسطى وسكنوا المدن⁽⁴⁾. على أن الأوضاع المزدهرة التي عاشتها فلسطين لم تكن كذلك دائماً، فقد عانت من عدم استقرار سياسي، وتدهور اقتصادي، والتي لعبت دوراً لا بأس به في الدفع إلى الهجرة.

وشهدت فلسطين تراجعاً في الأوضاع الصحية والغذائية، فقد عانى السكان من المجاعات في فترات مختلفة؛ بعد تعرض البلاد لزحف الجراد في الأعوام 1866م، 1869م، 1915م، والذي التهم قسماً

(1) جمال نابف عدوي، مرجع سابق، ص: 47.
(2) عادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700-1918: قراءة جديدة، ط 1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999)، ص: 207.
(3) باميلا أن شميث، فلسطين والفلسطينيون 1876-1983، ب.ط، (ب. د، ب. ت)، ص: 32.
(4) باميلا أن شميث، مرجع سابق، ص: 35، 36.

كبيراً من المحاصيل الزراعية، كما تعرض السكان لعدد من الأمراض الفتاكة، كالكوليرا التي انتشرت بينهم في الأعوام 1865م، وعام 1905م أدت إلى وفاة الكثير من المواطنين لا سيما في بلدة بيت لحم، إلى جانب الحصبة التي حصدت أرواح الكثير من أطفال البلدة⁽¹⁾، وخلال الحرب العالمية الأولى تعرضت البلاد مرة أخرى للكوليرا والتيفوئيد، فأضافت أعداداً من الوفيات إلى جانب وفيات المجاعة الناتجة عن مصادرة القوات العثمانية للمواشي وقطع الأحراش والأشجار المثمرة من أجل الوقود⁽²⁾.

وكما تراجعت الأوضاع على المستوى الصحي، تراجعت على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، فقد انتشرت الرشوة والفساد الإداري والفوضى⁽³⁾، وما زاد الطين بله الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر ضد روسيا وأدت إلى إفلاس خزينتها، ما دفعها إلى فرض المزيد من الضرائب خاصة على الفلاحين الذين كانوا يعانون من أحوال سيئة أصلاً؛ بسبب الأموال التي يدفعونها إلى الملتزمين ما زاد غضبهم على الدولة العثمانية، ويصف فلاح فلسطيني وضعه السيئ للقنصل البريطاني لدى الدولة العثمانية، فيقول "انظر إلى فقري أن هذا سببه الحكومة العثمانية التي أخذت كل أموالنا لكي تواصل حروبها، لا حربنا، بينما هي لا تفعل شيئاً لحمايتنا من البدو المتوحشين"⁽⁴⁾.

ومن الضرائب التي فرضت على الفلسطينيين⁽⁵⁾:

نوع الضريبة	الجهة التي فرضت عليها
ضريبة العشر	فرضت على المحاصيل الزراعية وتعادل 10% من المحاصيل الزراعية، ومع انتهاء القرن التاسع عشر بلغت 12%
ضريبة الويركو	فرضت على الأراضي
ضريبة الأغنام	فرضت على الماشية
ضريبة البديل العسكري	مقابل الإعفاء من الجندية
ضريبة المعارف	فرضت على مستقات المدارس سنوياً

(1) نصري بشارة جريس حزبون، بيت لحم تاريخ وتراث، ط 1، (بيت لحم: مركز ونام لحل النزاعات، 2008)، ص: 104، 105.
(2) عادل مناع، مرجع سابق، ص: 259.
(3) عدنان أبوب مسلم، جذور الهجرة الفلسطينية إلى الأمريكتين، مرجع سابق، ص: 72.
(4) الكزاندر شولش، مرجع سابق، ص: 293.
(5) جمال نايف عدوي، مرجع سابق، ص: 39.

وما أن بدأت الحرب العالمية الأولى عام 1914م، حتى توقفت الأنشطة الاقتصادية، وخلت الأسواق من بعض السلع، كما توقف النشاط السياحي بعد توقف السياح والحجاج عن القدوم لزيارة الأماكن المقدسة، وتعرضت البلاد لعمليات السلب والنهب⁽¹⁾، وما زاد الأمر سوءاً استدعاء الدولة العثمانية الشباب العربي للخدمة العسكرية الإجبارية بما فيهم الشباب المسيحي بعد أن فُرض عليهم التجنيد الإجباري عام 1909م في أعقاب وصول الاتحاديين إلى الحكم، وكان على الفلسطينيين أن يشاركوا في حرب ليست حربهم، حرب السفر برك (الحرب العالمية الأولى)، وقد ظهر أثر الحرب في الأغاني الشعبية:

بيدي تفاحة وبيدك تفاحة من سفر برك ما ذقتا الراحة⁽²⁾

ووجد الفلسطينيون المسيحيون أنهم مجبرون على الهجرة؛ للهروب من الجندية وتبعهم الشباب المسلمون لنفس السبب، ففي الفترة ما بين 1908-1914 شهدت بلدة بيرزيت هجرة واسعة بين أبنائها هرباً من التجنيد، وطمعاً في الحصول على فرص عمل؛ بسبب تردي الأوضاع الاقتصادية، وكانت الهجرة تتم في الغالب عبر ميناء يافا. وقد قُدّر عدد المهاجرين الفلسطينيين إلى الخارج حتى عام 1914 بـ 50.000 نسمة، وأما مدينة القدس فقُدّر عدد مهاجريها بـ 3.000 نسمة معظمهم من الشباب ومن مختلف الطوائف⁽³⁾.

وكان الاعتقاد السائد لدى العديد من المؤرخين، أن الهجرة الفلسطينية بدأت منذ منتصف القرن التاسع عشر، وأن أول من هاجر كان من أهالي بيت لحم هو خليل مرقص إلى أمريكا الشمالية في عام 1851م⁽⁴⁾ ثم توجه إلى المكسيك التي وصلها في عام 1895م (بعض المصادر تذكر أن وصول مرقص إلى المكسيك كان في عام 1870م) لعرض مصنوعات من بيت لحم هناك⁽⁵⁾، على أنّ بعض المصادر التاريخية، تؤكد أن أول هجرة بدأت في نهاية القرن الثامن عشر، للمواطن اندريا فرنسيس حنا داود والذي توفي في أمريكا اللاتينية بتاريخ 1796/9/7م كما جاء في سجلات خورانية اللاتين⁽⁶⁾. ويبدو أن هذه الحالة هي ظاهرة فردية؛ لكنها تثبت أن الهجرة الفلسطينية إلى الخارج سبقت مثيلاتها من بلاد الشام خاصة اللبنانية.

(1) عادل مناع، مرجع سابق، ص: 265.
(2) عدنان أيوب مسلم، جذور الهجرة الفلسطينية إلى الأمريكتين، مرجع سابق، ص: 72.
(3) جمال نايف عدوي، مرجع سابق، ص: 37، 86، 48.
(4) مايك جورج سلمان، الهجرة وأثرها في انقراض العديد من العائلات البيتلحمية، مجلة اللقاء، السنة الرابعة، العدد الأول، 1989، ص: 54.
(5) عدنان مسلم، صفحات مطوية من تاريخ فلسطين المحلي في القرن العشرين (تطورات سياسية واجتماعية وصحفية وفكرية في مدينة بيت لحم في العهد البريطاني 1917-1918)، ط 1، (بيت لحم: مركز ونام الفلسطيني لحل النزاعات، 2002)، ص: 42.
(6) جورج كارلوس جادالله سمور، مرجع سابق، ص: 61.

ولعبت عدة عوامل في جذب المسيحيين الفلسطينيين إلى الهجرة، منها مكانة فلسطين الدينية، والتي جذبت الحجاج المسيحيين من كل أنحاء العالم، فضلاً عن انتشار المؤسسات الدينية والتعليمية الأجنبية، ما أدى إلى اختلاط المسيحيين المحليين بالمسيحيين الأجانب والتعرف من خلالهم على العالم الجديد، الأمر الذي ولّد الرغبة، وحب الاستطلاع، والمغامرة لدى الكثيرين خاصة ممن اختلطوا بالحجاج الأجانب أثناء زيارتهم للقدس، وبيت لحم⁽¹⁾.

وكان للمعارض الدولية التي أقيمت في الولايات المتحدة الأمريكية، دوراً في جذب مواطني فلسطين للهجرة إليها، ففي العام 1854م سافر ثلاثة أفراد من آل حنضل من بيت لحم إلى واشنطن للمشاركة في المعرض الدولي وعرض منتوجاتهم من الصدف، والتحف، والمسابح، والذين حققوا ثراءً بسبب الإقبال عليها، ما فتح الطريق أمام الآخرين للتوجه إلى العالم الجديد⁽²⁾، والمشاركة في المعارض الدولية الأخرى مثل: معرض فيلادلفيا عام 1876م، ومعرض شيكاغو 1893م، ومعرض سان لويس عام 1906م، واستقر بعض هؤلاء في المدن الأمريكية المختلفة⁽³⁾.

وكانت الهجرة في البداية فردية بدأت من مدينة بيت لحم، وما لبثت أن انتقلت إلى مناطق أخرى مثل بيت جالا، ورام الله، والبيرة، وبيير زيت، والجليل، والناصر، أما أول مهاجر من رام الله فكان يوسف عودة الذي وصل إنجلترا عام 1895م اعتقاداً منه أنها الولايات المتحدة، ثم توالى بعد ذلك هجرة أبنائها ومنهم عيسى عبده، وحنا حشمة اللذان سافرا إلى البرازيل عام 1900م، ثم انتقلا إلى الولايات المتحدة عام 1901⁽⁴⁾، على أن هذه الهجرة ما لبثت أن تحولت إلى هجرة جماعية، والتي انعكست في الأغاني الشعبية مثل⁽⁵⁾:

دشروا بلادهم وعمروا الغربية	يومن سافروا سرية وراء سرية
شباب البها على الغربية بتروح	من باب الديوان حظاتهم بتلوح
شباب الوطن على الغربية راحت	من باب الديوان حظاتهم لاحت

وساهم النجاح والثراء الذي حققه المهاجرون الأوائل، والأموال التي أرسلوها إلى ذويهم في دفع المزيد من الشباب إلى الهجرة، وقد استثمرت الأموال المرسلة في بناء البيوت الفخمة مثل دار جاسر ودار جقمان في بيت لحم، ودار شهوان ودار الأعرج في بيت جالا، فضلاً عن بناء الفنادق والمدارس

(1) عدنان أبوب مسلم، جذور الهجرة الفلسطينية إلى الأمريكتين، مرجع سابق، ص: 73.
(2) خليل شوكة، مرجع سابق، ص: 296.
(3) جمال نايف عدوي، مرجع سابق، ص: 97، ص: 100.
(4) جمال نايف عدوي، مرجع سابق، ص: 62-68.
(5) عدنان أبوب مسلم، جذور الهجرة الفلسطينية إلى الأمريكتين، المرجع السابق، ص: 75.

وشق الطرق⁽¹⁾، وتركزت الموجه الأولى من المهاجرين في أمريكا الوسطى، وأمريكا الجنوبية مثل البيرو، والتشيلي، وبوليفيا، وكولومبيا، والمكسيك وغيرها⁽²⁾.
ويبين الجدول التالي أوائل المهاجرين الفلسطينيين الذين وصلوا إلى أمريكا الوسطى والجنوبية واستقروا بها⁽³⁾.

الرقم	الاسم	السنة	الدولة
1	حنا خليل مرقص	1870	المكسيك
2	الإخوان سلامة	1870	الأكوادور
3	باسيل حجار	1874	البرازيل
4	جبران دعيق	1880	التشيلي
5	إسحاق وجورجي لوبية	1880	فنزويلا
6	سعيد ساحورية	1884	البيرو
7	جاد الله وكرت وسليمان جاسر	1885	الهندوراس
8	يعقوب المقدسي	1890	جمهورية الدومينيكا

مما سبق يمكن اعتبار الأوضاع الاقتصادية المزرية التي سادت فلسطين منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وبشكل خاص خلال الحرب العالمية الأولى، وعدم الاستقرار السياسي شكلا عاملا طرد من فلسطين، في حين شكل التطور الاقتصادي وانتشار الحريات في الأمريكيتين عاملا جذب لهم، على أن ظروف الحرب العالمية الأولى، وقطع طرق المواصلات والمخاطر التي قد يتعرض لها المسافرون في البحار، قلل من عدد المهاجرين ولو مؤقتاً على أن تعود الهجرة تطل برأسها في القرن العشرين؛ لكن لأسباب أكثر مأساوية عاشها الشعب الفلسطيني.

(1) جمال نابف عدوي، مرجع سابق، ص: 64.
(2) عدنان مسلم، صفحات مطوية من تاريخ فلسطين المحلي في القرن العشرين، مرجع سابق، ص: 43.
(3) مجموعة مؤلفين، الجاليات العربية في أمريكا اللاتينية، المرجع نفسه، ص: 20.

المبحث الثاني: الهجرة المسيحية في الفترة ما بين 1920 - 1947

تعددت دوافع الهجرة الفلسطينية في نهاية الحكم العثماني، من سوء الأوضاع الاقتصادية إلى الاضطهاد، والتجنيد الإجباري، والأوضاع السياسية المضطربة، أما العهد البريطاني فقد لعبت الظروف السياسية غير المستقرة دوراً رئيساً في هجرة أبناء فلسطين، تلتها الظروف الاقتصادية المتردية.

تعرضت فلسطين لغزو، واستيطان قامت به الحركة الصهيونية، والذي بدأ منتصف القرن التاسع عشر، وتوج عام 1948م بإقامة دولة إسرائيل على أنقاض الشعب الفلسطيني، الذي تعرض للتهجير، وشكلت هذه الجريمة أكبر كارثة إنسانية في القرن العشرين، والتي لا تقع مسؤوليتها على عاتق الحركة الصهيونية فقط، وإنما شاركتها الجريمة دول غربية استعمارية، والتي بدونها ما وقعت الكارثة، ولعبت هذه الدول دوراً مباشراً، وغير مباشر في تهجير الشعب الفلسطيني بمسلميه ومسيحيه.

إنّ الرغبة في الاستيلاء على فلسطين، لم تكن وليد النتائج السياسية والعسكرية التي ترتبت على الحرب العالمية الأولى، ولا الاتفاقيات السرية والعنيفة المتمثلة في اتفاقية سايكس _ بيكو 1916م وسان ريمو 1920م، وإنما تعود إلى القرن التاسع عشر، عندما تعرضت فلسطين لتنافس استعماري خاصةً بين فرنسا وبريطانيا، وكانت فرنسا أول من وطدت نفوذها في فلسطين بعد حصولها على الامتيازات الأجنبية من الدولة العثمانية، تبعتها روسيا، وبريطانيا وألمانيا، ولم تكتفِ هذه الدول بالامتيازات الأجنبية، بل وطدت نفوذها عن طريق الإرساليات التبشيرية، وفتح القنصليات في القدس، وكانت أولها القنصلية البريطانية عام 1838م.

وكانت فرنسا أيضاً أول من نبه اليهود إلى فلسطين عندما قادت حملة عسكرية للاستيلاء على مصر، وبلاد الشام (فلسطين عام 1799)، وكانت واجهت صعوبة في احتلال عكا، لصمود سكانها، وبسالة مقاومتها، حينها وجه نابليون نداءً لليهود في العالم عامة وفرنسا خاصة بإقامة وطن لهم في فلسطين، وكان يهدف من وراء ذلك استمالة وزير مالية وتموين عكا اليهودي الشرقي حتى يتمكن من كسر صمود عكا⁽¹⁾، لكن أطماع نابليون تعدت هذا الهدف إلى تنفيذ مشروع إقامة مستعمرة فرنسية في الشرق، وقطع طرق مواصلات بريطانيا من خلال إنشاء دولة يهودية في

(1) عبد الوهاب الكيالي، مرجع سابق، ص: 23، 24.

فلسطين تابعة للنفوذ الفرنسي، لكن هذه الدعوة فشلت؛ بسبب هزيمة نابليون عام 1801م، وانسحابه من مصر، وبلاد الشام.

وبعد عدة سنوات ظهر عدد من زعماء اليهود الذين تبنا فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. منهم الحاخام هيرش كاليشر في كتابه "البحث عن صهيون" عام 1861م، ثم ليون بينسك في كتابه "التحرير الذاتي" عام 1882م، غيرهم الكثيرون إلى أن جاء ثيودور هرتسل الذي حول الأفكار إلى واقع، فأعلن عن تأسيس الحركة الصهيونية في مؤتمر بازل، الذي عقد في عام 1897م، والتي كان أهم أهدافها إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وتحديد الوسائل التي من خلالها يمكن تحقيق هذا الهدف. وقد عبر هرتسل في مذكراته بعد مؤتمر بازل حول إمكانية إقامة المشروع الصهيوني "... في بازل أسست الدولة الصهيونية. ولو أعلنت اليوم ذلك لقابطني العالم بالسخرية والتهكم، ولكن بعد خمس سنوات على وجه الاحتمال وبعد خمسين سنة على وجه التأكيد سيرى هذه الدولة جميع الناس"⁽¹⁾. وهذا ما تم بالفعل فبعد خمسين عاماً أعلنت الحركة الصهيونية قيام دولة إسرائيل.

ونجحت جهود زعماء الحركة الصهيونية في الحصول على وعد من بريطانيا بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وهو ما عُرف بوعده بلفور الصادر في 2/ 11/ 1917 في رسالة موجهة من وزير خارجية بريطانيا آرثر بلفور إلى الرأسمالي اليهودي روتشيلد⁽²⁾، وكان لهذا الوعد نتائج أثرت في مصير الشعب الفلسطيني، أشدها قسوة كانت تشريد مئات آلاف الفلسطينيين من موطنهم الأصلي إلى جميع أنحاء العالم.

وبدأت بريطانيا بتنفيذ وعد بلفور بعد فرض الانتداب البريطاني على فلسطين، بموجب قرارات مؤتمر سان ريمو عام 1920م، باتخاذها عدة إجراءات منها، فتح أبواب الهجرة لليهود من روسيا، ودول أوروبا الشرقية منذ عام 1918م، ويظهر ذلك من خلال أعداد اليهود التي ارتفعت بشكل ملحوظ، فقد كان حجم اليهود في العام 1918م 65 ألف يهودي، ارتفع هذا العدد إلى 88 ألف نسمة في العام 1922م⁽³⁾.

ولتنفيذ اليهود مشروعهم، كانوا بحاجة إلى الأرض (المادة) التي سيقومون عليها مستوطناتهم، فمنذ عام 1882 بدأ اليهود بشراء الأراضي العربية، غير أنّ المساحة التي استطاعوا الحصول عليها

(1) عبد الوهاب الكيالي، مرجع سابق، ص: 25، ص: 31.
(2) عزت طنوس، الفلسطينيون - ماضٍ مجيد ومستقبل باهر، الجزء الأول، ط 1، (بيروت: مركز الأبحاث - م. ت. ف، 1982)، ص: 579.
(3) الخصائص الديمغرافية للشعب العربي الفلسطيني، ط 1، (بيروت: المعهد العربي للتدريب والبحوث الإحصائية، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، 1985)، ص: 333.

كانت ضئيلة، وأما مصدر الأراضي المباعة لليهود، فكانت إما لملاك غائبين ومعظمها تعود لأسر لبنانية، أو الحكومة العثمانية التي باعت أراضي الفلاحين العاجزين عن دفع الضرائب المتراكمة عليهم في المزاد العلني، والتي وجدت طريقها إلى أيدي اليهود، إضافة إلى كبار الملاك الفلسطينيين، أما الفلاحون الفلسطينيون فلم يبيعوا سوى ثلاث قرى أي ما نسبته 7% من مساحة الأراضي المباعة لليهود⁽¹⁾.

ومع خضوع فلسطين للانتداب البريطاني عام 1920م، استمرت عمليات نقل الأراضي العربية إلى اليهود بموجب قوانين أصدرتها حكومة الانتداب، ومن هذه القوانين على سبيل المثال:

- قانون الموات لعام 1922 : ويقضي بمصادرة كل أراضي تبعد 2.5 كم عن المدينة ولم يجر تسجيلها في دائرة الأراضي باسم أصحابها.

- قانون تسوية الأراضي لعام 1927، وهي الأراضي التي لم يقيم أصحابها بتسجيلها في عهدي الدولة العثمانية وحكومة الانتداب البريطاني، هرباً من دفع الضرائب، فاعتبرت أرضاً أميرية يحق للدولة التصرف بها.

- المصادرة للأغراض العامة لسنة 1943م: وهي الأراضي التي تصدر لإقامة مشاريع حيوية كالمدارس والمستشفيات مقابل دفع تعويضات.

- قوانين وأنظمة الطوارئ لعام 1937م-1945: وبمقتضاها يتم مصادرة الأراضي لأغراض الحفاظ على الأمن العام وامن الدولة⁽²⁾.

ولم تكتفِ بريطانيا بهذه الإجراءات بل عمدت إلى جعل حياة الفلسطيني، وخاصة الفلاح قاسية لإجباره على التخلي عن أرضه، وممتلكاته والهجرة ومن ذلك:

- بعد سيطرت بريطانيا على فلسطين آلت جميع الأراضي الميرية التي كانت تابعة للحكومة العثمانية وبلغت مساحتها 12.000.000 دونماً⁽³⁾ إلى الحكومة البريطانية، والتي نقلتها بدورها إلى اليهود.

(1) الخصائص الديمغرافية للشعب العربي الفلسطيني مرجع سابق، ص: 330.

(2) مناويل حساسيان، " الدوافع السياسية والاقتصادية لهجرة العرب الفلسطينيين من فلسطين منذ عام النكبة 1948"، الهجرة، مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة، الدورة الرابعة، (القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 1991)، ص: 67، 68.

(3) محمد الحزماوي، ملكية الأراضي في فلسطين 1918-1948، (عكا، مؤسسة الأسوار)، 1998، ص: 77.

- جعل الفلاح الفلسطيني في وضع سيء بحيث يصعب عليه الاحتفاظ بأرضه واللجوء إلى بيعها في النهاية، مثل إجبار الفلاحين على دفع الضرائب المتراكمة عليهم دفعة واحدة دون النظر إلى مستوى الإنتاج.

- أهملت القرى ولم تعمل على تطويرها وإقامة شبكات طرق لتسهيل نقل إنتاج الفلاحين من القرى إلى المدن، ما أدى إلى تلف المحاصيل الزراعية قبل وصولها إلى الأسواق.

- حرمت القرى من التعليم، والرعاية الصحية⁽¹⁾.

ودفعت السياسة البريطانية القائمة على فتح أبواب الهجرة لليهود، وتسريب الأراضي العربية إليهم، والقوانين الجائرة بحق الفلاح إلى الثورة على هذه الأوضاع، فكانت ثورة فلسطين الكبرى عام 1936-1939م وكان الفلاح عمادها، لكن الثورة أجهضت بعد ثلاث سنوات من اندلاعها؛ بسبب فقدان توازن القوة بين عرب فلسطين وأعدائهم، ذلك أنه كان من المستحيل على شعب فلسطين الفقير قليل العدد والعدة مواجهة التحالف القائم بين الإمبراطورية البريطانية بكل قوتها السياسية والعسكرية والاقتصادية والحركة الصهيونية ذات النفوذ السياسي والمالي الكبير، فاليهود امتلكوا قيادة واعية لما تريد، بعكس قيادة الشعب الفلسطيني التي لم تكن على مستوى الأحداث، ولم تكتفي بضيق الأفق والمهادنة لبريطانيا، بل عملت على تغذية النزعات القبلية والعشائرية، والإحجام عن تنظيم الجماهير تنظيمياً يتناسب والمعركة مع الحركة الصهيونية.

وساعد ضعف القيادة الفلسطينية في هذه المرحلة، وافتقارها إلى مشروع وطني يضع العمل العسكري في خدمة إستراتيجية تحقق الاستقلال، الحركة الصهيونية في دفع المهاجرين اليهود من أوروبا للقدوم إلى فلسطين⁽²⁾ والإعداد للمرحلة التالية وهي السيطرة على فلسطين.

وأما الشعب الفلسطيني بجميع مكوناته كان متقدماً على قيادته في مواجهة الخطر الصهيوني، ولم يتأخر المسيحيون الفلسطينيون عن المشاركة في مواجهة هذا الخطر، واتخذ الحضور المسيحي في الحركة الوطنية في هذه المرحلة شكل النضال السياسي، والإعلامي دون المشاركة في الكفاح المسلح إلا بشكل محدود وفردى، ونشط المسيحيون في إثارة الرأي العام العالمي، والعربي، والفلسطيني، ضد الحركة الصهيونية، فمنذ أخذت الهجرة اليهودية إلى فلسطين تزداد بدءاً من عام 1882م، وتحول هذا الوجود إلى طابع استعماري واستيطاني. بدأ المثقفون المسيحيون بتبنيه

(1) حسن عبد القادر صالح، مرجع سابق، ص: 300.

(2) عبد الوهاب الكيالي، مرجع سابق، ص: 313، 314.

العرب، والفلسطينيين إلى خطر هذا الوجود ومناهضة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ومقاومة بيع الأراضي.

وشكلت الأنباء التي نشرت في الصحف البريطانية عن منح بريطانيا اليهود وعداً بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين بداية حركة النضال السياسي، التي قام بها الفلسطينيون مسلمون و مسيحيون تمثلت بتشكيل الجمعيات الإسلامية - المسيحية في المدن الرئيسية، والتي بلغ عددها خمس عشرة جمعية تولت قيادة الحركة الوطنية حتى نهاية العشرينات من القرن العشرين⁽¹⁾. ومن أول الأعمال التي قامت بها هذه الجمعيات توجيه رسالة احتجاج شديدة اللهجة إلى الجنرال البريطاني اللنبي عام 1918م على وعد بلفور⁽²⁾.

وكانت مقاومة وعد بلفور تعني مقاومة آليات تنفيذ هذا الوعد، وهي الهجرة، وبيع الأراضي لليهود، وهنا برز نشاط المسيحيين بشكل خاص ضد بيع الأراضي لليهود، وممن تولى هذه القضية نجيب نصار، الذي أسس جميعه التطوير الاقتصادي، بهدف إقامة تعاونيات لتحسين أوضاع الفلاحين، ودعم صمودهم، وحاول إقناع الكنائس خاصة الفاتيكان لشراء الأراضي المهددة بالبيع لليهود، وإبقائها للعرب، كما تولى وديع البستاني (لبناني الأصل) والذي عاش في فلسطين قضية منح اليهود امتياز شركة توليد الكهرباء (مشروع روتنبرغ) في المحاكم، والذي يعني إنشائه سيطرة اليهود على مزيد من أراضي العرب⁽³⁾.

ولم يتوان المسيحيون الفلسطينيون في المشاركة الفعالة في الأحزاب السياسية التي ظهرت في هذه المرحلة، وكان حضورهم العددي كبيراً، فقد شكلت النخبة السياسية المسيحية ما نسبته 25%-30% من النخبة السياسية الفلسطينية رغم أن عددهم لم يتجاوز 9% من حجم السكان، ويظهر ذلك جلياً في حضورهم العددي في الأحزاب السياسية، فقد تجاوزت نسبة المسيحيين في حزب العربي 30%، وحزب الإصلاح 40%، وكذلك كان لهم حضور في حزب الدفاع، كما شارك المسيحيون في الهيئة العربية العليا التي تولت قيادة الحركة الوطنية في الثلاثينيات، والأربعينيات فمثل المسيحيون 3 أعضاء من أصل 10 أعضاء⁽⁴⁾.

(1) جوني منصور، "المسيحيون والقومية العربية"، مجلة اللقاء، السنة الحادية والعشرون، العدد الثالث والرابع، 2006، ص: 64.
(2) رؤوف أبو جابر، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ط 1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004)، ص: 112.
(3) فؤاد فرح، مرجع سابق، ص: 100.
(4) المرجع السابق، ص: 96.

كما لم يتخلف المسيحيون من المشاركة في الوفود الفلسطينية إلى المؤتمرات السياسية المحلية، والدولية لمعالجة القضية الفلسطينية، ومن الشخصيات المسيحية التي كان لها حضورٌ في النشاط السياسي والحزبي، هنري كتن، وديع البستاني، إميل الغوري أحد مؤسسي كتائب الجهاد المقدسي، وفؤاد سبابا الذي نفتته سلطات الانتداب إلى جزيرة سيشل بسبب نشاطه ضد سياسة حكومة الانتداب، ويعقوب فرّاج أحد مؤسسي حزب الدفاع، ونائب رئيس الهيئة العربية، وعيسى العيس، وجورج انطونيوس الذي انتخب سكرتيراً للوفود العربي لمؤتمر الطاولة المستديرة في لندن. كما أوكل لبعض المسيحيين بإدارة المؤسسات القومية: مثل المكتب العربي في لندن، واللجنة العليا لصندوق الأمة، والمشروع الإنشائي العربي، والبنك العقاري، والهيئة العربية في نيويورك⁽¹⁾.

وتتميز الحضور المسيحي الأرثوذكسي في الحركة الوطنية منذ بدايتها، رغم ما كانت تعانيه الكنيسة الأرثوذكسية فضلاً عن الكنائس الشرقية من إهمال حكومة الانتداب، والذي صبته على اليهود والكنائس والأديرة الغربية خاصة في القدس من جهة، وانشغالهم في النضال ضد الرهبان اليونان الذين اغتصبوا حقوقهم، وسيطروا على مقدرات الكنيسة من جهة ثانية⁽²⁾، رغم ذلك كرس جزء كبير من هؤلاء نشاطهم السياسي ضد الحركة الصهيونية، ويعود ذلك إلى قرب المسيحيين الأرثوذكس من الفكر القومي الذي انتشر في المدن حيث تواجدوا، وعلاقات الترابط والتآلف التي كانت تربطهم بالمسلمين، وهذا قوّى من الشعور القومي لديهم ومعاداة الاستعمار الغربي والحركة الصهيونية⁽³⁾.

وعلى المستوى الثقافي، لعب المسيحيون الفلسطينيون دوراً مهماً منذ نهاية القرن التاسع عشر في مناهضة المشروع الصهيوني، فقد أسسوا العديد من الصحف التي تبنت القضايا الفلسطينية، وعلى رأسها الهجرة اليهودية، وبيع الأراضي لليهود، مثل صحيفة فلسطين لصاحبها عيسى العيسى التي تبنت هذه القضية، واقترحت الصحيفة تأسيس شركة وطنية فلسطينية تعني بشراء الأراضي المهددة مثل شراء الأراضي غير المزروعة خوفاً من انتقالها لليهود⁽⁴⁾.

(1) فؤاد فرح، مرجع سابق، ص: 97 .

(2) رؤوف أبو جابر، مرجع سابق، ص: 118.

(3) فؤاد فرح، المرجع نفسه، ص: 101.

(4) الخصائص الديمغرافية للشعب العربي الفلسطيني، مرجع سابق، ص: 330، 331.

ومن الأمثلة على الصحف التي نشطت في فترة الانتداب البريطاني نذكر منها⁽¹⁾:

الرقم	اسم الصحيفة	صاحبها	سنة تأسيسها	تصنيفها
1	جريدة الكرمل	نجيب نصار	1908	جريدة سياسية، اجتماعية، اقتصادية
2	صحيفة الأصمعي	حنا عيس	1908	جريدة أدبية، اجتماعية
3	مجلة النفائس العصرية	خليل بيدس	1908	جريدة أدبية
4	مجلة الدستور	يحررها خليل السكاكيني	1910	مجلة علمية، ثقافية
5	صحيفة الأخبار الأسبوعية	حنا فضول صباغة	1911	جريدة أدبية، اجتماعية
6	جريدة فلسطين	عيس العيس	1911	جريدة سياسية، أدبية

وامتد الحضور المسيحي الثقافي إلى الساحة الأدبية، والفكرية، والفنية، والتربوية، فبرز منهم نجيب نصار وله عدة كتب هاجم فيها الحركة الصهيونية، خليل بيدس رائد القصة العربية، خليل السكاكيني وله عدة مؤلفات أدبية، فايز الصايغ مفكر فلسطيني، إبراهيم وبدر لاما سينمائيين، نقولا زيادة وجورج انطونيوس مؤرخان، وأسهم هؤلاء، وغيرهم في إيقاظ الشعور القومي الفلسطيني وعدم الاستكانة. أما على الصعيد التربوي فقام بعض المثقفون المسيحيون بإنشاء مؤسسات تربوية وطنية مثل خليل السكاكيني مؤسس مدرسة النهضة في القدس، وفي مراحل لاحقة استمر المسيحيون في القيام بدورهم الريادي في مجال التعليم، فأسس وديع الطرزي مؤسس كلية غزة، وشكري حرامي مؤسس كلية الأمة في القدس، وحنا ناصر مؤسس جامعة بيرزيت أول جامعة في فلسطين⁽²⁾.

وأما أوضاع الفلسطينيين الاقتصادية فقد تباينت خلال الثلاثين عاماً من حكم بريطانيا، فأحياناً شهدت تحسناً أسهم في زيادة الهجرة الوافدة إليها، بسبب توفر فرص العمل، وأحياناً شهدت تراجعاً دفعت المواطنين للهجرة إلى الخارج، ورغم بعض الأعمال العامة التي قامت بها حكومة الانتداب في بداية حكمها لفلسطين مثل تطوير البنية التحتية في المدن، كإنشاء الموانئ والسكك الحديدية، ما وفر فرص عمل دفعت الفلسطينيين للهجرة من القرى إلى المدن للعمل في هذه المشروعات، وشجعت على الهجرة الوافدة إلى فلسطين، وكان حظ المسيحيين أفضل من المسلمين في حصولهم على أعمال في الوظائف الإدارية الحكومية، والتجارة، بسبب التحصيل العلمي والثقافي العالي الذي

(1) يوسف ق. خوري، الصحافة العربية في فلسطين 1876-1948، ط 2، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين لفلسطينيين، 1986)، ص: 7، 9، 14، 19، 20، 21.

(2) فؤاد فرح، مرجع سابق، ص: 99.

حصلوا عليه، فضلاً عن إتقانهم اللغة الانجليزية نتيجة التحاقهم بالمدارس التبشيرية⁽¹⁾. إلا أن بعض الأنشطة الاقتصادية شهدت تراجعاً واضحاً في نفس الفترة؛ بسبب منافسة اليهود فئات الشعب المختلفة في الحصول على الأعمال، وقد نقل تشرشل وزير المستعمرات البريطانية استياء العرب من تراجع الأوضاع الاقتصادية في رسالة وزعها على مجلس الوزراء البريطاني، كان تلقاها من حاكم لواء حيفا التي عبر فيها عن معاناة سكان المدن، والقرى من تردي الأوضاع الاقتصادية، مثل سكان مدينتي عكا، وشفاء عمرو حيث توقفت الأعمال فيها، وتراجعت أرباح العرب في حيفا، كما عانت مختلف طبقات الشعب من سوء الأحوال الاقتصادية، فالتبقات الميسورة من تجار، والطبقات الدنيا من عمال، وحمالين وغيرهم كلهم بدأوا يعيشون في ضائقة بعد تراجع التجارة العربية؛ نتيجة فرض رسوم جمركية مرتفعة على تجارة الترانزيت بين فلسطين، وبقية بلاد الشام، ما وضع كثير منهم أمام خيارين، إما الإفلاس أو الهجرة⁽²⁾.

وإلى جانب العوائق الاقتصادية التي وضعتها بريطانيا في وجه الفلسطيني لدفعه إلى الهجرة، والاضطرابات المستمرة بين اليهود والعرب، عملت الحكومة البريطانية على منع المهاجرين الفلسطينيين في الخارج من العودة إلى فلسطين؛ من خلال قيامها بإصدار قانون الجنسية الفلسطينية في عام 1925م والذي هدف إلى تسهيل حصول اليهود المهاجرين إلى فلسطين على الجنسية الفلسطينية، أما المهاجرون الفلسطينيون الذين غادروا البلاد قبل عام 1920م ورغبوا بالعودة إليها والحصول على الجنسية الفلسطينية، فرفضت بريطانيا منحهم إياها؛ لأنها اعتبرتهم أتراكاً سافروا خلال الحكم العثماني إلى خارج فلسطين، وهذا الموقف يتناقض مع المادة الرابعة من معاهدة لوزان 6/ آب/ 1924 والتي نصت على وجوب منح الجنسية لأبناء البلدان التي سخلت عن الإمبراطورية العثمانية خلال عامين ابتداءً من 6/ 8/ 1924 إلى 6/ 8/ 1926⁽³⁾.

إن تأخر حكومة فلسطين في سن قانون الجنسية، وعدم نشره في الجريدة الرسمية إلا سنة 1925م، ترتب عليه حرمان الكثير من الفلسطينيين المهاجرين من الحصول على الجنسية؛ بسبب قصر الفترة التي منحت لهم في الخارج في استكمال معاملاتهم، كما لم يقم سفراء بريطانيا في الأمريكيتين بنشر القانون في الصحف ليطلع عليه المهاجرون، وفي عام 1927 نشرت حكومة فلسطين إعلاناً تقول فيه: إن الجنسية الفلسطينية تعطى للمهاجرين الذين غادروا البلاد وعاشوا فيها ستة أشهر، ونتيجة لهذه السياسة تم الموافقة على 100 طلب من أصل 9000 طلب حصول على الجنسية، ورداً على

(1) الخصائص الديمغرافية للشعب العربي الفلسطيني، مرجع سابق، ص: 103.

(2) عبد الوهاب الكيالي، مرجع سابق، ص: 160، 161.

(3) حماد حسين، مجموعة وثائق حول تاريخ فلسطين السياسي والاقتصادي والتعليمي خلال فترة الانتداب البريطاني 1909-1939، ط1، (جنين، المركز الفلسطيني للثقافة والإعلام، 2003)، ص: 168.

السياسة البريطانية، تأسست عام 1927م " لجنة الدفاع عن حقوق المهاجرين في الجنسية الفلسطينية" بقيادة عيس مرقص من بيت لحم، وعطالله حنا النجار من بيت جالا، وعيسى خوري البندك صاحب جريدة "صوت الشعب"، ووجهت هذه اللجنة نقداً شديداً للهجرة لسياسة بريطانية التي أتاحت للمهاجرين اليهود دخول فلسطين والحصول على الجنسية الفلسطينية بشروط سهلة، في حين وضعت العراقيل أمام عودة الفلسطينيين، غير أن هذه الجهود ذهبت أدراج الرياح ما دفع الفلسطينيين في بلاد المهجر إلى اعتناق جنسية البلاد التي يقطنون فيها؛ للتخلص من الظروف الصعبة التي كانوا يتعرضون لها⁽¹⁾.

وشهد عدد سكان فلسطين في الفترة ما بين (1922-1944) زيادة ملحوظة؛ بسبب الهجرة اليهودية الوافدة إلى فلسطين، وتفاوتت نسبة ازدياد السكان حسب الفئة الدينية، ففي حين أسهم صافي الهجرة بنسبة 74% من الزيادة العامة لليهود، أسهم صافي الهجرة بنسبة 29% بالنسبة للمسيحيين و 4% بالنسبة للمسلمين، ويرجع سبب الزيادة السكانية لليهود إلى سياسة بريطانيا بفتح أبواب الهجرة أمام اليهود، وشهدت أعداد العرب تناقصاً ملحوظاً في نفس الفترة من 89% إلى 67% من إجمالي سكان فلسطين في حين زادت نسبة اليهود من 11% إلى 33%⁽²⁾.

وتراجعت أعداد المهاجرين الفلسطينيين خلال فترة الانتداب البريطاني عن المعدلات التي شهدتها نهاية الحكم العثماني؛ بسبب توفر فرص العمل في بعض الأحيان، إلا أنها لم تتوقف، فقد هاجر عدد كبير من الفلسطينيين إلى مناطق مختلفة من العالم وبشكل خاص إلى دول أمريكا اللاتينية، كالسلفادور، وتشيلي، والبيرو، وهندوراس، أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد وصلها عدد قليل من الفلسطينيين في الفترة ما بين 1922-1940 كما يظهر في الجدول التالي⁽³⁾:

عدد المهاجرين	السنة
12.808	1930 - 1922
4.296	1940 - 1931
17.104	المجموع

(1) عنان مسلم، جذور الهجرة الفلسطينية إلى الأمريكتين، مرجع سابق، ص: 76، 77، 78.

(2) حسن عبد القادر صالح، مرجع سابق، ص: 288.

(3) جمال نابف عدوي، مرجع سابق، ص: 120.

أما أسباب تراجع الهجرة في هذه الفترة، فتعود إلى الأزمة المالية التي شهدتها العالم، ولا سيما الولايات المتحدة، وظروف الحرب العالمية الثانية⁽¹⁾.

ويمكن إجمال دوافع الهجرة الفلسطينية ومنها المسيحية في هذه الفترة؛ إلى عدم الاستقرار السياسي؛ نتيجة سياسات بريطانيا المهادنة لليهود، والاضطرابات المستمرة بين اليهود والعرب وأشهرها الثورة الفلسطينية عام 1936، إلى جانب الضائقة الاقتصادية، ووجود شبكات الأمان في بلاد المهجر مثل الأقارب والأصدقاء، ورغبة البعض في إكمال تعليمه في الخارج وغالباً لم يعد من هؤلاء إلا القليل.

(1) جمال نايف عدوي مرجع سابق، ص: 121.

المبحث الثالث: الهجرة المسيحية في الفترة ما بين 1947 - 1967

شهدت فلسطين في عام 1948م حدثاً مصيرياً يعتبر الأخطر في تاريخها الحديث، وهو قيام دولة إسرائيل على 78% من مساحة فلسطين التاريخية، وتهجير ما يزيد نصف سكانها إلى خارج هذه المنطقة، على أن التهجير لم يكن وليد الصدفة، أو نتيجة ظروف طارئة تعرضت لها فلسطين، وإنما تعود هذه الفكرة التي عُرفت (بالترانسفير)* إلى بدايات الحركة الصهيونية، فقد كتب هرتسل مؤسس الحركة الصهيونية في يومياته سنة 1895م "الأراضي الخاصة من منطقة البلاد سيجري تسليمها لنا ينبغي أن نستلمها رويداً رويداً من أيدي أصحابها والسكان الفقراء، سنسعى إلى نقلهم خلف الحدود دون ضجيج بواسطة منحهم عملاً في البلدان التي سينقلون إليها لكن في بلادنا سنمنع عنهم إمكانية أي شغل"⁽¹⁾. عاد بن غوريون وأكد في المؤتمر الصهيوني العشرين عام 1937 على ما صرح به هرتسل سابقاً " في أنحاء كثيرة من البلاد لن يكون الاستيطان اليهودي الجديد ممكناً إلا بواسطة نقل الفلاحين العرب.. نقل السكان هذا يجعل خطة الاستيطان الشاملة ممكنة"⁽²⁾، ويعود بن غوريون مرة أخرى للتأكيد على هذه الفكرة في العام 1947م في خطاب له أمام حزب مباي (حزب عمال ارض إسرائيل) "هناك 40% من غير اليهود في المناطق المخصصة للدولة اليهودية. إن ميزاناً ديمغرافياً كهذا يطرح علامة استفهام بشأن قدرتنا على المحافظة على سيادة يهودية... فقط 80% من سكانها على الأقل يهود يمكن أن تكون قابلة للحياة ومستقرة"⁽³⁾.

لقد حددت الحركة الصهيونية الوسائل الواجب اتخاذها لتنفيذ مشروعها المتمثل في إقامة دولة لليهود، بالاستيلاء على الأراضي الفلسطينية، والتصديق الاقتصادي على المواطنين العرب من أجل دفعهم إلى الهجرة، كما أن هذه التصريحات، وغيرها الكثير التي صدرت عن كبار قادة الحركة الصهيونية توضح كيف استغل اليهود قرار التقسيم (181) الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1947م، والقاضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية، وأخرى عربية، وأصبحت هذه التصريحات واقعاً عام 1948م على اثر هزيمة الجيوش العربية في الحرب في ذلك العام، والتي نتج عنها إعلان قيام دولة إسرائيل، وتهجير مئات الآلاف من الفلسطينيين.

* الترانسفير: مصطلح يعني الترحيل القسري، وهو من المصطلحات المهمة في الفكر الصهيوني والذي يهدف إلى طرد الفلسطينيين من أراضيهم بكل الوسائل الممكنة من أجل إقامة المشروع الصهيوني (دولة إسرائيل)، انظر، مجموعة مؤلفين، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، تحرير محمد اشتية، (البيرة: المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية، 2008)، ص: 143.

(1) وليم نجيب جورج نصار، مفهوم الجرائم ضد الإنسانية في القانون الدولي، ط 1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008)، ص: 449.

(2) المرجع نفسه، ص: 452.

(3) إيلان بابيه، التطهير العرقي في فلسطين، ترجمة أحمد خليفة، ط 1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2007)، ص: 58.

بدأ قادة الحركة الصهيونية وضع الخطط للسيطرة على أكبر مساحة من الأراضي الفلسطينية، وطرد أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين منذ عام 1947؛ على أن أشهر هذه الخطط كانت الخطة دال (دالت حسب الحرف العبري) التي وضعتها منظمة الهاغاناة، وهي النسخة الرابعة لثلاث خطط سابقة، وتميزت هذه الخطة عن سابقتها بأنها أكثر تفصيلاً، وهدفها طرد أكبر عدد ممكن من السكان، من خلال شن هجوم واسع النطاق على المدن والقرى العربية من أجل الحصول على المساحة الجغرافية المناسبة، لإقامة دولة إسرائيل. في 10 آذار/ مارس 1948م، اجتمع أحد عشر ضابطاً وجندياً في تل أبيب يرأسهم بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية في ذلك الوقت، لوضع اللمسات الأخيرة على الخطة، وتضمنت تفاصيل أساليب الطرد: مثل إثارة الرعب، ومحاصرة وقصف قرى، وحرق منازل وأماكن، وزرع العام، وسط الانقراض لمنع السكان من العودة إلى منازلهم، وتم تزويد كل وحدة بأسماء القرى والأحياء في المدن المراد تطبيق الخطة فيها. واستمر تنفيذ الخطة ستة أشهر⁽¹⁾، ونتج عنها تهجير ما يقارب 750 ألف فلسطيني، وهي أوسع هجرة شهدتها عام 1948.

وشملت العمليات الصهيونية ضد الفلسطينيين على أساليب عدة منها: المذابح، التي ارتكب العديد منها في الفترة الممتدة ما بين إصدار قرار التقسيم 1947م، وما بعد أحداث النكبة عام 1948م، وأكدت عدة مصادر حدوث هذه المذابح، فتنوعت ما بين الشهود الذين بقوا أحياء بعد المذابح (مصدر شفهي)، وأبحاث المؤرخين الإسرائيليين خاصة الجدد منهم مثل إيلاان باييه، وتقارير مراقبي الهدنة الذين حققوا في هذه المذابح، وشهادات مندوبي الصليب الأحمر⁽²⁾. إنَّ تعدد المصادر التي تحدثت عن هذه المذابح، وبعضها منظمات دولية، ومؤرخين إسرائيليين، يؤكد أنَّ فظائع تعرض لها الفلسطينيون أجبرت الكثير منهم على الرحيل خوفاً من تعرضهم لنفس المصير.

ومن المدن، والقرى الفلسطينية التي تعرضت للمذابح على سبيل المثال لا الحصر، الطنطورة، العباسية، الدوايمة، دير ياسين، الصفصاف، البصة، وكانت المذابح تتم عندما تدخل المنظمات الصهيونية القرية، وتقوم بتجميع الرجال في الساحة العامة، وتختار عدداً من الرجال وتطلق عليهم النيران، وهو يؤكد نزار الحنا في وصفه أحداث مجزرة البصة* نقلاً عن جدته إحدى الناجيات من هذه المذبحة "كانت جدي لامي صبية في سن المراهقة عندما دخل الإسرائيليون البصة بإيقاف جميع الشبان في

(1) إيلاان باييه، مرجع سابق، ص: 22، 23.

(2) وليم نجيب جورج نصار، مرجع سابق، ص: 112.

* البصة: قرية فلسطينية تقع في قضاء عكا، تم احتلالها العصابات الصهيونية في 14 مايو 1948، خلال عملية بن عمي، وكانت البصة قرية مختلطة يسكنها مسلمين ومسيحيين، وقدر عدد سكانها عام 1948 بنحو 4000 نسمة. انظر: وليد الخالدي، كي لا ننسى، ترجمة حسني زينة، ط1، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1997)، ص: 467.

صف وأعدموهم أمام إحدى الكنائس وشاهدت جدي الهاغاناة وهي تعدم شقيقين لها احدهما عمره 21 عاماً والآخر 23 عاماً وكان متزوجاً حديثاً⁽¹⁾.

ورافق عمليات القتل تهجير قسري للسكان العرب، والذي استمر من نهاية العام 1947 وحتى نهاية العمليات الحربية بين العرب والمنظمات الصهيونية 1949، على أن عمليات التهجير لم تتم في فترة زمنية محددة، وإنما وقعت على عدة مراحل:

المرحلة الأولى: بدأت من كانون أول 1947م، بعد صدور قرار التقسيم بفترة قصيرة، واستمرت حتى آذار عام 1948م، وضمت هذه المرحلة فئتين من المهاجرين الفلسطينيين، الأولى، وكان معظمهم ينتمون إلى الطبقة الوسطى، والثرية والتي كانت تعيش في المدن المهمة كالقدس، وبافا، وحيفا، ولم تجبر هذه العائلات على الهجرة وإنما اختاروا الرحيل حتى تنتهي الحرب ودخول الجيوش العربية لتعبيدهم إلى مدنهم وقراهم⁽²⁾. أما الفئة الثانية، فكانوا سكان القرى، وبعض أحياء المدن الذين تعرضوا لهجمات متفرقة لكنها عنيفة أجبرتهم على الرحيل، وبلغ عدد المهاجرين في هذه الفترة ما بين 6000 - 75000 فلسطيني⁽³⁾.

المرحلة الثانية: وهي الفترة الممتدة من 10 آذار 1948 - أواسط حزيران 1948، وتعتبر هذه المرحلة من أخطر مراحل التهجير ففيها تم تنفيذ الخطة الدال مع أوائل نيسان 1948م، بدءاً بمذبحة دير ياسين، تلاها ارتكاب الفظائع تجاه الفلسطينيين من قتل، وتشريد، ونسف منازل والتي قامت بها عصابات الهاغاناة، وايتسل، والأرغون، ونتج عنها سيطرة اليهود على معظم المناطق المنوحة لليهود وفق قرار التقسيم وتهجير ما يقارب 200.000 - 300.000 فلسطيني إلى الخارج⁽⁴⁾.

المرحلة الثالثة: استكملت إسرائيل عمليات طرد الفلسطينيين من مدن اللد، والرملة بعد احتلالها عام 1948م.

المرحلة الرابعة: وهي الفترة الممتدة من 15 / 10 / 1948 - 24 / 2 / 1949 وهو يوم توقيع الهدنة الدائمة مع مصر، ونتج عنها تهجير ما يقارب 175 ألف فلسطيني⁽⁵⁾.

لقد وقعت عمليات تهجير ممنهج ضد الفلسطينيين، نتج عنها ترحيل ما يقارب 750 ألف فلسطيني ليتحولوا إلى لاجئين، في حين بقيت أعداداً قليلة من العرب في الأراضي الفلسطينية عام 1948 (إسرائيل) أي ما يقارب 156 ألف فلسطيني⁽⁶⁾.

(1) إيلان باييه، مرجع سابق، ص: 154.
(2) ناجح جرار، الهجرة القسرية الفلسطينية، ترجمة سمير محمود، ط 1، (نابلس: جامعة النجاح الوطنية، 1995)، ص 37.
(3) إيلان باييه، مرجع سابق، ص: 50.
(4) ناجح جرار، مرجع سابق، ص: 38.
(5) عزت طنوس، مرجع سابق، ص: 588.
(6) مجموعة مؤلفين، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، تحرير محمد اشتية، (البيرة: المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية، 2008)، ص: 143.

ورغم أنّ خطة اليهود بترحيل جميع الفلسطينيين لم تنجح، بدليل بقاء عدد منهم داخل المناطق الفلسطينية التي احتلت، ولكن هذا الفشل لم يجعل إسرائيل تكفّ عن محاولة طرد الفلسطينيين الباقين، فقد شكلت بعد عام 1948م لجنة عُرفت " لجنة ترحيل الفلسطينيين"، كان هدفها تحديد مصير من بقي من الفلسطينيين، وبناءً عليه بدأت الحكومة الإسرائيلية بالتضييق على الفلسطينيين في المدن التي بقوا فيها مثل ما حدث في مدينتي المجدل، وعسقلان عندما جمع سكان الأولى فيما يشبه الغيتو محاصرين بسياج، ولا يسمح لهم بالدخول أو الخروج إلا بإذن من الجيش الإسرائيلي⁽¹⁾.

ولم تقتصر الأسباب التي دفعت الفلسطينيين إلى مغادرة مدنهم وقراهم على ما سبق فقط، بل شكل الخوف من عمليات اغتصاب قد تتعرض لها النساء سبباً مهماً للمغادرة عند بعض الأسر، خاصةً بعد ورود أخبار عن تعرض بعض النساء للاغتصاب من قبل جنود الاحتلال، وهذا ما تؤكدته مصادر مختلفة مثل المنظمات الدولية كالأمم المتحدة، والصليب الأحمر، والأرشيفات الإسرائيلية⁽²⁾.

ولعبت الحرب النفسية التي استخدمتها المنظمات الصهيونية دوراً مهماً في عملية الهجرة، من خلال نشر أخبار المذابح التي حدثت في دير ياسين وغيرها، لإجبار الفلسطينيين على المغادرة، ما دفع مئات آلاف الفلسطينيين إلى الهرب خوفاً من تعرضهم لنفس المصير⁽³⁾.

ومن الأساليب التي لجأت إليها إسرائيل مبدأ فرق تسد، والهدف، هو إضعاف الترابط والتجانس الاجتماعي، وإضعاف الشعور القومي لدى العرب الفلسطينيين، من أجل إجبارهم على الرحيل. وقد أُستخدم التمييز في البداية بين المسلمين والمسيحيين من جهة، وبين الدروز من جهة أخرى، عندما أظهر الدروز رغبةً في التقارب مع اليهود، فزودتهم الدولة الجديدة بالأسلحة وأبقت عليهم في قراهم، في حين تم ترحيل سكان القرى المسلمين والمسيحيين الذين رفضوا التعاون إلى لبنان. عاد اليهود وبدأوا يسامون المسيحيين الذين هجروا داخل البلاد على العودة إلى قراهم التي هجروا منها مقابل إعلانهم الولاء لدولة إسرائيل، على أن المسيحيين رفضوا إعلان الولاء، ولم يقتصر موقفهم على رفض تقديم الولاء، وإنما تعدى الأمر إلى الوقوف إلى جانب إخوانهم المسلمين في نفس المصير في عام 1950م عندما تدخل البابا من روما من أجل عودة المسيحيين الذين هربوا من المجدل إلى الناصرة، وكان معظم سكان المجدل من المسلمين والمسيحيين، والبالغ عددهم 2000 فلسطيني، قد

(1) وليم نجيب جورج نصار، مرجع سابق، ص: 431.

(2) إيلاين باييه، مرجع سابق، ص: 236، 237، 238.

(3) ناجح جرار، مرجع سابق، ص: 19.

هربوا إلى الناصرة، فرفض المسيحيون العودة إلى بيوتهم ما لم يسمح للمسلمين بالعودة أيضاً، فما كان من حكومة إسرائيل أن أمرت بتدمير نصف بيوت القرية⁽¹⁾.

ولم تكن حكومة إسرائيل الوحيدة التي دفعت باتجاه هجرة الفلسطينيين في هذه الفترة، بل ساهمت حكومة الأردن بشكل غير مباشر في ذلك، فعندما رغب الفلسطينيون الذين هاجروا قبل توحيد الضفتين بالعودة، لم تسمح لهم السلطات الأردنية بذلك، متذرة بقانون الجنسية الأردني 1949/56، والذي يرفض منح الجنسية لكل شخص لم يتواجد في الأردن عند توحيد الضفتين، ما خيب أمل الكثير من الفلسطينيين الذين أملوا أن يقوم الأردن بحماية مصالحهم⁽²⁾.

دور المسيحيين في حرب عام 1948

أصبحت التطورات السياسية في فلسطين تشكل تهديداً على الوجود الفلسطيني بكل أطيافه منذ قرار التقسيم وصولاً إلى حرب عام 1948، فالأوضاع لم تعد تحتل الوقوف مكتوفي الأيدي، أو قصر النشاط الوطني على الجانب السياسي، والإعلامي، فكان لابد من اللجوء إلى العمل العسكري للوقوف في وجه المنظمات الصهيونية التي بدأت تقوم بعمليات تطهير عرقي ضد الشعب الفلسطيني، وكما كان هذا خيار المسلمين كان أيضاً خيار المسيحيين.

وقد شارك المسيحيون في المعارك التي دارت بين المنظمات الصهيونية، والعرب، وبرز منهم ميشيل العيسى الذي قاد مجموعة من المتطوعين للدفاع عن مدينة يافا ساعدهم في ذلك بعض فرسان الهيكل الألمان الذين استقروا في فلسطين في فترة سابقة⁽³⁾، ونسف أنطوان داود مقر الوكالة اليهودية في القدس، في حين نسف عبد النور جنحو مقر جريدة الباليستين بوست الناطقة باسم الحركة الصهيونية، وكلف رجا ميشيل عيسى قيادة فوج في جيش الإنقاذ، كما التحق بالقتال عندما بدأت الحرب منير أبو فاضل وكان ضابطاً في البوليس وانضم إليه عدد من أفراد الشرطة وحرس الحدود المسيحيين⁽⁴⁾.

وأما على المستوى الإنساني، فلم تتأخر الكنائس عن تقديم المساعدات الإنسانية خلال الحرب، ففتحت أبوابها أمام الفلسطينيين الفارين من وجه المنظمات الصهيونية، ومدتهم بكل ما يحتاجونه من

(1) إيلان بايه، مرجع سابق، ص: 182، ص: 210.

(2) عنان مسلم، صفحات مطوية من تاريخ فلسطين المحلي في القرن العشرين، مرجع سابق، ص: 50.

(3) إيلان بايه، مرجع سابق، ص: 114.

(4) فؤاد فرح، مرجع سابق، ص: 107.

مواد غذائية، وطبية وملابس، فضلاً عن مطالبة الكنائس المحلية العالم المسيحي العمل لإنقاذ الشعب الفلسطيني⁽¹⁾.

نتائج حرب عام 1948

مع بلوغ الخامس عشر من أيار عام 1948م، أعلنت الحركة الصهيونية قيام دولة إسرائيل، وبهذا تحقق الهدف الذي خططت له هذه الحركة منذ خمسين عاماً. أقيمت هذه الدولة على مساحة 78% من مساحة فلسطين الكلية، وهي أكبر مما منحها إياها قرار التقسيم، وتبلغ 56% من مساحة فلسطين، وتم تهجير سكانها فلم يبق سوى 156 ألف فلسطيني من أصل 900 ألف نسمة على الأقل كانوا يسكنوها قبل عام 1948⁽²⁾، وأصبحوا لاجئين بين ليلة وضحاها، ومن الذين عانوا حالة اللجوء المواطنون العرب المسيحيون فقد هُجّر منهم ما بين 50 ألف - 60 ألف مسيحي فلسطيني، وكانوا يشكلون أكثر من ثلث السكان المسيحيين في عام 1944م. ولم يبق ضمن حدود دولة (إسرائيل) سوى 34 ألف مسيحي⁽³⁾. من أصل 156 ألف فلسطيني، والذين عانوا كغيرهم من الفلسطينيين، فقدوا بيوتهم، ودمرت بعض قراهم مثل قريتي أقرت وكفر برعم، وأجبرت أعداداً كبيرة منهم على الرحيل من أماكن سكانهم (ما يقارب 50% من المسيحيين)، إلى داخل البلاد وخارجها، ولم تسلم الأوقاف المسيحية من التدمير أو الاستيلاء عليها خلال عام 1948⁽⁴⁾، فقد استولت المنظمات الصهيونية على دير القديس جاور جيوس للروم الأرثوذكس، ودير راهبات القربان المقدس، وأما الأوقاف التي تعرضت للتدمير كلياً أو جزئياً؛ بسبب ضربها بقذائف الهاون فكانت تتبع لكل الطوائف، ومنها كنيسة القديسين قسطنطين وهيلانة الملاصقة لكنيسة القبر المقدس، وبطيريركية الأرمن الأرثوذكس التي أصيبت بمائة قذيفة من مدافع الهاون، وأصيبت كذلك بطيريركية اللاتين وبطيريركية الروم الكاثوليك بقنابل الهاون وسببت خسائر فادحة بالمباني⁽⁵⁾.

وأما مدينة القدس، والتي كانت تضم أكبر تجمع من المسيحيين في فلسطين، فقد هُجّر نتيجة أحداث النكبة، ما نسبته 88% من مسيحي القدس الغربية، والذين انتقلوا إلى مناطق متفرقة مثل القدس

(1) فؤاد فرح، مرجع سابق، ص: 108.
(2) بدون مؤلف، كفاح شعب فلسطين ومسيرة حركته الوطنية 1882-1965، ط1، (عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، 2006)، ص: 104.
(3) برنارد سابيلا، " هجرة المسيحيون العرب"، مجلة اللقاء، مرجع سابق، ص: 45.
(4) جريس سعد خوري، مدخل إلى اليوم الدراسي، مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة، الدورة الخامسة، (القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 11-13 تموز، 1991)، ص: 15.
(5) إيليا أبو الروس، اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية، ط1، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1993)، ص: 32، 33، 34

الشرقية، والضفة الغربية، وخارج حدود الوطن، علماً بأن عدد المسيحيين في مدينة القدس بلغ في عام 1946م 32 ألف نسمة تقريباً، أي ما نسبته 19.3% من سكان المدينة⁽¹⁾.

وكان لأحداث النكبة نتائج خطيرة أثرت على المجتمع الفلسطيني سياسياً واجتماعياً، فقد انتهت الحرب بخسارة العرب وإقامة دولة إسرائيل، وبناءً عليه تجزأت فلسطين إلى وحدات سياسية، الوحدة الأولى قامت عليها دولة إسرائيل وتبلغ مساحتها 78% من فلسطين، والوحدة الثانية الضفة الغربية، تحت الحكم الأردني، والوحدة الثالثة قطاع غزة تحت الإدارة المصرية، ويفصل بين هذه الوحدات الخط الأخضر، وكان لتشتيت ما يقارب 750 ألف فلسطيني في جميع أنحاء العالم* أثره في تفكك التركيبة الاجتماعية للمجتمع الفلسطيني، الأمر الذي أفقده القدرة على تكوين مجتمع متماسك، فهم تبعثروا في مناطق مختلفة ذات أنظمة اقتصادية، واجتماعية، وسياسية، وثقافية متباينة⁽²⁾. ولربما كانت النتائج الاجتماعية والسياسية هي ما تسعى إليه إسرائيل، فغياب وجود كيان متجانس للفلسطينيين يسهل على الإسرائيليين استكمال مشروعهم في السيطرة على كامل التراب الفلسطيني.

واستمرت إسرائيل في الضغط على الفلسطينيين الباقين تحت سيطرتها من أجل إجبارهم على الهجرة، وإحلال يهود العالم مكانهم، فأصدرت قانوني العودة والجنسية من أجل إضفاء الطابع اليهودي على فلسطين. أما قانون العودة الصادر في عام 1950 أعطى الحق لكل يهودي في العالم العودة إلى إسرائيل، في حين منح قانون الجنسية الصادر عام 1952 كل يهودي عائد إلى إسرائيل الجنسية الإسرائيلية بمجرد أن تطأ قدمه البلاد، ومن أجل استيعاب هذه الأعداد من اليهود قامت بالاستيلاء على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية، لإقامة المستوطنات لهم⁽³⁾. وفي السنوات الأخيرة بدأت حكومة إسرائيل تطالب السلطة الوطنية الفلسطينية الاعتراف بيهودية دولة إسرائيل، وهو ما يعني أن على العرب مسلمين ومسيحيين مغادرة البلاد لتصبح إسرائيل دولة يهودية نقية من الجماعات الأخرى.

(1) فريدريك هاير، تاريخ الكنيسة في الأرض المقدسة، ترجمة فهد أبو غزالة، ط 1، (بيت لحم: مكتب الناشر للكمبيوتر، 1995)، ص: 240.

* فقد بقي حوالي 156 ألف نسمة داخل إسرائيل، ونزح إلى الضفة الغربية 260 ألف نسمة، أما الأردن فوصلها 70.000 فلسطيني، فيما وصل لبنان 100 ألف فلسطيني، وإلى سوريا 85 ألف فلسطيني، ووصل إلى قطاع غزة 209.194 لاجئ، أما مصر والعراق فنزح إليها سبعة الألف لكل منهما، وبضع عشرات الألف إلى بقاع مختلفة من العالم"، انظر: كفاح شعب ومسيرة حركته، ص: 104.

(2) كفاح شعب فلسطين ومسيرة حركته الوطنية 1882-1965، مرجع سابق، ص: 105.

(3) مانويل حساسيان، مرجع سابق، ص: 62، 64.

المبحث الرابع: دوافع الهجرة المسيحية من الضفة الغربية وقطاع غزة ما بين عام 1967 وحتى نهاية القرن العشرين

1.5.5 دور الاحتلال الإسرائيلي

كان من الصعب أن تشهد فلسطين استقراراً سياسياً وأمناً بعد أحداث النكبة، فهول الكارثة حال دون ذلك. على أن الفلسطينيين كانوا على موعد مع كارثة أخرى زادت الوضع اضطراباً، وتمثلت بالهزيمة التي لحقت بالجيش العربي مرة جديدة عام 1967، وبهذه النتيجة ضاع ما تبقى من فلسطين بعد خضوع الضفة الغربية، وقطاع غزة، والقدس الشرقية للاحتلال الإسرائيلي. رغم أن لهذه الحرب كانت ايجابية واحدة تمثلت بإزالة الحواجز بين أبناء الشعب الفلسطيني في المناطق التي احتلت عام 1948م، وسكان المناطق التي احتلت عام 1967م، فعاد التواصل بين أبناء الوطن.

وكان من الطبيعي أن تشهد مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة حركة نزوح واسعة؛ بسبب ظروف الحرب، والقلق من مستقبل مجهول المعالم، وتذكر العديد من المصادر أن الضفة الغربية وقطاع غزة شهدت حركة نزوح واسعة للسكان خلال الأشهر الأولى التي تلت الحرب، وتؤكد هذه المصادر أن أعداد النازحين قدرت ب 200 ألف نازح، في حين قدرت مصادر أخرى أن عددهم بلغ 400 ألف نازح،⁽¹⁾ وأما عبد الفتاح أبو شكر فيذكر أن عدد النازحين من الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية خلال الستة أشهر الأولى من الاحتلال الإسرائيلي (الفترة ما بين حزيران وكانون أول من عام 1967) قدر ب 213 ألف شخص، وأما قطاع غزة فبلغ عدد النازحين الفترة نفسها 31 ألف شخص أي ما يعادل 8% من السكان⁽²⁾. أما مسيحيي الأراضي المحتلة عام 1967، فقد تراجعت أعدادهم من 45,855 مسيحي عام 1961 إلى 42,494 مسيحي عام 1967⁽³⁾.

وإنَّ السبب الرئيس لهجرة الفلسطينيين منذ عام 1967 تمثل في سياسة الاحتلال الإسرائيلي، فالحرب التي لم تستمر طويلاً بين العرب والجيش الإسرائيلي، أعادت ذكريات أليمة كالقتل، والدمار لسكان المخيمات الذين مروا بهذه التجربة، فبعضهم لم يرغب بتكرار هذه التجربة المريرة، فالخوف دفع

(1) موسى البديري، وآخرون، المجتمع الفلسطيني وقطاع غزة، تحرير ليزا تراكي، (عكا، دار الاسوار، 1990)، ص: 90

(2) عبد الفتاح أبو شكر، مرجع سابق، ص: 5.

(3) برنارد سايبلا، "الفلسطينيون المسيحيون: تطورات ديمغرافية تاريخية، السياسات الحالية والمواقف تجاه الكنيسة، المجتمع وحقوق الإنسان"، مؤتمر السبيل الدولي السادس، 2006، (القدس: مركز السبيل المسكوني للاهوت التحرر، 2008)، ص: 45

الآلاف إلى النزوح للضفة الشرقية⁽¹⁾، والخوف أيضاً ساهم في اتخاذ بعض الأسر قرار الهجرة لا سيما تلك التي لها أقارب في الخارج، وظهر ذلك بوضوح في الثلاث السنوات الأولى من الاحتلال الإسرائيلي⁽²⁾، فمنهم من هاجر إلى الولايات المتحدة كأهالي رام الله والبيرة، ومنهم من هاجر إلى كندا وأستراليا، أما أهالي بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور فهاجر الكثير منهم إلى أمريكا الوسطى والجنوبية⁽³⁾.

وعادت سلطات الاحتلال إلى سياسة التهجير القسري للسكان من جهة، ورفض الكثير من طلبات لم الشمل للذين تواجدوا خارج الأراضي الضفة الغربية وقطاع غزة عند اندلاع حرب حزيران من جهة ثانية. كما بذلت إسرائيل كل الجهود لتفريغ الأرض من سكانها من خلال إصدار قوانين صادرة الأراضي ما مكّنها من الاستيلاء على ما يقرب من 40% من مساحة الضفة الغربية، وحوالي ثلث مساحة قطاع غزة حتى عام 1983، وأقامت ما لا يقل عن 160 مستوطنة التي سكنها ما يقارب 128 ألف مستوطن والذين تركزوا بشكل أساسي في منطقة القدس⁽⁴⁾. إن إقامة كل مستوطنة كان يقابلها هجرة فلسطينية إلى الخارج، فالكثير من الفلسطينيين فقدوا مصدر رزقهم بعد الاستيلاء على أراضيهم، فضلاً عن الاحتكاك اليومي بين العرب والمستوطنين، والتضييق عليهم بحجة ضمان حماية أمن المستوطنين.

ولم تكن هذه السياسات موجهة ضد مجموعة سكانية دون غيرها؛ بل تم ممارستها ضد أبناء الشعب الفلسطيني كافة، وفي جميع أماكن تواجدهم في المدن والقرى والمخيمات، ضد المسلمين والمسيحيين، فطوال سنوات الاحتلال تعرض الفلسطينيون، ومنهم المسيحيون لسياسات قمعية من قبل جنود الاحتلال والمستوطنين، ولم يسلم منها البشر، أو الحجر، فقد تعرضت المقدرات المسيحية لكثير من الحوادث مثل سرقة أيقونة العذراء من كنيسة القيامة عام 1969م⁽⁵⁾، وفي شباط عام 1973م أشعلت النيران في دار نشر مسيحية في القدس، وأحرقت مكتبة المعمدانيين في القدس بتحريض من الحاخام كهانا في العام 1974م⁽⁶⁾، كما أحرقت الكنيسة المعمدانية في القدس عام 1982م. وتعرضت جماعة يهودية متطرفة في منطقة نابلس للأرشمندريت فيلومينوس وقتله في

* لقد قدر عدد النازحين من المخيمات فقط إلى الأردن ما يقارب 100 ألف لاجئ. انظر: مجموعة مؤلفين، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، مرجع سابق، ص: 608.

(1) وليم نجيب جورج نصار، مرجع سابق، ص: 433.
(2) عبد الفتاح أبو شكر، المرجع نفسه، ص: 6.
(3) نصري بشارة جريس حزبون، مرجع سابق، ص: 107.
(4) الخصائص الديمغرافية للشعب العربي الفلسطيني، مرجع سابق، ص: 208 ، 215.
(5) جريس سعد خوري، " تداعيات حرب 1967 على العلاقات الإسلامية والمسيحية في فلسطين"، مجلة اللقاء، السنة الثانية والعشرون، العدد الرابع، 2007، ص: 205.
(6) فريدريك هاير، مرجع سابق، ص: 227.

عام 1979، وقتلت راهبتان روسيتان في عين كارم في العام 1983م⁽¹⁾. وكإخوانهم المسلمين تعرض المسيحيون للاعتقال كما حدث مع المطران ايلاريون كبوتشي، وهدم البيوت كما حدث في مدينة بيت ساحور عام 1982⁽²⁾.

ومع اندلاع الانتفاضة عام 1987م، زادت حدة السياسة القمعية تجاه الشعب الفلسطيني، وتمثلت في فرض حظر التجوال لمدد طويلة وقتل المئات من المواطنين، إضافة إلى الاعتقالات التي طالت آلاف المواطنين خاصة فئة الشباب، واستحدثت سلطات الاحتلال ما يعرف بالاعتقال الإداري غير القانوني الذي طال 45.240 شخصاً في الفترة ما بين 1987 - 1993⁽³⁾.

واستغل الاحتلال ظروف الانتفاضة الأولى وحاول خلق الشقاق والفرقة بين أبناء الشعب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين، من خلال منح المسيحي بعض التسهيلات مثل حرية العبور على الحواجز العسكرية التي تفصل المدن الفلسطينية عن القدس، في حين حرم المسلم دخول المدينة، والهدف من ذلك هو خلق الشكوك في عقل الفلسطيني المسلم بأن المسيحي ليس بفلسطيني، كما عمدت سلطات الاحتلال بالتعاون مع بعض الجماعات المسيحية الغربية الموالية لإسرائيل إلى توزيع بطاقات خضراء على بعض الشبان المسيحيين تسهل مرورهم على الحواجز، وكان لتصدي المثقفين المسيحيين لهذه الحادثة، من خلال توعية الشباب المسيحي بخطورتها إلى فشل المحاولة الإسرائيلية وانتهى التداول بهذه البطاقات.

ولم تتوقف محاولات الاحتلال عند ذلك، بل عمدت إلى استغلال ظهور حركة حماس، والتصريح عبر وسائل الإعلام الغربية بان الانتفاضة الفلسطينية هي انتفاضة إسلامية، وتهدف إلى إقامة دولة إسلامية لا يكون المسيحي فيها متساوي الحقوق مع المسلم، ولا يتمتع بالمواطنة، وهذا شكل تحريض مباشر وغير مباشر للمسيحيين على الهجرة⁽⁴⁾.

إن سياسة الاحتلال وانعدام الاستقرار السياسي أثرا سلباً على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، فتدري الأوضاع السياسية والأمنية، والتصديق الإسرائيلي على الاقتصاد الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة؛ أدت إلى تراجع قطاعات الإنتاج المختلفة كالزراعة والصناعة والتجارة والبناء،

(1) جريس سعد خوري، "تداعيات حرب 1967 على العلاقات الإسلامية والمسيحية في فلسطين"، مرجع سابق، ص: 205.

(2) فريدريك هابر، مرجع سابق، ص: 227.

(3) مجموعة مؤلفين، المجتمع الفلسطيني في غزة والضفة الغربية والقدس العربية (بحث في الأوضاع الحياتية)، ط 1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1994)، ص: 27.

(4) مقابلة مع د.جريس خوري، مدير مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، يوم الاثنين، الموافق 2014 / 7 / 8.

ما شكل عامل طرد لمئات آلاف الفلسطينيين، وبشكل خاص الكفاءات العلمية، والتي عانت من البطالة. ومن الإجراءات التي قامت بها حكومة الاحتلال لإضعاف الاقتصاد الفلسطيني:

- أصدرت إسرائيل منذ العام 1967 عدة قوانين للسيطرة على الأراضي الزراعية، والثروات الطبيعية كالمياه ومنها: قانون مصادرة أملاك الغائبين، وقانون مصادرة الأراضي، لأسباب عسكرية وبموجب هذا القانون تم مصادرة مليون دونم لاعتبارات أمنية⁽¹⁾. وغيرها من القوانين التي صدرت في الفترة ما بين (1967-1983)، وأدت إلى استيلاء إسرائيل على مساحة واسعة الضفة الغربية و قطاع غزة⁽²⁾.

- إلحاق الاقتصاد الفلسطيني بالاقتصاد الإسرائيلي من خلال السيطرة على الأسواق الفلسطينية، وإغراقها بالسلع الإسرائيلية المعفية من، في حين حرمت البضائع الفلسطينية من هذه المنافع داخل السوق الإسرائيلية⁽³⁾.

- فرض الضرائب على الصناعات الفلسطينية ما أدى إلى إغلاق الكثير من المصانع، كما عانت الصناعة السياحية من هذه الضرائب التي فرضت عليها مثل ضريبة الاستيراد للمواد الخام، وضريبة القيمة المضافة، وضريبة التصنيع ما أدى إلى تراجع هذا القطاع، فلم يعد يشهد إقبالاً من الجيل الجديد للعمل فيه، ما أدى بدوره إلى تراجع النشاط السياحي خاصة في مدينة بيت لحم مقصد الحجاج المسيحيين من جميع أنحاء العالم⁽⁴⁾.

- سياسة إغلاق المناطق الفلسطينية، وتقسيم مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة إلى ثلاث مناطق، منطقة شمال الضفة وضمت (رام الله، نابلس، طولكرم)، منطقة جنوب الضفة وشملت (الخليل وبيت لحم)، منطقة قطاع غزة. وعزلت هذه المناطق عن بعضها البعض لفترات مختلفة حسب الأوضاع الأمنية، ما أضر بالاقتصاد الفلسطيني، بسبب صعوبة وصول البضائع والمحاصيل الزراعية إلى أسواق المدن الفلسطينية.

- الاعتقال الإداري والذي طال آلاف الشبان الفلسطينيين. فضلاً عن سياسة فرض حظر التجوال لمدة طويلة حالت دون وصول العاملين في الأنشطة الاقتصادية المختلفة إلى مراكز عملهم، ما أدى إلى تراجع المستوى المعيشي للسكان⁽⁵⁾.

- في ظل هذه الأوضاع الصعبة اندلعت حرب الخليج الأولى عام 1991 ما زاد الأمور سوءاً، فقد تراجع تصدير المحاصيل الزراعية مثل الخضروات والحمضيات إلى الخارج وخاصة إلى دول الخليج؛

(1) مانويل حساسيان، مرجع سابق، ص: 69.

(2) الخصائص الديمغرافية للشعب العربي الفلسطيني، مرجع سابق، ص: 215.

(3) مجموعة مؤلفين، المجتمع الفلسطيني في غزة والضفة الغربية والقدس العربية، مرجع سابق، ص: 25.

(4) جورج كارلوس جادالله سمور، مرجع سابق، ص: 71.

(5) مجموعة مؤلفين المجتمع الفلسطيني في غزة والضفة الغربية والقدس العربية، المرجع السابق، ص: 26.

بسبب القيود التي فرضت على عمليات التصدير، كما تراجع مستوى معيشة السكان بسبب توقف التحويلات المالية القادمة من دول الخليج وبشكل خاص من الكويت⁽¹⁾.

وفي ظل هذه الأوضاع، لم يجد الكثير من الفلسطينيين أمامهم سوى الهجرة، والحال لا يختلف عند المسيحيين الفلسطينيين في الضفة الغربية، وقطاع غزة، وتدل الدراسات التي قام بها بعض الباحثين المعنيين بالموضوع كالدكتور سايبلا: انه يترك الوطن سنوياً ما لا يقل عن 600 مواطن مسيحي، وإذا علمنا أنّ عدد المسيحيين في الأراضي الفلسطينية لا يتجاوز 50.000 نسمة⁽²⁾. فإنّ هذا الرقم يعتبر كبيراً جداً إذا قارناه بعددهم، ما يؤشر إلى تعرض الحضور المسيحي في الأراضي الفلسطينية إلى خطر حقيقي وعلى الجميع العمل لإيقافه.

وتُظهر معظم الدراسات التي تناولت الوضع الديمغرافي في الأراضي الفلسطينية منذ عام 1967 وحتى بداية التسعينات، حجم الهجرة الفلسطينية الكبير في أوساط الفلسطينيين مثل دراسة د. سايبلا أن "13 ألف نسمة سنوياً، 8 آلاف شخص من الضفة الغربية و 5 آلاف شخص من قطاع غزة أي أكثر من 338.000 فلسطيني قد تركوا فلسطين في الفترة ما بين 1967-1993م ومن هؤلاء ما يقارب 11 ألف مسيحي فلسطيني أي 20% من مجموع المسيحيين الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة"⁽³⁾.

وفيما يتعلق بمدينة القدس، فقد عانى سكانها من الإجراءات التعسفية الإسرائيلية، فالفلسطينيون ممنوعون من بناء بيوت جديدة أو ترميم بيوتهم القديمة، ويقاسون من الضرائب المتعددة الباهظة، ما يدفعهم للهجرة، ويؤكد على هذه الحقيقة الإحصاء الفلسطيني الذي اجري في مدينة القدس عام 1997م وظهر فيه تراجع أعداد المسيحيين، ففي حين قدرت أعدادهم عام 1944م بما يقارب 39.350 نسمة⁽⁴⁾ وصل هذا العدد إلى 14.105 نسمة عام 1997م⁽⁵⁾.

وللوقوف على حجم ودوافع هجرة المسيحيين الفلسطينيين قام الدكتور برنارد سايبلا بدراسة ميدانية بدعم من مركز اللقاء في القدس ورام الله، وبيت لحم، في تموز 1990، وجاءت النتائج حول أسباب الهجرة على النحو الآتي:

(1) مجموعة مؤلفين المجتمع الفلسطيني في غزة والضفة الغربية والقدس العربية مرجع سابق، ص: 26، 27.

(2) برنارد سايبلا، هجرة المسيحيين العرب، مجلة اللقاء، مرجع سابق، ص: 48.

(3) المرجع نفسه، ص: 46.

(4) حماية الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية في فلسطين، (وقائع المؤتمر الدولي الثاني)، (عمان: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم، 23-25 نوفمبر 2004)، ص: 79.

(5) فؤاد فرح، مرجع سابق، ص: 163.

البحث عن عمل: 46.3% من الذين ينوون الهجرة.

الهجرة الدائمة: 17%

أسباب عائلية: 12.8%

مواصلة الدراسة: 11.7%⁽¹⁾

يتبين من نتائج الدراسة أن الأسباب الاقتصادية هي الدافع الأهم للهجرة المسيحية.

وإن كانت هجرة السكان من الأراضي الفلسطينية تبدو اختيارية في مظهرها العام، إلا أنها هجرة قسرية في مضمونها، نظراً لافتقار اقتصاد الضفة الغربية وقطاع غزة منذ عام 1967 الأسس الاقتصادية السليمة التي تؤهله كي يصبح اقتصاداً مستقلاً بذاته، ويتحمل الاحتلال الإسرائيلي المسؤولية عن ذلك.

(1) برنارد ساببلا، "دراسة للهجرة ما بين الفلسطينيين المسيحيين في مناطق القدس وبيت لحم، ورام الله"، الهجرة، مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة، الدورة الرابعة، (القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 1991)، ص: 88.

المبحث الخامس: دور المؤسسات الفلسطينية في الهجرة المسيحية

لا شك أنّ سياسات الاحتلال الإسرائيلي القمعية تجاه الشعب الفلسطيني منذ أكثر من 60 عاماً كانت السبب الرئيس وراء هجرة الفلسطينيين، ومع ذلك لا بد من طرح السؤال التالي: هل يتحمل الاحتلال وحده هذه المسؤولية؟ أم تتحمل المؤسسات الوطنية دوراً في هذه الهجرة؟

1.6.5 دور السلطة الوطنية الفلسطينية في الهجرة المسيحية:

كان من نتائج الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام 1987م، عقد مؤتمر مدريد من أجل إيجاد حل للصراع العربي - الإسرائيلي، ترتب عليه مفاوضات سرية في أوسلو أنتجت اتفاق أوسلو، الذي أقر إقامة سلطة وطنية فلسطينية على جزء من أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة. وبعد إنشاء السلطة الفلسطينية عام 1994م، بدأت تفرض نفوذها على المناطق الفلسطينية، وكان في انتظارها العديد من التحديات، منها بناء دولة المؤسسات والقانون، وتطوير المجتمع الفلسطيني، حتى يصبح قادراً على النهوض، ومواكبة العصر، هذا التطور الذي يشمل كافة أطراف المجتمع الفلسطيني.

أوضاع المسيحيين في ظل السلطة الوطنية الفلسطينية:

تولي السلطة الوطنية الفلسطينية أهمية خاصة للمسيحيين الفلسطينيين، على اعتبار أنهم جزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني، ويظهر ذلك في مسودة الدستور الفلسطيني، فمواده لم تُظهر أي انتهاك لحقوق الأقليات الدينية بل أكدت على المساواة بين أبناء الشعب بغض النظر عن ديانتهم، ويظهر ذلك في المواد التالية:

المادة: (5) "... يكفل الدستور للمواطنين أياً كانت عقيدتهم الدينية المساواة في الحقوق، والواجبات".

المادة: (7) "مبادئ الشريعة الإسلامية مصدر رئيس للتشريع، ولاتباع الرسالات السماوية تنظيم أحوالهم الشخصية وشؤونهم الدينية وفقاً لشرائعهم...".

المادة (8) "إن النظام السياسي في فلسطين، هو نظام نيابي برلماني ديمقراطي ويكفل للمواطن تكوين الأحزاب دون تمييز بسبب الرأي السياسي أو الجنس أو الدين".

المادة: (20) "حقوق الإنسان وحياته الأساسية ملزمة وواجبة الاحترام وتعمل الدولة على كفالة الحقوق والحريات الدينية والمدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لكل المواطنين وتمتعهم بها على أساس مبدأ المساواة وتكافؤ الفرض...".

المادة: (114) "يشترط في المرشح لشغل منصب رئيس الدولة أن يكون حاملاً الجنسية الفلسطينية وحدها وألا يقل سنه عن أربعين سنة ميلادية يوم الترشيح وان يكون متمتعاً بالحقوق المدنية والسياسية"⁽¹⁾.

وفي تحليل لهذه المواد، فإنّ مسودة الدستور تعطي الحرية الكاملة لغير المسلمين بإدارة أحوالهم الشخصية حسب شرائعهم، كما أن اعتبار الدين الإسلامي هو دين الدولة الرسمي، لا يعني تطبيق الشريعة الإسلامية على غير المسلمين، أو الانتقاص من حقوقهم، وإنما كون الأغلبية العظمى من الشعب الفلسطيني تدين بالدين الإسلامي فمن الطبيعي أن يكون الدين الرسمي هو الإسلام. ولا تنص مواد الدستور المقترح على أن يكون الرئيس مسلماً، كما لم تحمل مواده أية فوارق في الحقوق، والواجبات، والحرية تبعاً للديانة، بل جاءت مؤكدة على مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات. كما أكد على حقوق المواطنين السياسية، والحزبية دون تمييز.

ولم يقتصر اهتمام قيادة السلطة الفلسطينية حول وضع المسيحيون في الدستور، وإنما حرصت على تولي مسيحيين فلسطينيين مناصب هامة في السلطة، مثل نبيل أبو ردينة المستشار الإعلامي، والناطق الرسمي للرئيس الراحل ياسر عرفات، ورمزي خوري مدير مكتب الرئيس، وجريس الأطرش مدير مكتب الرئيس في بيت لحم، وسامي مسلم المدير العام مكتب أريحا، وحنان عشراوي وزيرة التعليم العالي، كما حرصت على تولي منصب رئيس بلدية في كل بيت لحم، وبيت جالا، وبيت ساحور، والزبادة، وبيرزيت من المسيحيين.

ومن ذلك يلاحظ أن السلطة الفلسطينية لم تعمل على تهميش دور المسيحيين، بل حرصت على فتح قنوات اتصال بينها وبين الطوائف المسيحية المختلفة، لمتابعة أحوالهم واحتياجاتهم، ومن ذلك السماح بتأسيس كنيسة إنجيلية في مدينة أريحا في العام 1994م⁽²⁾، وهو أمر لا تتمتع به الطوائف المسيحية في معظم الدول العربية.

ورغم تأكيد السلطة الوطنية منذ نشأتها على سيادة دولة المؤسسات والقانون، لكن المتتبع للأوضاع الداخلية الفلسطينية في السنوات الأولى لنشأتها يرى غياباً للمؤسسات والقانون، ما أدى إلى بروز

(1) مسودة الدستور: (نسخة الكترونية)، استرجعت بتاريخ 11 / 11 / 2013.

<http://www.miftah.org/arabic/Docs/ConstitutionDraft2.pdf> .

(2) مجموعة مؤلفين، أكنوبة اضطهاد المسيحيين من قبل السلطة الفلسطينية، ط 1، (القدس: الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة، 1998)، ص: 17، 18.

الفلتان الأمني، والتي استغلها بعض المأجورين، لإثارة النعرات الطائفية⁽¹⁾ كما حدث في عدة أماكن مثل مدينة بيت لحم، وبيت جالا، غير أنّ موقف رجال الدين المسيحي، الذين وضعوا هذه الأحداث في إطار الأعمال الصببانية، ولا يتحمل مسؤوليتها جمهور المسلمين في هذه المدن التي شهدت تعايشاً، وانسجماً بين أبنائها. إذن المسيحيون لا يتعرضون لاضطهاد موجه، وهو ما أكده العديد من رجال الدين المسيحي مثل ميشيل صباح بطريك اللاتين السابق في حديث له مع جريدة القدس، "يمكن لأحداث فردية بين المسلمين والمسيحيين أن تتخذ أبعاداً على مستوى المجتمع. هناك في هذه الحالات وسطاء، أسر معروفة بحكمتها وسلطتها، قادرة على حل النزاعات. وأستطيع أن أشهد أن الأمور في فلسطين لا تذهب إلى أبعد من ذلك لم تكن هناك في يوم من الأيام مجازر أو هجمات إرهابية ضد الكنائس. لم أسمع أبداً في يوم من الأيام عن اضطهاد للمسيحيين. حتى في غزة، تقوم حماس بحماية المسيحيين"⁽²⁾.

ويعود انتشار الفلتان الأمني، والبلطجة؛ إلى ضعف السلطات الثلاث التشريعية، والتنفيذية، والقضائية، فأصبح القوي يتناول على الضعيف، وتتحول المشكلات الاجتماعية إذا كان طرفاها مسلم والآخر مسيحي إلى مشكلات طائفية، وهذا كله يعود إلى الضعف في تنفيذ القانون، ونتج عن ذلك زيادة الضغوط التي يتعرض لها المواطن، وتسرب الشعور باليأس والإحباط.

وعند سؤال الدكتور جريس خوري حول توقعات المواطن المسيحي من السلطة الفلسطينية، رأى أن السلطة الفلسطينية حرصت على المشاركة المسيحية في مؤسساتها المختلفة، فكان منهم الوزراء، وأعضاء في المجلس التشريعي، والسلك الدبلوماسي، ورؤساء بلديات، بل فاق حجم هذه المشاركة عددهم، ولكن المواطن المسيحي يتطلع إلى مساواته في الحقوق، وان تحفظ كرامته كأبي إنسان آخر، وليس مواظن من الدرجة الثانية، ويريد أن تكون فلسطين دولة لجميع المواطنين، وحتى يتحقق ذلك لا بد من نشر التوعية بين المواطنين، من خلال وسائل إعلام ناضجة، ومناهج تعليمية تبين الجذور العربية للمسيحيين، وتظهر دورهم في الحضارة العربية الإسلامية، والنهضة الفكرية، ودورهم في النضال الوطني الفلسطيني على مدى قرن من الزمان، لكي يعلم المسلم أن المسيحي شريك في الوطن من ناحية، ويعي المسيحي بجذوره العربية، ودوره في حضارته العربية، وأنه مكون أصيل من مكونات الشعب الفلسطيني من ناحية أخرى، وهو ما سيعزز الشعور بالانتماء لهذا الشعب ولهذا الوطن، وأما الجهل بهذا التاريخ سيضعف الانتماء لدى المسيحي فيكون قرار الهجرة سهلاً.⁽³⁾

(1) جريس سعد خوري، "تداعيات حرب 1967 على العلاقات الإسلامية والمسيحية في فلسطين"، مرجع سابق، ص: 209

(2) البطريرك ميشيل صباح، سراجنا، نقلًا عن جريدة القدس، 24-4-2010 (نسخة الكترونية)، استرجعت بتاريخ 12/1/2014
<http://www.sirajuna.com/EachArticle.aspx?aId=2000>

(3) مقابلة مع د. جريس خوري، مرجع سابق.

ومن المؤكد أنّ السلطة الوطنية الفلسطينية، لا تتحمل كامل المسؤولية عن الأوضاع التي تدفع المواطن الفلسطيني مسلماً، أو مسيحياً إلى الهجرة، لكنها تستطيع أن تحد من بعض الظواهر السلبية التي يعاني منها المجتمع الفلسطيني، إلى جانب تفعيل السلطات الثلاث، كي يشعر المواطن بالاطمئنان.

2.6.5 دور الحركات الإسلامية في الهجرة المسيحية

تميزت العلاقات الإسلامية - المسيحية الفلسطينية عبر التاريخ بالتآخي والتآلف، ولم يعكر صفو هذه العلاقات إلا بعض الأحداث التي وقعت في بعض الفترات التاريخية، ولكن لم يصل العداء بين الطرفين إلى حد الفتن الطائفية كما حدث في سوريا، ولبنان منتصف القرن التاسع عشر، وأن حدثت فسرعان ما كانت تحل بتدخل العقلاء من الطرفين.

وفي السنوات الأخيرة بدأت وسائل الإعلام الغربية، والإسرائيلية تدعي بأن المسيحيين في الأرض المقدسة يتعرضون للاضطهاد من قبل الأغلبية المسلمة، ما يدفعهم إلى ترك البلاد والهجرة، هذه الادعاءات تدفع للتساؤل إلى أي حد تلعب الحركات الإسلامية دوراً في هجرة المسيحيين من فلسطين؟

بدأ النشاط السياسي للحركات الإسلامية في البلاد العربية منذ عام 1977م، بعد أن كان نشاطاً دعوياً، وكان لهزيمة حزيران عام 1967م دوراً مهماً في هذا التحول. فقد شكلت الهزيمة صدمة لكل العرب وعلى وجه الخصوص الفلسطينيين، فمنذ وصول جمال عبد الناصر إلى سدة الحكم في مصر شهد المد القومي انتشاراً واسعاً بين العرب، وارتفعت الآمال والطموحات لديهم بقدرة الجيوش العربية، وعلى رأسها الجيش المصري على إلحاق الهزيمة بالعدو الصهيوني. على أنّ الهزيمة قصمت ظهر العرب، وأصاب الذهول، والإحباط أبناء الأمة العربية. استغلت الحركات الإسلامية هذه الهزيمة، واعتبرت أنها نتيجة لفشل الفكر القومي، والإيديولوجيات الأخرى كالاشتراكية والليبرالية، وللخروج من حالة الهزيمة لا بد من العودة إلى الإسلام⁽¹⁾.

وقد زادت القاعدة الشعبية للتيارات الإسلامية؛ نتيجة عدة متغيرات تعرضت لها المنطقة العربية منها: هزيمة حزيران عام 1967، واعتراف مصر بإسرائيل، وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد، ونجاح الثورة

(1) إياد البرغوثي، الأسلمة والسياسة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، ط 1، (القدس: مركز الزهراء للدراسات والأبحاث، 1990)، ص: 53، 52.

الإسلامية في إيران عام 1979م، ما أدى إلى ابتعاد شريحة كبيرة من أبناء الدول العربية عن الأنظمة العلمانية، والانضمام إلى الحركات الإسلامية⁽¹⁾.

وأما فلسطين، فقد برز نشاط الحركات الإسلامية فيها بشكل ملحوظ مع اندلاع الانتفاضة الأولى عام 1987م، رغم أن وجود بعضها يعود إلى ما يزيد عن خمسين عاماً، ومن هذه الحركات، حركة حماس، والجهاد الإسلامي، وحزب التحرير، وأدت هزيمة العرب في حرب 1967، وفشل عملية السلام، وتدهور الوضع الاقتصادي، ولا سيما في انتفاضة الأقصى، إلى تعزيز شعبية الحركات الإسلامية بقيادة حركة حماس، ومن ناحية أخرى فإن تراجع الأحزاب الفلسطينية بعد أوصلو وخصوصاً أحزاب اليسار عزز الهوية الدينية في المجتمع الفلسطيني.

وأما موقف هذه الحركات من المسيحيين، فهو موقف الإسلام الشرعي (أي أهل ذمة)، وتميز موقف حركة الجهاد الإسلامي عن غيرها من الحركات الإسلامية بالتمييز بين المسيحيين المحليين، والمسيحية الصهيونية فاعتبرت الثانية معادية للإسلام وللقضية الفلسطينية⁽²⁾.

ومنذ قيام دولة إسرائيل، حاولت حكوماتها المتتالية استغلال التعدد الطائفي، لإثارة النزعات الطائفية، فاتبعت سياسة فرق تسد بين المسلمين، والمسيحيين، وكانت تستغل كل حادثة تقع لإثارة الفتنة بين الطرفين، وإن لم تقع الحوادث عمدت إلى إحداثها، ومن الأحداث التي استغلتها الحرب الأهلية في لبنان عام 1975م وأظهرتها في وسائل الإعلام الإسرائيلية على أنها حرب بين المسلمين والمسيحيين⁽³⁾؛ لضرب الوحدة الوطنية بين أبناء الشعب الفلسطيني في الداخل.

وقد استغلت إسرائيل ظهور الحركات الإسلامية في بداية الانتفاضة، وخاصة حركة حماس، فبدأت تروج بأن الانتفاضة هي انتفاضة إسلامية، وادعت أن حركة حماس تقف وراء الأحداث التي وقعت في بعض المناطق الفلسطينية مثل حرق محلات تجارية في مدينة نابلس، وصدف أن كان أحدها لمسيحي، وآخر لسامري⁽⁴⁾.

كما لجأت إسرائيل إلى إشاعة الأكاذيب في وسائل إعلامها، بأن المسيحيين يتعرضون للاضطهاد من قبل الحركات الإسلامية والسلطة الوطنية الفلسطينية، ولهذا السبب يهاجر المسيحي، وأعطت

(1) جريس سعد خوري، تداعيات حرب 1967 على العلاقات الإسلامية المسيحية في فلسطين، مرجع سابق، ص: 202.

(2) إياد البرغوثي، المرجع نفسه، ص: 39.

(3) جريس سعد خوري، تداعيات حرب 1967 على العلاقات الإسلامية المسيحية في فلسطين المرجع السابق، ص: 202.

(4) إياد البرغوثي، مرجع سابق، ص: 138.

مثالاً على مدينة بيت لحم التي هجرها مسيحيوها، وحسب ادعاءاتها فان الإسلام سبب هذه الهجرة وليس إسرائيل.

ورغم أن هذه الادعاءات غير صحيحة بشهادة رجال الدين المسيحي، ولكن في السنوات الأخيرة شهدت الساحة الفلسطينية خطاباً دينياً بعيداً عن الخطاب الوسطي، فبعض المشايخ يلجأون إلى استخدام بعض المصطلحات التي تثير حفيظة المسيحي، مثل نعت النصارى بالكفرة،⁽¹⁾ كما يتم تحميل المسيحي المحلي تبعات السياسات الغربية؛ لان الطرفان يدينان بالمسيحية، وكثيراً ما يحول الشارع الفلسطيني الصراعات القومية، والطائفية في العالم إلى سلبيات في العلاقات الداخلية مع المسيحيين، فيعد الجار المسيحي بشكل أو بآخر شريكاً مع المعتدي، وخطراً على القضية الفلسطينية، وهكذا تتعمق الشكوك وتزداد المخاوف لدى المسيحي⁽²⁾.

ومن جهة أخرى اثر الخطاب الديني في تراجع الحضور المسيحي في الصراع العربي- الإسرائيلي، فالمعروف تاريخياً أن المسيحيين تبنا الفكر القومي العربي، بل هم المؤسسون لهذا الفكر الذي كان شعاره الدين لله والوطن للجميع، وكان المسلم والمسيحي يعرف كل منهما نفسه بأنه عربي، وبعد ظهور الحركات الإسلامية والتي لا تؤمن بهذا الفكر، وإعلانها بأن الصراع العربي الإسرائيلي هو صراع ديني وليس صراعاً قومياً، دفع المسيحيون للتخلي عن دورهم في هذا الصراع، وبالتالي تهميشهم⁽³⁾، وهو ما اثر سلباً على قضية الانتماء لجذورهم العربية.

ومع ذلك، فالإسلام حسب الدكتور جريس خوري لا يتحمل مسؤولية هجرة المسيحيين، فالمسيحي لا يعاني من اضطهاد إسلامي، وفي هذا الإطار لم يمنع أي مسيحي في فلسطين من الوصول إلى كنيسته، ولم يمنع من بناء كنيسة، أو دير، كما لم تتعرض أي مدرسة من المدارس المسيحية للعنف⁽⁴⁾، بل يتشارك المسلم والمسيحي الدراسة في نفس المدارس والجامعات، وكذلك يعملان معاً بنفس المؤسسات، ويتشاركان نفس المكتب، وقد أكدت كثير من الدراسات الميدانية، بأن الخطاب الديني لم يكن سبباً رئيساً لهجرة المسيحيين، بل سياسية الاحتلال الإسرائيلي، والوضع الاقتصادي السيئ، وعدم الاستقرار السياسي، هي الأسباب الرئيسة وراء هذه الهجرة⁽⁵⁾.

(1) مقابلة مع د. جريس خوري، مرجع سابق.

(2) مقابلة مع د. برنارد سابيلا، مرجع سابق.

(3) جوني منصور، مرجع سابق، ص: 72.

(4) مقابلة مع د. جريس خوري، المرجع السابق.

(5) مقابلة مع د. برنارد سابيلا، المرجع السابق.

مضى على ظهور الحركات الإسلامية على الساحة السياسية الفلسطينية أكثر من عشرين سنة، ورغم إدعاءات الاحتلال بتعرض المسيحيين لاضطهاد من قبل هذه الحركات، غير أنه وإن سجلت بعض الحوادث هنا وهناك، فهي ليست ظاهرة تجتاح المجتمع الفلسطيني، ولتقويت الفرصة على الاحتلال من بث بذور الفتنة الطائفية، يجب على الحركات الإسلامية أن تفصح عن نظرتها للمسيحيين، وتحدد بشكل واضح ما هي العلاقة التي قد تربطها بهم، وهل المسيحيون مواطنون فلسطينيون يتمتعون بالمواطنة الكاملة كأبناء لهذا الوطن؟ إنَّ عدم وضوح الخطاب السياسي لهذه لحركات، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة مع غير المسلمين، يؤدي إلى انتشار الخوف والقلق من المستقبل في صفوفهم. وللخروج من دائرة الشك والقلق والخوف لابد من انتشار خطاب ديني وسطي يعترف بالروابط التي تجمع بين المسلم والمسيحي، فالخطاب الواسطي هو الكفيل في إبقاء الحضور المسيحي قوياً. كما يجب القيام بعملية توعية في المدارس، والجامعات، والتجمعات الإسلامية والمسيحية على الوحدة الوطنية، وعدم تحميل المواطن المسيحي تبعات السياسة الغربية والأمريكية التعسفية، والتي لا شأن لها بالمواطن المسيحي العربي، كما أن المسلم الفلسطيني لا يتحمل تبعات الأخطاء السياسية التي ترتكب في العالم الإسلامي، هذه التوعية هي مطلب روحي وأخلاقي وثقافي.

3.6.5 دور الكنيسة في الهجرة المسيحية

اعتبرت الكنيسة المحلية نفسها دوماً جزءاً لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني، وساهمت بمدارسها التي تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر، ومستشفياتها، ومؤسساتها الخدمائية الأخرى في خدمة أبناء الوطن من كافة الطوائف.

وتباينت مواقف الكنيسة المحلية من تطور الأحداث التي تعرضت لها فلسطين خاصة على الصعيد السياسي، فخلال أحداث النكبة عام 1948م قامت الكنيسة المحلية، والبعثات التبشيرية المسيحية الأجنبية بدور إنساني كبير من حيث: مساعدة النازحين، وإيوائهم، وتقديم الغذاء لهم. تعدى الأمر الموقف الإنساني إلى موقف سياسي واضح، ففي حين اتخذت الكنائس المحلية، والعالمية موقفاً رافضاً تجاه وعد بلفور، ورفض قرار التقسيم عام 1947م، ورفض الفاتيكان الاعتراف بدولة إسرائيل في أعقاب قيامها (اعترف بها بعد اتفاقية أوسلو)، ثبت الفاتيكان على مواقفه الداعمة للشعب الفلسطيني، وظهر ذلك في رسائل، وعظات، الباباوات التي طالبت بالاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني⁽¹⁾.

(1) الأب جمال خضر، " دور الكنيسة المحلية في القضية الفلسطينية بعد حرب 1967م وتداعيات هذه الحرب على العلاقات الإسلامية والمسيحية"، مجلة اللقاء، السنة الثانية والعشرون، العدد الرابع، 2007م، ص: 196.

ولم يقتصر هذا الموقف على الفاتيكان، بل اتخذت الكنائس الكاثوليكية في أوروبا الغربية، والولايات المتحدة موقفاً مشابهاً ضد الممارسات القمعية التي يقوم بها الاحتلال الإسرائيلي بحق الشعب الفلسطيني، وطالبت بالاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني كحق إقامة دولته الفلسطينية على أرضه⁽¹⁾. أما الكنيسة المحلية، فأثرت الصمت بعد الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية، وقطاع غزة، وشرقي القدس، ما ولد شعوراً بالإحباط من الكنيسة وأدائها بين المسيحيين، وخاصة العلمانيين منهم، فالمسيحي كان بحاجة من رئاسته الروحية الوقوف إلى جانبه في وجه الانتهاكات التي يقوم بها الاحتلال، والتي لم تقتصر على المواطن، وإنما طالت رجال الدين والراهبات بالقتل في كل من نابلس، والقدس، وعين كارم، وحرقت كنائس وسرقة أخرى⁽²⁾.

وفي مقابل الموقف السلبي للكنيسة، ظهر الموقف الوطني للمسيحيين العلمانيين وبعض رجال الدين المسيحي الذين اختاروا أن يكونوا مع شعبهم في مقاومة الاحتلال، فانضمت أعداداً كبيرة منهم إلى حركة التحرر الفلسطينية مثل جورج حبش، وكمال ناصر، وحنا ناصر، ونايف حواتمة، وتريزا هلسي، ولينا طنوس، والمطران اريلايون كبوتشي، والأب إبراهيم عياد، وغيرهم الكثير⁽³⁾. على أن هذا الاختيار لم يكن وليد هزيمة حزيران عام 1967، وإنما تعود بداياته إلى الخمسينات بعد أحداث النكبة، عندما أسس بعض الفلسطينيين عدداً من المنظمات التي اتخذت أسلوب الكفاح المسلح ضد الاحتلال، ومن ابرز هذه المنظمات حركة القوميين العرب، والتي كان أحد مؤسسيها وديع حداد، وقسطنطين زريق⁽⁴⁾، وأما هزيمة عام 1967م، فنتج عنها تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في العام نفسه بقيادة جورج حبش، ثم الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بقيادة نايف حواتمة أردني الأصل⁽⁵⁾.

ومع اندلاع الانتفاضة الأولى عام 1987 في الضفة الغربية، وقطاع غزة لم يتخلف المسيحيون عن المشاركة فيها سواءً على مستوى الرئاسة الروحية أو الشعبية، حيث سقط العديد منهم ما بين شهيد، وجريح، فضلاً عن اعتقال المئات إدارياً، وكان للعصيان المدني الذي خاضته مدينة بيت ساحور عندما امتنع المواطنون عن دفع الضرائب لسلطات الاحتلال صدىً كبيراً على المستوى المحلي والعالمية⁽⁶⁾. أما رجال الدين فكثير منهم اختار المشاركة في الانتفاضة، وكانت المشاركة سياسية،

(1) ستيف بنيان، " النظرة المسيحية الغربية للوجود المسيحي العربي في فلسطين"، مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة، الدورة الخامسة، (القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 11- 13 تموز، 1991)، ص: 121.

(2) جريس سعد خوري، عرب مسيحيون أصالة.. حضور.. انفتاح، (القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 2006)، ص: 111، 112.

(3) المرجع نفسه، ص: 113.

(4) جوني منصور، مرجع سابق، ص: 69.

(5) فؤاد فرح، المرجع نفسه، ص: 115.

(6) إياد البرغوثي، مرجع سابق، ص: 138.

وإعلامية مثل القس متري الراهب، والمطران الياس شقور، والمطران منيب يونان، والقس نعيم عتيق من خلال كتاباتهم وعلاقاتهم مع الغرب في توضيح القضية الفلسطينية⁽¹⁾.

وفي الحديث عن رجال الدين لابد لنا من الإشارة إلى دور كل من الارشمندرت عطا الله حنا والبطريك ميشيل صباح، فالأول هو الارشمندرت عطا الله حنا الناطق الرسمي باسم الكنيسة الأرثوذكسية في القدس والأراضي المقدسة، والذي حمل لواء الدفاع عن المسيحيين الأرثوذكس، والعمل على استعادة الحضور المسيحي في هذه البلاد، إضافة إلى مواقفه الوطنية ضد الاحتلال الإسرائيلي، أما البطريك ميشيل صباح، والذي تم اختياره عام 1988 ليتولى منصب بطريك اللاتين للمدينة المقدسة، أضفى هذا الاختيار حضوراً أكثر وضوحاً على البطريكية اللاتينية منذ بداية التسعينيات، فالبطريك صباح عربي عاش، وشاهد المعاناة، والألم التي يتعرض لها أبناء الشعب الفلسطيني، ما جعله يتبنى مواقف داعمة للفلسطينيين والدفاع عن الحقوق الوطنية الفلسطينية⁽²⁾.

على أن موقف الكنائس المحلية بدأ بالتغير التدريجي خاصةً بعد تعريب بعض الكنائس، وظهر هذا التغير عندما اتخذت موقفاً مندداً بالممارسات القمعية التي تقوم بها قوات الاحتلال⁽³⁾، أما أسباب ضعف مواقف الكنيسة المحلية، فتعود إلى الانشقاقات التي تعرضت لها الكنيسة في الماضي نتيجة الخلافات حول القضايا اللاهوتية والذي استمر إلى يومنا هذا، فالكنيسة ما زالت تعيش حالة التشرذم والانقسام الطائفي بين الكنائس، مما يضعف التنسيق بينها، فضلاً عن التحدي الجديد الذي يؤثر على الكنيسة، وأتباع هذه الكنيسة، ويتمثل في المسيحية الصهيونية، والتي اتخذت مواقف تساند الصهيونية في اقتلاع الفلسطينيين من أرضهم مستعينة بآيات من الكتاب المقدس لتمرير مواقفها السياسية المناهضة للوجود الفلسطيني على هذه الأرض⁽⁴⁾.

على أن أهم الأسباب التي تجعل الكنيسة المحلية تتسم بالضعف، هو كون معظم رئاسات هذه الكنائس في فلسطين من الأجانب، وما زال بعضها قائماً بالفعل مثل رئاسة الكنيسة الأرثوذكسية (اليونان). لم تهتم هذه الرئاسات بشؤون، ومشاكل المسيحيين المحليين، وإنما جهدت بالسيطرة على مقدرات الكنيسة، وممتلكاتها، فضلاً عن استخدام لاهوت غربي لا يعبر عن هموم المسيحيين المحليين، ومشاكلهم أو محاولة علاجها، ما ساعد على تسرب الشعور بالاغتراب بين المواطن

(1) جريس سعد خوري، عرب مسيحيون أصالة.. حضور.. انفتاح، مرجع سابق، ص: 118.

(2) رؤوف أبو جابر، مرجع سابق، ص: 172، 173.

(3) ستيف بنیان، مرجع سابق، ص: 121.

(4) الحضور المسيحي في الأرض المقدسة، مرجع سابق، ص: 141.

المسيحي، ورؤاسته الروحية، وهذا أدى بدوره إلى تفريغ الكنيسة من مؤمنياها وهجرة أتباعها، لكن تعريب بعض رؤاسات الكنائس مثل الكنائس اللاتينية، واللوثرية، والأسقفية، كان سبباً في إعادة الحيوية لهذه الكنائس نتيجة اهتمامات رؤاساتها بالحضور المسيحي في الأراضي المقدسة⁽¹⁾. فالبطريك ميشيل صباح بطريك اللاتين السابق انتهج خطاباً وحدوياً، وكان دائماً يؤكد على الهوية العربية الفلسطينية للكنيسة المحلية مما أعاد الثقة بالنفس للمسيحيين الفلسطينيين⁽²⁾ وإذا ما استمر هذا الخطاب فانه سيقوي ارتباط المسيحي بالهوية العربية الفلسطينية.

وفي الوقت الذي تعتبر فيه الكنيسة المحلية من المؤسسات الوطنية، وهي مصدر اعتزاز لكل فلسطيني، فهي تتحمل بدورها كباقي الأطراف مسؤولية الحد من الهجرة المسيحية، كونها المتأثرة بالدرجة الأولى بالنتائج، والآثار التي تترتب على هذه الهجرة، وعليها أن تولي هذه المشكلة أهمية خاصة، وتقوم بكل الجهود الواجب اتخاذها، والتنسيق مع الأطراف الأخرى لوقف نزيف الهجرة الفلسطينية بشكل عام، والمسيحية بشكل خاص، وإلا تحولت الكنيسة إلى مجرد حجارة بدون بشر، وتصبح مجرد مزارات، وتحف معمارية.

(1) فريدريك هابر، مرجع سابق، ص: 252، 253.
(2) جريس سعد خوري، عرب مسيحيون أصالة.. حضور.. انفتاح، مرجع سابق، ص: 195.

المبحث السادس: أبعاد الهجرة المسيحية من فلسطين

يترتب على الهجرة أبعاداً تؤثر على مختلف مناحي الحياة. فالهجرة المسيحية من المشرق العربي عامة، وفلسطين خاصة تترك آثاراً سلبية على المجتمع لما لهؤلاء من اثر في النسيج الاجتماعي والتنوع الثقافي في المنطقة.

أولاً: الأبعاد الديمغرافية

شهدت ديمغرافية المسيحيين في فلسطين هبوطاً حاداً في أعدادهم خلال القرن العشرين لأسباب مختلفة، على أن حرب 1948م، وإقامة دولة إسرائيل كانت سبباً رئيساً في هذا الانخفاض، فقد هُجر ما بين 50 ألفاً إلى 60 ألفاً، أي ما يزيد عن ثلث السكان المسيحيين بقليل، ولم يبق داخل الأراضي المحتلة عام 1948م سوى 34 ألف مسيحي تقريباً⁽¹⁾. في حين بلغ عددهم عام 2003 حسب المكتب المركزي الإسرائيلي للإحصاء 115.7 مسيحي من أصل 6.900.000 مواطن إسرائيلي، و9% من نسبة السكان العرب الفلسطينيين⁽²⁾.

وأما الفترة ما بين 1967-1993، فشهدت الأراضي الفلسطينية (الضفة الغربية وقطاع غزة)، حركة نزوح واسعة طالقت مختلف أبناء الشعب الفلسطيني قدرت ب 338 فلسطيني، ومن هؤلاء 11 ألف مسيحي من أصل 50.000 مسيحي، أما حالياً فيصل عدد المهاجرين سنوياً 600 مسيحي⁽³⁾، ومن الإحصائيات السابقة يمكننا تخيل الوضع الديمغرافي للوجود المسيحي بعد عدة سنوات في ظل معدلات نمو سكاني مسيحي إن لم نقل منخفضة فهي ثابتة.

وفيما يتعلق بمدينة القدس وهي العاصمة الروحية للمسيحيين من كل الكنائس الشرقية، تشير الدراسات إلى تلاشي المسيحيين المقدسيين تدريجياً بسبب سياسية الاحتلال ضد الفلسطينيين، وقد قدر عدد المسيحيون في منطقة القدس وكانت تضم بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور عام 1945 بحوالي 46,130 مسيحي، وفي عام 2005 انخفض العدد في المناطق المذكورة إلى 32 ألف مسيحي منهم 22 ألف مسيحي في بيت لحم وبيت ساحور وبيت جالا، و 12 ألف مسيحي في

(1) برنارد سايبلا، " هجرة المسيحيين العرب " مجلة اللقاء، مرجع سابق، ص: 45، انظر فواد فرح، مرجع سابق، ص: 112، 113.

(2) السكان في فلسطين التاريخية، قناة الجزيرة، (نسخة الكترونية)، استرجعت بتاريخ 25 / 3 / 201
-f98f18626423 <http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/e8810bdb-e142-43ed-adc6>

(3) برنارد سايبلا، المرجع نفسه، ص: 46، ص: 48.

القدس حسب الإحصاء الإسرائيلي، منهم 2000 مسيحي من غير العرب، وإذا طبقت نسبة النمو الطبيعي في الأربعينات من القرن العشرين للمسيحيين بنحو 2%، فإن التعداد السكاني في المناطق المذكورة كان سيتضاعف إلى 137,400 مسيحي عام 2007 بدون حدوث أية هجرة.

وأما باقي مناطق الضفة الغربية فالتقديرات تشير عام 2007 إلى انخفاض أعداد المسيحيين ، ففي أريحا يوجد بها حالياً (عام 2007) ما يقرب من 450 مسيحي، في حين قُدّر عدد المسيحيين في رام الله والقرى المجاورة وهي عابود، وعين عريك، وجفنا، والطيبة، وبلدة بيرزيت عام 2007 بحوالي 12,950 مسيحي، وإذا طبقت معادلة النمو الطبيعي المستخدمة وهي 2% فكان من المفترض أن يصل عدد المواطنين المسيحيين إلى 25,230 مسيحي، كما تشير التقديرات في نابلس إلى وجود ما يقرب من 1000 مسيحي يعيشون في ضاحية رفيديا، وفي بلدة الزبادة قضاء جنين يوجد ما يقرب من 2000 مسيحي، وإذا طبقت معادلة النمو الطبيعي فكان من المفترض يصل عدد المسيحيين في الزبادة إلى 3,630 مسيحي عام 2007، وأما قطاع غزة فيقدر عدد المسيحيين حالياً بـ 2500 - 3000 مسيحي⁽¹⁾.

وبالنسبة لمدينة بيت لحم مدينة السيد المسيح، وحسب دراسة لوليد مصطفى* حول بيت لحم عشية عام 2000، جاء فيها "أن المدينة تعرضت لتغيرات ديمغرافية كبيرة منذ النكبة عام 1948، ففي عام 1946 شكل مسيحيو بيت لحم أغلبية سكانية، حيث قُدّر عددهم بحوالي 6490 نسمة؛ من مجموع السكان البالغ عددهم 9140 نسمة، وبحلول عام 1952 شكل مسيحيو المدينة 5785 نسمة، من إجمالي سكان المدينة البالغ 19,155 نسمة، أي تحولوا من أغلبية إلى أقلية، ولعبت الهجرة إلى الأمريكيتين دوراً رئيساً في انخفاض أعداد المسيحيين في المدينة"⁽²⁾، وقد قُدّر عدد المسيحيين المغتربين بين أبنائها بحوالي 100 ألف مسيحي، ويتركز المهاجرون الفلسطينيون بأعداد كبيرة في أمريكا اللاتينية، حيث تضم أكبر جالية فلسطينية، وتصل حسب بعض المصادر إلى نصف مليون نسمة يشكل المسيحيون 80% منهم، وحسب الإحصاءات فإن أكبر الجاليات الفلسطينية عدداً توجد في التشيلي، حيث يتواجد فيها 350 ألف مسيحي فلسطيني⁽³⁾.

(1) برنارد سابيللا، "الفلسطينيون المسيحيون: تطورات ديمغرافية تاريخية، السياسات الحالية والمواقف تجاه الكنيسة، المجتمع وحقوق الإنسان"، مرجع سابق، ص: 39، 40، 41، 42.
* وليد مصطفى، محاضر في جامعة بيت لحم.
(2) عدنان أيوب مسلم، السياق التاريخي لمشاكل القطاع السياحي وإدارته في بيت لحم، (نسخة الكترونية)، مرجع سابق.
(3) فيوليت الراهب، مؤتمر الحضور المسيحي في فلسطين والشتات: إحصائيات، تحديات، آفاق، (نسخة الكترونية)، استخرجت بتاريخ 2014 / 7 / 7

وتشكل الهجرة أهم أسباب انخفاض أعداد المسيحيين في الأراضي الفلسطينية؛ حيث تشير التقديرات إلى أن أعداد المسيحيين الفلسطينيين وصلت في عام 2007 إلى 110,000 مسيحي في أراضي عام 1948 (إسرائيل)، و 50,000 مسيحي يتواجدون في أراضي السلطة الوطنية الفلسطينية بما فيها القدس الشرقية، في حين يتواجد ما بين 240,000 - 500,000 مسيحي خارج فلسطين، أي أن أكثر من ثلثي مسيحيي فلسطين يعيشون خارج وطنهم⁽¹⁾، ويبدو وأما السبب الثاني لهذا الانخفاض فيعود إلى انخفاض معدل الولادات لدى الأسر المسيحية.

وتظهر الأرقام الواردة في الدراسة حجم وفداحة تأثير الهجرة على الأوضاع الديمغرافية للمسيحيين في الأرض المقدسة، ومما لا شك فيه أنّ قرار الهجرة هو قرار فردي، لكنه ما يلبث أن يتحول إلى هجرة جماعية، فكل مهاجر يستدعي أفراد عائلته وأصدقائه، وأحياناً أبناء بلدته لمساعدته في أعماله، خاصة أصحاب المهن الحرة، وهجرة الفرد تضعف البقية الباقية الذين يتحولون مع مرور الوقت إلى أقلية تفضل الهجرة على البقاء.

ثانياً: أبعاد الهجرة دينياً

شهدت فلسطين نشوء أول جماعة مسيحية في العالم، وأصبحت كنيسة القدس أم الكنائس، كما لعب موقع فلسطين، وأهميتها الدينية دوراً في نشوء صراعات عليها على مر الزمن، وكان على المسيحي في الأرض المقدسة أن يواجه نوعين من المغتصبين، الأول ويتمثل في قوى الاستعمار الغربي وآخرها الحركة الصهيونية، والثاني هو سيطرة رجال دين أجنبي على الكنيسة المحلية في فلسطين، وخاصةً الكنيسة الأرثوذكسية، واستغلال هؤلاء مقدرات الكنيسة من أموال، وأراضي، وكان على المواطن المسيحي أن يواجه هذان التحديان، وقد نجح في التحدي الأول فلم يتأخر في الانضمام لحركة المقاومة الفلسطينية منذ بداية القرن العشرين، وحتى الآن، أما التحدي الثاني، وفي ظل معدلات الهجرة الحالية فإن القيادات الروحية المسيحية لن تستطيع الاستمرار في مواجهة هذا التحدي، لان الهجرة تستنزف الوجود المسيحي، ولن يبقَ في الوطن سوى جماعات قليلة هامشية مسنة غير قادرة على حمل هذا العبء⁽²⁾.

(1) برنارد ساببلا، "الفلسطينيون المسيحيون: تطورات ديمغرافية تاريخية، السياسات الحالية والمواقف تجاه الكنيسة، المجتمع وحقوق الإنسان"، مرجع سابق، ص: 44

(2) رفيق خوري، "الأبعاد الدينية والكنيسة لهجرة المسيحيين"، الهجرة، مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة، الدورة الرابعة، (القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 1991)، ص: 178، 179، 180.

وتواجه الكنيسة المحلية حالياً تحدياً جديداً، يتمثل في الصهيونية المسيحية، والتي تساند إسرائيل وتدعم مواقفها السياسية، هذا التيار الجديد المدعوم من قوى متنفذة في الغرب لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم مفاهيم دينية، وآيات من الكتاب المقدس لتبرير مواقفها من دعم إسرائيل⁽¹⁾، ولا شك أن الصهيونية المسيحية تؤثر سلباً على الوجود المسيحي في الأراضي الفلسطينية، والمشرق بمواقفها المنحازة لإسرائيل، فكثير من المواطنين قد لا يفرقون بين المسيحي المحلي الوطني المتبني لقضايا وطنه وأمته، وبين المسيحي الصهيوني الرافض للوجود الفلسطيني في هذه الأرض، ما قد يترتب عليه سوء الظن بالمسيحي المحلي، وتحمله مسؤولية مواقف هذا التيار العدواني فيبدأ يتسرب إلى المسيحي المحلي الشعور بالغيرة يدفعه إلى الهجرة.

إن هجرة المسيحي المحلي للخارج سوف تؤدي لخسارة المنطقة جماعة دينية مهمة شكلت جزءاً من حضارة هذه الأمة، وسوف تصبح الكنائس مجرد حجارة بلا بشر، وبلد المسيح ستخلو من المسيحيين.

ثالثاً: الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية

رغم ما تحمله الهجرة الخارجية للأفراد من إيجابيات خاصة على المستوى الاقتصادي؛ بسبب التحويلات المادية التي يرسلها هؤلاء إلى ذويهم إلا أن الآثار السلبية تفوق تلك الحسنات.

شهدت الأراضي الفلسطينية موجة هجرة جديدة لأبنائها بعد عام 1967م، والتي كان دافعها فضلاً عن تردي الأوضاع السياسية، والأمنية أسباباً اقتصادية، ويظهر ذلك جلياً في نسبة الذكور المهاجرين، والتي بلغت 72% من إجمالي عدد المهاجرين، وكان أغلبها إما إلى الدول النفطية، أو إلى الولايات المتحدة⁽²⁾، وتركت هذه الهجرة تداعيات سلبية على أعداد القوى العاملة التي شهدت انخفاضاً كبيراً خاصة هجرة ذوي المهارات، والكفاءات العلمية ما يؤثر على برامج التنمية؛ لأنها تعني انتقال رأس المال البشري المؤهل والاستقرار في موطن آخر، وما يزيد الأمر خطورة قرار أغلبية هذه الكفاءات عدم العودة إلى الوطن، والتي لو عادت ستفيد الفلسطينيين في دفع عجلة التنمية خاصة أن هذه الكفاءات تكون قد حصلت على الخبرة، والمهارات اللازمة لإحداث هذه التنمية، وبذلك تتحول هذه الخسارة إلى كارثة اقتصادية يتحملها البلد الأصلي⁽³⁾.

(1) جونثان كتاب، "رسالة الكنيسة المحلية والتحديات السياسية"، مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة، الدورة السابعة، (القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 22-24 تموز، 1994)، ص: 94.

(2) سمير حزبون، "الأبعاد الاقتصادية لهجرة المسيحيين الفلسطينيين"، الهجرة، مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة، الدورة الرابعة، (القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 1991)، ص: 186.

(3) فؤاد فرح، مرجع سابق، ص: 167.

وعلى الصعيد الثقافي، فإن التناقص الكبير في أعداد المسيحيين سواءً في المشرق العربي، أو فلسطين سيترك بصماته على النسيج الاجتماعي لهذه الأمة، فالمسيحيون شكلوا منذ ألفي عام جزءاً مهماً في التركيبة الاجتماعية، والثقافية في المجتمع العربي، فقد عمل هؤلاء على إحياء الفكر العربي منذ منتصف القرن التاسع عشر من خلال المؤسسات المختلفة التي أسسوها، وخاصة المدارس والجامعات والتي خدمت أبناء الأمة دون النظر إلى طائفته أو ديانته⁽¹⁾، وشكلوا حلقة الوصل بين الشرق والغرب.

وشكل تراجع الدور الثقافي للمسيحيين في الربع الأخير من القرن العشرين سواءً في المجال العام، أم داخل الطائفة التي ينتمي إليها دافعاً للهجرة، التي إذا ما استمرت ستترك أثراً سلبياً على التنوع الثقافي في المنطقة وفلسطين.

وأما على الصعيد الاجتماعي، فإن الهجرة ستؤثر على التركيبة السكانية لهذه الجماعة خاصة أن أغلبية المهاجرين هم من الشباب الذكور ما يترك أثره على التركيب العمري للفئة الباقية، حيث ستبقى الفئة الأكبر سناً في البلاد مما يؤثر على نشاطات، وفعالية الجماعة المسيحية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فتؤثر الهجرة على التركيب النوعي فستزداد أعداد النساء مقارنة بأعداد الذكور⁽²⁾، ولقد أشارت بعض الدراسات التي أجريت عام 1988 م أن نسبة العزباوات فوق سن الخامسة والثلاثين لدى المسيحيات تبلغ 16%، أما في مدينة القدس فإن نسبة الفتيات العزباوات المسيحيات هي 100 عزباء مقابل 83 أعزب⁽³⁾.

(1) حاتم خوري، دور المسيحيين العرب، مجلة اللقاء، السنة السابعة عشرة، العدد الثالث والرابع، 2002، ص: 65.

(2) برنارد سابيل، "هجرة المسيحيين العرب"، مجلة اللقاء، مرجع سابق، ص: 49.

(3) فؤاد فرح، مرجع سابق، ص: 173.

الاستنتاجات والتوصيات

ولدت المسيحية في فلسطين، وانطلقت من القدس إلى العالم بعد احتضان المشرق العربي لها، وبقيت حاضرة فيه منذ عشرين قرناً، غير أن هذا الحضور بدأ يتراجع ويخبو وهجه في الخمسين سنة الأخيرة، ما دفع مئات آلاف المسيحيين المشرقيين للهجرة إلى الخارج.

برزت ظاهرة هجرة المسيحيين العرب من المشرق العربي في النصف الثاني من القرن التاسع واستمرت طوال القرن العشرين، وقد انقسمت إلى موجتين هامتين. بدأت الموجة الأولى في النصف الثاني القرن التاسع عشر واستمرت حتى بداية القرن العشرين، كهجرة ذكور كان روادها الشبان المسيحيين ممن اتصلوا بالغرب عن طريق الإرساليات التبشيرية، ثم تحولت بعد الحرب العالمية الأولى إلى هجرة عائلات بأكملها، تبعها أبناء القرية. بفعل الأزمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والطائفية وانعكاساتها على مختلف نواحي الحياة، فالزيادة السكانية الكبيرة مقابل محدودية الموارد، أدت إلى تدني مستوى المعيشة، والحروب التي خاضتها الدولة العثمانية ولاسيما الحرب العالمية الأولى، وسياسة الاستبداد التي اتبعتها الدولة العثمانية ومقدمتها ملاحقة المثقفين العرب، وفرض التجنيد الإجباري على المسيحيين لأول مرة في التاريخ الإسلامي، إضافة إلى الفتنة الطائفية عام 1860، أدى إلى تكريس حالة من عدم الاستقرار السياسي، الأمر الذي دفع المسيحيين لطرق أبواب الهجرة صوب الأمريكيتين، وبشكل خاص أمريكا اللاتينية، والتي مثلت بيئة جاذبة لهم نتيجة توفر فرص العمل، وانتشار الحريات فيها، وتمتعها باستقرار سياسي.

ورغم أن الدوافع الرئيسة للهجرة المسيحية تعود إلى دوافع سياسية، واقتصادية، إلا أن الدافع الطائفي شكل عامل طرد مهم للمسيحيين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

واستمر نزيف الهجرة في النصف الثاني من القرن العشرين، فبدأت الموجة الثانية، والتي أخذت شكل النزيف الجماعي، مما يشكل خطراً على الوجود المسيحي في المشرق العربي. ويعود سببها إلى عدم الاستقرار السياسي الناجم عن تأسيس دولة إسرائيل على جزء من الأراضي الفلسطينية، واحتلالها للأراضي العربية (هضبة الجولان، صحراء سيناء، جنوب لبنان، الضفة الغربية وقطاع غزة)، بعد حرب عام 1967، واندلاع حروب إقليمية، وأهلية، كالحروب العراقية، (حرب العراق مع إيران، وحرب الخليج الثانية سنة 1991، ثم حرب الخليج الثالثة سنة 2003 التي قادتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد العراق)، أما الحروب الأهلية، فكان أقساها في لبنان حيث استمرت الحرب

الأهلية فيها خمس عشر عاما (1975-1990)، نتج عنها إضافةً إلى مقتل عشرات الآلاف من الأبرياء، شهدت لبنان هجرة مسيحية واسعة.

وأما الدافع الثاني للهجرة العربية المسيحية، فتمثل في تراجع الأوضاع الاقتصادية، وبشكل خاص في العقود الثلاث الأخيرة من القرن العشرين، حيث انتشر الفساد المالي والإداري، والمحسوبية، والبطالة، وتدني مستوى المعيشة، وتآكل حجم الطبقة الوسطى والتي ينتمي لها معظم المسيحيين العرب. كما ساهم غياب الديمقراطية، وسياسة التهميش التي عانى منها المسيحيون في بعض الدول العربية في إضعاف حضورهم، وخلق لديهم شعور بالغرابة وعدم الانتماء للهوية العربية، الأمر الذي دفعهم للبحث عن حياة أفضل في مكان آخر. في المقابل شكلت الدول المستقبلية (أوروبا والأمريكتين) بيئة جاذبة لهم، حيث يتوفر الأمن والاستقرار والازدهار الاقتصادي والحريات، إلى جانب توفر شبكات الأمان من الأهل والأصدقاء والكنائس والتي تجعل تجربة الهجرة ناجحة لديهم.

وفيما يتعلق بدوافع الهجرة المسيحية من فلسطين في القرن التاسع عشر، فكانت نتيجة الأزمات الاقتصادية بشكل رئيس، تلتها الأزمات السياسية المتمثلة بحالة عدم الاستقرار السياسي وبشكل خاص خلال الحرب العالمية الأولى، وسياسة التجنيد الإجباري، فمثلت هذه الهجرة الموجة الأولى. على أن موجات الهجرة الفلسطينية توالى خلال القرن العشرين، (ومنها الهجرة المسيحية)، وحدثت بفعل الوضع السياسي المتأزم منذ بداية الانتداب البريطاني وحتى نهاية القرن العشرين، وتعد هجرة الفلسطينيين عام 1948 أكبر موجات الهجرة، بسبب عمليات القتل والطرده التي قامت بها المنظمات الصهيونية وعلى رأسها منظمة الهاغاناة، والتي دفعت مئات آلاف الفلسطينيين للهجرة كان من بينهم 50 ألف - 60 ألف مسيحي من أصل 90 ألف مسيحي، وقد أخذت الهجرة في هذه المرحلة شكل الهجرة القسرية.

وأما الهجرة المسيحية في الفترة ما بين 1967-2000، فجاءت الدوافع الاقتصادية كسبب رئيس للهجرة في هذه المرحلة، وهو عامل مرتبط بشكل أساسي بالاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، والذي استمر في سياسته القمعية تجاه الفلسطينيين، فضيق عليهم اقتصادياً من خلال الاستمرار في مصادرة الأراضي، وإغلاق الضفة الغربية وقطاع غزة لفترات طويلة، وإقامة الحواجز العسكرية بين المدن الأمر الذي أعاق حركة السكان، وإقامة جدار الضم الذي فصل سكان الضفة الغربية عن مدينة القدس، وحرّم البعض من الوصول إلى أراضيهم، ففقد كثير من الفلسطينيين مصدر رزقهم.

وجاءت الأوضاع السياسية كدافع ثان للهجرة، ففشل عملية السلام بين الفلسطينيين وإسرائيل، واستمرار الاعتداءات الإسرائيلية وخاصة في الانتفاضة الثانية عام 2000، أدت إلى انتشار حالة

من اليأس والإحباط بين الفلسطينيين، وعليه فنزيف الهجرة سيبقى مستمراً طالما بقي الاحتلال، وأول خطوة لوقف هذا النزيف هو إنهاء الاحتلال، وعلى المجتمع الدولي تقع المسؤولية الأولى في إنهاء هذا الوضع.

وأما الدوافع الأخرى للهجرة فكانت الرغبة في إكمال الدراسة، والتحاق بالعائلة، ولكنها كانت وراء هجرة أعداد ضئيلة من المسيحيين. وفيما يتعلق بالخطاب الديني الإسلامي كدافع للهجرة، فقد أوضحت معظم الدراسات وكذلك الباحثين المختصين بموضوع الهجرة المسيحية، أنه سبب غير رئيس للهجرة.

كما توصلت الدراسة إلى أن الهجرة المسيحية تترك نتائج سلبية على فلسطين كبلد مرسل للمهاجرين، ويتمثل ذلك في خسارة مكون ثقافي مهم من مكونات الشعب الفلسطيني إذا استمرت الهجرة. أما مسيحياً فإن الهجرة ستؤثر على التركيبة السكانية لهذه الجماعة خاصة أن أغلبية المهاجرين هم من الشباب الذكور ما يترك أثره على التركيب العمري للفئة الباقية، حيث ستبقى الفئة الأكبر سناً في البلاد مما يؤثر على نشاطات، وفعالية الجماعة المسيحية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فتؤثر الهجرة على التركيب النوعي فستزداد أعداد النساء مقارنة بأعداد الذكور، ولقد أشارت بعض الدراسات التي أجريت عام 1988 م أن نسبة العزباوات فوق سن الخامسة والثلاثين لدى المسيحيات تبلغ 16%، أما في مدينة القدس فان نسبة الفتيات العزباوات المسيحيات هي 100 عزباء مقابل 83 أعزب.

ومن هنا توصي الدراسة بضرورة العمل على تطوير بيئة مواتية اقتصادية، وثقافية، واجتماعية للحد من ظاهرة الهجرة المسيحية. كما يجب التأكيد على الهوية العربية للكنيسة وللمسيحيين المحليين، من خلال التربية في البيت، والمدرسة والجامعة، ومناهج التعليم، ووسائل الإعلام، مما يؤدي إلى انتقاء الشعور بالعزلة، والقلق والخوف، ويقلل الرغبة لدى المسيحيين بالهجرة. وأيضاً لا بد من عمل المزيد من الدراسات والأبحاث، والتي تناقش ظاهرة الهجرة المسيحية من فلسطين، وكيفية الحد منها.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية

أ- القرآن الكريم

ب- الكتب

- أبراهام، سمير، نبيل أبراهام، العرب في أمريكا، دراسات عن الجاليات العربية الأمريكية، ترجمة سنية إجلالي، (القاهرة: مؤسسة سجل العرب، 1985).
- إبراهيم، محمد أعبيد الزنتاني، الهجرة غير الشرعية والمشكلات الاجتماعية، (الإسكندرية: المكتب العربي الحديث، 2008).
- أبو جابر، رؤوف، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ط1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004).
- أبو الروس، إيليا، اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية، ط1، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1993).
- أبو شكر، عبد الفتاح، الهجرة الخارجية من الضفة الغربية وقطاع غزة وآثارها الاقتصادية والاجتماعية، (القدس: الملتقى الفكري العربي، تموز، 1990).
- أبو غيانة، فتحي محمد، جغرافية السكان أسس وتطبيقات، ط5، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2000).
- إكمير، عبد الواحد، العرب في الأرجنتين النشوء والتطور، ط1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000).
- انطونيوس، جورج، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة ناصر الدين الأسد، إحسان عباس، ط2، (بيروت: دار العلم للملايين، 1966).
- اورفلي، غريغوري، تاريخ الأمريكيين ذوي أصول عربية، ترجمة سعيد الحسنية، ط1، (بيروت: الدار العربية للعلوم - ناشرون، 2006).

- باييه، إيلان، **التطهير العرقي في فلسطين**، ترجمة أحمد خليفة، ط 1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2007).
- البديري، موسى، وآخرون، **المجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة**، تحرير ليزا تراكي، (عكا، دار الأسوار، 1990).
- البرغوثي، إياد، **الأسلمة والسياسة في الأراضي الفلسطينية المحتلة**، ط 1، (القدس: مركز الزهراء للدراسات والأبحاث، 1990).
- بودجي، الأب فينسزو، "المسيحية خلال العصر العثماني الثاني"، **المسيحية عبر تاريخها في المشرق**، تحرير حبيب بدر، سعاد سليم، جوزيف أبو نهر، ط 2، (بيروت: مجلس كنائس الشرق الأوسط، والعديد من كنائس المنطقة وبعض المؤسسات الثقافية المحلية والإقليمية والدولية، 2000).
- تروبو، جيرار، "المسيحية في العقود الإسلامية الأولى"، **المسيحية عبر تاريخها في المشرق**، تحرير حبيب بدر، سعاد سليم، جوزيف أبو نهر، ط 2، (بيروت: مجلس كنائس الشرق الأوسط، والعديد من كنائس المنطقة وبعض المؤسسات الثقافية المحلية والإقليمية والدولية، 2000).
- جراح، ناجح، **الهجرة القسرية الفلسطينية**، ترجمة سمير محمود، ط 1، (نابلس: جامعة النجاح الوطنية، 1995).
- جلبلي، علي عبد الرازق، **علم اجتماع السكان**، ط 1، (عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2011).
- حتي، فيليب، وآخرون، **تاريخ العرب (مطول)**، الجزء الأول، ط 3، (بيروت: دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، 1958).
- حتي، فيليب، وآخرون، **تاريخ العرب (مطول)**، الجزء 3، ط 2، (بيروت: دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، 1953).
- حزبون، نصري بشارة جريس، **بيت لحم تاريخ وتراث**، ط 1، (بيت لحم: مركز وئام لحل النزاعات، 2008).

- الحزماوي، محمد، ملكية الأراضي في فلسطين 1918 - 1948، (عكا، مؤسسة الأسوار، 1998).
- حسين، حماد، مجموعة وثائق تاريخ فلسطين السياسي والاقتصادي والتعليمي خلال فترة الانتداب البريطاني 1909 - 1939، ط 1، (جنين: المركز الفلسطيني للثقافة والإعلام، 2003).
- الحضور المسيحي في الأرض المقدسة، تحرير نعيم عتيق، سيدر دعبس، (القدس: منشورات مركز السبيل المسكوني للاهوت التحرر، 2008)
- حيان، إبراهيم، وآخرون، العرب في أمريكا صراع الغربة والاندماج، تحرير ميخائيل وديع سليمان، ط 1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2003).
- الخالدي، وليد، كي لا ننسى، ترجمة حسني زينة، ط 1، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1997).
- الخصائص الديمغرافية للشعب العربي الفلسطيني، ط 1، (بيروت: المعهد العربي للتدريب والبحوث الإحصائية، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، 1985).
- خوري، جريس سعد، عرب مسيحيون أصالة.. حضور.. انفتاح، (القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 2006).
- خوري، يوسف ق.، الصحافة العربية في فلسطين 1876 - 1948، ط 2، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين لفلسطينيين، 1986).
- الراهب، متري، الربيع العربي ومسيحيو الشرق الأوسط، ط 1، (بيت لحم، ديار للنشر، 2012).
- ربايع، احمد، دراسات في نظرية الهجرة ومشكلاتها الاجتماعية والثقافية، ط 1، (عمان: منشورات دائرة الثقافة والفنون، 1984).
- رداوي، ماجد، مصطفى طلاس، الهجرة العربية إلى البرازيل، 1870 - 1986، ط 1، (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1989).

- زايد، محمود، الاتحادات والجمعيات والروابط والمطابع والأندية ومؤسسات البحوث الفلسطينية ومراكزها، الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصة، دراسات الحضارة، القسم 2، المجلد 3، ط1، (بيروت: 1991).
- سحاب، فيكتور، من يحمي المسيحيين العرب، ط 1، (بيروت: دار الوحدة للطباعة والنشر، 1981).
- سلامة، أديب نجيب، الإنجيليون والعمل القومي، دراسة توثيقية، ط 1، (القاهرة: دار الثقافة، 1993).
- سمور، جورج كارلوس جادالله، بيت لحم عبر التاريخ، ط 1، (بيت لحم: مركز وئام لحل النزاعات، 2007).
- السيد، السيد عبد المعطي، علم اجتماع السكان، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1999).
- شابري، لورانت، آني شابري، سياسات وأقليات في الشرق الأدنى الأسباب المؤدية للانفجار، ترجمة ذوقان قرقوط، ط1، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991).
- شاهين، جيروم، "المسيحيون والنهضة العربية"، المسيحية عبر تاريخها في المشرق، تحرير حبيب بدر، سعاد سليم، جوزيف أبو نهر، ط 2، (بيروت: مجلس كنائس الشرق الأوسط، والعديد من كنائس المنطقة وبعض المؤسسات الثقافية المحلية والإقليمية والدولية، 2000).
- شميث، بامبلا آن، فلسطين والفلسطينيون 1876 - 1983، ب.ط، (ب. د، ب. ت).
- شهيد، عرفان، "المسيحية قبل ظهور الإسلام"، المسيحية عبر تاريخها في المشرق، تحرير حبيب بدر، سعاد سليم، جوزيف أبو نهر، ط 2، (مجلس كنائس الشرق الأوسط والعديد من كنائس المنطقة وبعض المؤسسات الثقافية المحلية والإقليمية والدولية، 2002).
- شوكة، خليل، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني 1517-1917، وثائق تاريخية، (الرباط، دن، 2000).
- شولش، الكزاندر، تحولات جذرية في فلسطين 1856 - 1882، دراسات حول التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، ترجمة كامل جميل العسلي، ط 2، (عمان: الجامعة الأردنية، منشورات عمادة البحث العلمي، 1993).

- صالح، حسن عبد القادر، الأوضاع الديمغرافية للشعب الفلسطيني، الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصة، الدراسات الجغرافية، المجلد 1، ط 1، (بيروت: 1990).
- صباح، ميشيل، "الفكر المسيحي"، الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصة، دراسات الحضارة، القسم 2، المجلد 3، ط 1، (بيروت: 1990).
- ضاهر، مسعود، هجرة الشوام - الهجرة اللبنانية إلى مصر، ط 1، (القاهرة: دار الشروق، 2009).
- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، المجلد 2، الجزء 4، ط 1، (بيروت: المطبعة الحسينية المصرية، ب. ت).
- طنوس، عزت، الفلسطينيون - ماضٍ مجيد ومستقبل باهر، الجزء 1، ط 1، (بيروت: مركز الأبحاث - م. ت. ف، 1982).
- عاقل، نبيه، تاريخ خلافة بني أمية، الجزء 2، ط 3، (بيروت: دار الفكر، 1975).
- عبده، سمير، المسيحيون العرب... إلى أين - وجهة نظر، ط 1، (بيروت: منتدى المعارف، 2012).
- عدوي، جمال نايف، الهجرة الفلسطينية إلى أمريكا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1945، ط 1، (الناصرة: المطبعة الشعبية بيت الصداقة، 1993).
- العسلي، كامل، التعليم في فلسطين من الفتح الإسلامي وحتى بداية العصر الحديث، الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصة، دراسات الحضارة، القسم 2، المجلد 3، ط 1، (بيروت: 1991).
- العصافرة، نضال محمد، الشباب العربي في المهجر، ط 1، (عمان: منتدى الفكر العربي، 2008).
- عقل، محمد، وثائق محلية من فلسطين العثمانية ودراسات توثيقية، ط 1، (كفر قرع: دار الهدى للطباعة والنشر، 2005).
- العودات، حسين، العرب النصاري، عرض تاريخي، ط 1، (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، نيسان، 1992).
- غانم، عبد الله عبد الغني، المهاجرون، دراسة سوسيو انثربولوجية، الطبعة 2، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2002).

- غنادري، سميح، المهد العربي: المسيحية المشرقية على مدى ألفي عام، ط2، (الناصره: إصدار 30 آذار للنشر، آب، 2009).
- فرح، فؤاد، الحجارة الحية المسيحيون العرب في الديار المقدسة، ط 1، (الناصره: الحكيم للطباعة والنشر م. ص، 2003).
- قاشا، الأب سهيل، صفحات من تاريخ المسيحيين العرب قبل الإسلام، ط1، (بيروت: منشورات المكتبة البوليسية، 2005).
- القضاة، احمد، حامد إبراهيم، نصارى القدس: دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، ط1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، أيلول/ سبتمبر، 2007).
- قنواطي، جورج شحاته، المسيحية والحضارة العربية، ط 2، (القاهرة: دار الثقافة، 1992).
- كفاح شعب فلسطين ومسيرة حركته الوطنية 1882-1965، ط1، (عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، 2006).
- الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، ط 10، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990).
- الكيخيا، منصور محمد، جغرافية السكان أسسها ووسائلها، ط1، (بنغازي: جامعة قار يونس، 2003).
- متري، طارق، سطور مستقيمة بأحرف متعرجة عن المسيحيين الشرقيين والعلاقات بين المسيحيين والمسلمين، ط2، (بيروت: مركز الدراسات المسيحية الإسلامية، 2008).
- مجموعة مؤلفين، أكذوبة اضطهاد المسيحيين من قبل السلطة الفلسطينية، ط 1، (القدس: الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة، 1998).
- مجموعة مؤلفين، الجاليات العربية في أمريكا اللاتينية- دراسة حالات- المكسيك- التشيلي- البرازيل- البيرو- البارغواي- الأرجنتين، ترجمة عبد الواحد إكمير، ط 1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006).
- مجموعة مؤلفين، المجتمع الفلسطيني في غزة والضفة الغربية والقدس العربية- بحث في الأوضاع الحياتية، ط 1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1994).

- مجموعة مؤلفين، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، تحرير محمد اشتية، (البيرة: المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية، 2008).
- محافظة، علي، الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني 1918 - 1948، ط1، (عمان: مركز الكتب الأردني، 1989).
- مسلم، عدنان أيوب، صفحات مطوية من تاريخ فلسطين المحلي في القرن العشرين (تطورات سياسية واجتماعية وصحفية وفكرية في مدينة بيت لحم في العهد البريطاني 1917-1918)، ط1، (بيت لحم: مركز وثام الفلسطيني لحل النزاعات، 2002).
- مناع، عادل، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 - 1918: قراءة جديدة، ط1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999).
- موسى، منير، الفكر العربي في العصر الحديث (سوريا، من القرن الثامن عشر حتى العام 1918)، ط1، (بيروت: دار الحقيقة للطباعة والنشر، 1973).
- نصار، وليم نجيب جورج، مفهوم الجرائم ضد الإنسانية في القانون الدولي، ط1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008).
- نصيرات، فدوى احمد محمود، المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام ومصر، (1840-1918)، ط1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009).
- هاير، فريدريك، تاريخ الكنيسة في الأرض المقدسة، ترجمة فهد أبو غزالة، ط1، (بيت لحم: مكتب الناشر للكمبيوتر، 1995).
- يحي، جلال، محمد نضر مهنا، مشكلات الأقليات في الوطن العربي، (الإسكندرية: دار المعارف، 1980).
- اليسوعي، سمير خليل سمير، دور المسيحيين الثقافي في العالم العربي، ط1، (بيروت: دار الشروق 2004).

دوريات

- حسين، حماد ، هجرة الفلسطينيين للولايات المتحدة ونشاطهم السياسي والإعلامي والاقتصادي هناك في العشرينات من هذا القرن، المجلة الفلسطينية للدراسات التاريخية، المجلد الأول، العدد الثالث، (رام الله، الجمعية الفلسطينية للدراسات التاريخية، كانون الثاني، 2003).

- خضر، الأب جمال، "دور الكنيسة المحلية في القضية الفلسطينية بعد حرب 1967م وتداعيات هذه الحرب على العلاقات الإسلامية والمسيحية"، مجلة اللقاء، السنة الثانية والعشرون، العدد الرابع، 2007.
- خوري، جريس سعد، "تداعيات حرب 1967 على العلاقات الإسلامية والمسيحية في فلسطين"، مجلة اللقاء، السنة الثانية والعشرون، العدد الرابع، 2007.
- خوري، حاتم، "دور المسيحيين العرب"، مجلة اللقاء، السنة السابعة عشرة، العدد الثالث والرابع، 2002.
- ساببلا، برنارد، "هجرة المسيحيين العرب"، مجلة اللقاء، السنة السابعة عشرة، العدد الثالث والرابع، 2002.
- سلمان، مايك جورج، "الهجرة وأثرها في انقراض العديد من العائلات البيتلحمية"، مجلة اللقاء، السنة الرابعة، العدد الأول، 1989.
- فرحات، محمد لطفي، "مسألة الهجرة وتقدم الوطن العربي"، مجلة الوحدة، السنة الأولى، العدد الثامن، أيار، 1985.
- قرق، جورج، الحضور المسيحي في الشرق والصراعات السياسية: الناحية الاقتصادية، مجلة اللقاء، السنة الثالثة والعشرون، العدد الثالث، 2008.
- مسلم، عدنان أيوب، "جذور الهجرة الفلسطينية إلى الأمريكتين"، مجلة بيت لحم، (بيت لحم، نشرة تصدرها الجمعية الانطوانية الخيرية البيتلحمية، 1993-1996).
- مسلم، عدنان أيوب، "دور العرب المسيحيين في صياغة الفكرة القومية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين"، مجلة اللقاء، السنة الثانية، العدد الرابع، 1993.
- منصور، جوني، "المسيحيون والقومية العربية"، مجلة اللقاء، السنة الحادية والعشرون، العدد الثالث والرابع، 2006.
- اليافي، عبد الكريم، الهجرات وتحركات السكان، مجلة عالم الفكر، المجلد الخامس، العدد الرابع، 1975.

مؤتمرات

- بنيان، ستيف، "النظرة المسيحية الغربية للوجود المسيحي العربي في فلسطين"، مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة، الدورة الخامسة، (القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 11-13 تموز، 1991).
- تماري، سليم، "أنماط الهجرة الفلسطينية ضمن أبعادها العالمية"، الهجرة، مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة، الدورة الرابعة، (القدس، مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 1991).
- حزبون، سمير، "الأبعاد الاقتصادية لهجرة المسيحيين الفلسطينيين"، الهجرة، مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة، الدورة الرابعة، (القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 1991).
- حساسيان، مناويل، "الدوافع السياسية والاقتصادية لهجرة العرب الفلسطينيين من فلسطين منذ عام النكبة 1948"، الهجرة، مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة، الدورة الرابعة، (القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 1991).
- حماية الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية في فلسطين، (وقائع المؤتمر الدولي الثاني)، (عمان: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم، 23-25 نوفمبر 2004).
- خوري، جريس سعد، مدخل إلى اليوم الدراسي، مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة، الدورة الخامسة، (القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 11-13 تموز، 1991).
- خوري، رفيق، "الأبعاد الدينية والكنيسة لهجرة المسيحيين"، الهجرة، مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة، الدورة الرابعة، (القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 1991).
- الراهب، متري، "المسيحيون الفلسطينيون بين القومية والأصولية"، مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة، الدورة الخامسة، (القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 11-13 تموز، 1991).

- سابيلا، برنارد، "دراسة للهجرة ما بين الفلسطينيين المسيحيين في مناطق القدس وبيت لحم، ورام الله"، الهجرة، مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة، الدورة الرابعة، القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، (1991).

- سابيلا، برنارد، "الفلسطينيون المسيحيون: تطورات ديمغرافية تاريخية، السياسات الحالية والمواقف تجاه الكنيسة، المجتمع وحقوق الإنسان"، مؤتمر السبيل الدولي السادس، 2006، القدس: مركز السبيل المسكوني للاهوت التحرر، (2008).

- كتاب، جونتان، "رسالة الكنيسة المحلية والتحديات السياسية"، مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة، الدورة السابعة، القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 22-24، تموز، 1994).

منشورات الكترونية:

- ألفي، أكرم، "تداعيات الربيع العربي وشبكات الأمان - الخروج الثالث للمسيحيين"، معهد العربية للدراسات، (نسخة الكترونية)، استرجعت بتاريخ 1 / 7 / 2014
studies.arabiya.net/ hot-issues

- تقرير الهجرة الدولية لعام 2002، (نسخة الكترونية)، استرجعت بتاريخ 20/11/2013.

<http://www.un.org/esa/population/publications/ittmig2002/ittmigrep2002arab.doc>

- الراهب، فيوليت، "مؤتمر الحضور المسيحي في فلسطين والشتات: إحصائيات، تحديات، آفاق"، (نسخة الكترونية)، استخرجت بتاريخ 7 / 7 / 2014

http://www.diyar.ps/index.php?option=com_content&view=article&id=501:-q-&catid=17:news&Itemid=67

- البطريرك صباح، ميشيل، "سراجنا"، نقلاً عن جريدة القدس، 24-4-2010 (نسخة الكترونية)، استرجعت بتاريخ 12/1/2014.

<http://www.sirajuna.com/EachArticle.aspx?aId=2000>

- عبيد، منى مكرم، "الأقباط والبحث عن تمثيل مناسب منذ عصر محمد علي "كوتا" لا بدّ أن يلحظها الدستور كما قرّر الدستور للمرأة والفلاحين 2 من 2 ب"، جريدة الحياة، الباب، قضايا، تاريخ النشر، 2 / 10 / 2011، رقم العدد، 17457، ص: 14، (نسخة الكترونية)، استرجعت بتاريخ 2 / 2 / 2014.

http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/Hayat INT/2011/1/2

- عزت، عائدة، "هجرة العقول العربية"، من منشورات وزارة الصناعة والتجارة المصرية، (نسخة إلكترونية)، استرجعت بتاريخ 2 / 2 / 2014.

<http://site.iugaza.edu.ps/aeholy/files/2010/02/>

- قناة الجزيرة، "السكان في فلسطين التاريخية"، (نسخة إلكترونية)، استرجعت بتاريخ 25 / 3 / 2013

<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/e8810bdb-e142-43ed-adc6-f98f18626423>

8- مجلة الفكر العربي، "الأدمغة العربية المهاجرة: خرج ولم يعد"، (نسخة إلكترونية)، استرجعت بتاريخ، 20 / 11 / 2013.

<http://arabthought.org>

9- مسلم، عدنان أيوب، "السياق التاريخي والسياسي لمشاكل القطاع السياحي وإدارته في مدينة بيت لحم"، (نسخة إلكترونية)، استرجعت بتاريخ 10 / 2 / 2014.

<http://bethlehem>

holyland.net/Adnan/bethlehem/Historical%20and%20Political%20context.htm

10- "مسودة الدستور الفلسطيني"، (نسخة إلكترونية)، استرجعت بتاريخ 11 / 11 / 2013.
<http://www.miftah.org/arabic/Docs/ConstitutionDraf>

11- نصرأوين، ليث كمال، "حماية حقوق الأقليات الدينية في ظل الربيع العربي"، منظمة العفو الدولية، المجلة الإلكترونية، العدد 19، (نسخة إلكترونية)، استرجعت بتاريخ 1 / 7 / 2014

www.amnestymena.org/ar/Magazine/Issue19/ProtectionofMinoritiesArabsPring.aspx?articleID=1082

مقابلات شخصية:

- مقابلة مع د. برنارد ساببلا، عضو المجلس التشريعي الفلسطيني، عبر الإنترنت، يوم الأربعاء، بتاريخ 23 / 7 / 2014.

- مقابلة مع د. جريس خوري، مدير مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، يوم الاثنين، بتاريخ 8 / 7 / 2014.

المراجع الأجنبية:

- James Finn, *Stirring Time*, 2vols.(London; C.K. Paul and Co,1878).
- Meyers Eytam, "theories of international immigration policy- a comparative analysis", *International Migration Review*, vol, 34, no, 4 Winter 2000.

United Nations, *The Departments at Population*, N, Y, 1973, P: 173

لمزيد من الاطلاع على مراجع أجنبية

Adnan Musallam, " In Search of stability and Opportunities: Early Palestinian Immigration to Latin America and Problem Encountered, Lecture given at California State University (Fresno) Mid – East Conference , 16 – 18 October 2008.

_____. *The Formative Stage – of Palestinian Arab Immigration to Latin America and Immigration' Quest for Return and for Palestinian Citizenship the Early 1920.*

_____. *Latin Americans with Palestinian Roots*, edited by Viola Rehab, Bethlehem, Diayar Publisher, 2012, pp. 15 – 24.

الملاحق

ملحق (1)

إعلان (ليفربول)

"نعلن لعموم أبناء الوطن المهاجرين إلى جميع الجهات وخصوصاً إلى أمريكا المتحدة (نيويورك ونواحيها) إننا نظراً لما رأيناه من كثرة الركاب المسافرين لتلك النواحي وتأخرهم عن السفر لغير داع، فتحنا محلاً لقبولهم وإعداد كل ما يلزم لراحتهم من التسهيلات الكافية لسفرهم لأي بلاد كانت. والذين مروا بنا من المهاجرين من ابتداء أشغالنا للآن والتسهيلات التي صادفوها مثلما يتعلق بأمر سفرهم كل ذلك يشهد لنا والحمد لله بأننا قد حصلنا على ثقة العموم فنلنا وكالات أعظم شركات هذه البلاد مثل " هويت ستارلين" و"هويت ستار دومنيون لين" و"اميركان لين" و"الين لين" و" رويال مايل باكت كومباني" وقد جعلنا انكالنا على الله فهو حسبنا"⁽¹⁾.

الياس روفائيل

(1) المصدر: جمال نايف عدوي، الهجرة الفلسطينية إلى أمريكا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1945، ط 1، (الناصر: المطبعة الشعبية بيت الصداقة، 1993)، ص: 84.

الملحق رقم (2)

بعض العائلات التي انقرضت في بيت لحم خلال القرن العشرين⁽¹⁾
بعض العائلات التي انقرضت في بيت لحم خلال الحكم العثماني

الرقم	اسم العائلة	اسم الحارة	آخر تسجيل لها في المدينة
1	قمنداري	تراجمة	1896
2	زيتون الأعمى	فراحية	1903
3	أبو جارور	حريزان	1911
4	صالح موسى	فراحية	1913
5	أبو فحيلة	تراجمة	1914
6	نقولي	فراحية	1914
7	أبو شقرة	فراحية	1914
8	الجدع	فراحية	1914

بعض المصادر تذكر أن آخر تسجيل لعائلة الجدع هو 1916.

العائلات التلحمية التي انقرضت خلال الانتداب البريطاني

الرقم	اسم العائلة	اسم الحارة	آخر تسجيل لها في المدينة
1	قياضه (موسى)	فراحية	1918
2	عويس	فراحية	1918
3	دعيبس	فراحية	1930
4	بركة	فراحية	1932
5	ظلماس	تراجمة	1933
6	الجددي	فراحية	1934
7	سمعان	تراجمة	1940
8	طارود	تراجمة	1943
9	بخيت	فراحية	1945
10	يونس	فراحية	1945
11	دكرت	فراحية	1945

(¹) جورج كارلوس جاد الله سمور، بيت لحم عبر التاريخ، مرجع سابق، ص: 61

العائلات التلحمية التي انقرضت خلال الحكم الأردني⁽¹⁾

الرقم	اسم العائلة	اسم الحارة	آخر تسجيل لها في المدينة
1	الزميري	تراجمة	1950
2	حريزي	تراجمة	1950
3	أبو العراج	تراجمة	1960
4	داود	تراجمة	1967
5	ميلادة	فراحية	1967

العائلات التلحمية التي انقرضت فترة الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة

الرقم	اسم العائلة	اسم الحارة	آخر تسجيل لها في المدينة
1	دويري	فراحية	1979
2	جاسر	فراحية	1982

⁽¹⁾ جورج كارلوس جاد الله سمور، مرجع سابق، ص: 62

فهرس المحتويات

الإهداء	أ.....
إقرار	أ.....
الشكر والعرفان	ب.....
المخلص	ج.....
ABSTRACT	ه.....
الفصل الأول: خلفية الدراسة	1
1.1 المقدمة:	1.....
2.1 موضوع الدراسة:	3.....
3.1 مبررات الدراسة:	3.....
4.1 أهمية الدراسة:	4.....
5.1 أهداف الدراسة:	4.....
6.1 مشكلة الدراسة:	5.....
7.1 أسئلة الدراسة:	5.....
8.1 فرضيات الدراسة:	6.....
9.1 منهجية الدراسة:	6.....
11.1 حدود الدراسة:	7.....
الفصل الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة	8
المبحث الأول: الإطار النظري للدراسة:	8.....
المبحث الثاني: الدراسات السابقة	23.....
الفصل الثالث: الحضور العربي المسيحي في المشرق العربي	33
1.3 المقدمة:	33.....
المبحث الأول: الجذور العربية لمسيحيي المشرق العربي	35.....
المبحث الثاني: دور المسيحيين العرب في الحضارة العربية الإسلامية	40.....

المبحث الثالث: دور المسيحيين العرب في النهضة الفكرية في القرن التاسع عشر	44
الهجرة المسيحية من المشرق العربي خلال القرن العشرين	56
1.4 المقدمة	56
المبحث الأول: الدوافع السياسية للهجرة المسيحية	57
المبحث الثاني: الدوافع الاقتصادية للهجرة المسيحية	65
المبحث الثالث: الدوافع الطائفية للهجرة المسيحية	70
الفصل الخامس: الهجرة المسيحية من فلسطين خلال القرن العشرين	77
1.5 المقدمة:	77
المبحث الأول: جذور الهجرة المسيحية من فلسطين	78
المبحث الثاني: الهجرة المسيحية في الفترة ما بين 1920 - 1947	84
المبحث الثالث: الهجرة المسيحية في الفترة ما بين 1947 - 1967	94
المبحث الرابع: دوافع الهجرة المسيحية من الضفة الغربية وقطاع غزة ما بين عام 1967 وحتى نهاية القرن العشرين	101
المبحث الخامس: دور المؤسسات الفلسطينية في الهجرة المسيحية	107
المبحث السادس: أبعاد الهجرة المسيحية من فلسطين	117
الاستنتاجات والتوصيات	122
قائمة المصادر والمراجع	125
المراجع العربية	125
المراجع الأجنبية:	136
الملاحق	137
فهرس المحتويات	141

فهرس الملاحق

الصفحة	عنوان الملحق
138	ملحق رقم (1) إعلان ليفربول
139	ملحق رقم (2) بعض العائلات التي انقرضت في مدينة بيت لحم خلال القرن العشرين